# ختام القصة

## الإهداء

منذ نحو عشرسنوات اهدانى
صديقى احمد الصاوى محمد
كتابه ( رجال ونساء ) ..
وهانذا اهديه بدورى هذه
القصة وهى قصة رجل واحد
.. وامرأة واحدة . ولكنها
امراة ولا كل النساء !
م. ت.

# ختام القصة

## الإهداء

منذ نحو عشرسنوات اهدانى
صديقى احمد الصاوى محمد
كتابه ( رجال ونساء ) ..
وهانذا اهديه بدورى هذه
القصة وهى قصة رجل واحد
.. وامراة واحدة . ولكنها
امراة ولا كل النساء !

م. ت.

احب ان يصدقنى القراء وانا اقول لهم اننى امضيت اياما افكر فى كيف ابدا هذه القصة !

ثم هل اروى الحقيقة كلها ؟ او الجأ الى الاساليب المعروفة التى يعمد اليها بعض القصصيين فازعم اننى حرفت اسماء الاماكن واستبدلت اسماء باسماء لان اشخاص قصتى او بعضهم لا يزالون على قيد الحياة ! ؟

ولكن هل هى قصة؟.. اقصد قصة مؤلفة من نسج الخيال ؟

ان صديقى احمد الصاوي محمد يقول : نعم !

اما صديقى توفيق الحكيم فانه يصر على انها حادث واقعى . معين . وانها ليست قصة من نسج الخيال !

وللقراء بعد ان ينتهوا من تلاوة القصة ان ينضموا فى الراى الى الاستاذ الصاوى او يقفوا الى جانب الاستاذ توفيق الحكيم .

* * *

كان ذلك منذ اربعة اعوام . وكنا نحن الثلاثة فى مصيف راس البر ـ توفيق الحكيم والصاوى وانا ـ وذات مساء من شهر يوليه عام ١٩٤٤ خرجنا نتمشى على شاطىء البحر متجهين صوب الجنوب .. الماء والشمس الآفلة الى اليمين .. وصفوف العشش الى اليسار .

وقلت وانا اشعل سيجارة ...

ـ ما رايكما فى ان نحاول معا تاليف قصة الآن ؟ .. احدنا يبدا .. والثانى يكمل .. والثالث يستمر .. ثم يسلم خيوط القصة حيث انتهى الى الأول وهكذا .. الى ان ينهى احدنا القصة ويسدل الستار على فصلها الاخير ...

ورافق الزميلان . . واتفقنا فى الراى على انه ما دمت انا صاحب الفكرة فعلى ان ابدا الحديث .. او التاليف ..

وكنـــا نسير على مهل ونسيم البحر يمسح وجوهنا وقد بدأ الظلام يطرد امامه حمرة الشفق الباهت الضعيف . .

وبدأت القصة وقلت . .

* * *

خرج صاحبنا ــ وهو ليس « البطل » فى هذه القصة ــ خرج ذات مساء يتمشى على شاطىء البحر فى راس البر لأنه كان يحب ان يخلو بنفسه من حين الى حين . ليفكر فى موضوع يصلح لمقال او يصلح لقصة. فقد كان صاحبنا هذا ممن يكسبون عيشهم من القلم . وبينما هو يتحايل على اشعال سيجارة وقداستدار لنسيم البحر الذى اطفا له عودين من الثقاب . . . تبينت عيناه فى نور الشفق الضعيف شبح فتاة تندفع من احدى العشش القريبة المطلة على البحر . . .

وخيل اليه ان الفتاة تجرى نحوه !

ولكنه كان مخطئا . . فقد توقفت الفتاة عند احد العمد المركزة على امتداد طول الشاطىء والمربوطة اليها اطواق النجـــاة .

واسندت الفتاة راسـها الى العمود وكانت تبكى . . .

وكان هناك بين خط المياه وصف العشش مصـــباح غاز . . . وقد تجمع نور المصباح فوق طوق النجاة .

وابصر صاحبنا وجه الفتاة . وكان وجها نحيلا دقيق التقاطيع عليه مســحة من جمال. ولكنه جمال حزين.

وانبعث من ناحية العشش صوت ينادى : نجوى ! . .

نجوى . . انت فين ؟

وانتفضت الفتاة واجابت :

ـ نعم يا أماه ... هأنذى ...

ووقفت الفتاة تمسح دموعها بسرعة قبل ان تعود الى العشة التى انبعث منها الصوت .

* * *

وهنا توقفت وقلت للزميلين:

ـ والآن من الذى يتناول القصة من بعدى ؟

**وقال توفيق الحكيم:** الصاوى ... وانا بعده .

وسكت الصاوى قليلا . وصديقنا من الادباء القليلين الذين يملكون ثروة نفيسة من الالفاظ الحارة التى لا غنى عنها فى وصف وقفات الحب ولوعات العاشقين !

وقال الصاوى :

ـ وتقدم صاحبنا من الفتاة وقد راعه جمالها النحيل الحزين . وهدير الموج يقرع حواسه ... ونسيم الليل يذكى فتوته ! ماذا لو احاط الفتاة بذراعيه ومسح دموعها بشفتيه ...

وانفجر توفيق الحكيم ضاحكا وصاح :

ـ ياشيخ حرام عليك ! عايز تبوس البنت وهى حزينة تبكى ؟

وقلت انا : ان الصاوى يعمل دائما بقاعدة ما قل ودل وهو كما ترى يريد ان ينهى القصة فى موقف واحد !

وضحك الصاوى واقترح ان يتناول توفيق القصة من بعدى . ولكن صديقنا توفيق هز راسه وقال ما معناه انه يعتقد اننى اروى لهما حادثة حقيقية وقعت لي فى راس البر فى يوم ما ولكننى ازعم انها مؤلفة . . .

وصديقنا توفيق الحكيم كما ترون كثير الظنون !

واكدت له انه مخطىء فى ظنه.

وقال : طيب استمر ولو قليلا فى القصة ... قبل ان اتناول

خيوطها من يديك !

واستأنفت الحديث ... ومضيت فى تأليف القصة وقلت :

* * *

وخطر لصاحبنا أن يقترب من الفتاة ليسألها عن سبب بكائها فقد كانت فى نحو الخامسة عشرة من عمرها أى فى السن التى تجيز لرجل فى مثل سنه ولا حرج عليه أن يواسى مثلها . ولكن ... ما شأنه هو ؟ وبأي حق ! ... لعله شجار عائلى ... وعلى كل حال فان هناك امرأة نادت الفتاة ـ ولعلها أمها ـ وقد لبت نجوى ـ هذا هو اسمها ـ النداء .

وهز صاحبنا كتفيه واستأنف سيره ولما عاد الى عشته كان قد نسى الفتاة وبكاءها فلم يذكر شيئا عنها لضيفيه وصديقيه الصاوى وتوفيق الحكيم ...

وتناول الثلاثة عشاءهم مبكرين لانهم كانوا قد اتفقوا على مشاهدة الرواية التى كانت فرقة يوسف وهبي تعرضها على مسرح راس البر ذلك المساء ...

وفى طريقهم الى المسرح ابتاعوا صحف المساء .

واخذوا مقاعدهم فى مقصورة . وكان الستار لم يرفع بعد ...

ونشروا الصحف بين أيديهم وراحوا يلقون نظرات سريعة على ما فيها ...

وصاح صاحبنا : لا حول ولا قوة الا بالله ...

ولكن المسكين استراح من عذابه الطويل !

قال الصديقان : من ؟

وقال صاحبهما ـ وقد عرفتم الآن اننى هو : ابراهيم

... ابراهيم عصمت ! الا تذكرانه ؟

وتناول توفيق الحكيم الصحيفة من يدى وهو يقول :

كيف لا اذكره ! ولكن اين الخبر .. ؟

وهنا احسست بيد تشد كتفى برفق ... والتفت فاذا بفتاة جالسة فى المقصورة التى الى يسارنا وقد انحنت نحونا قليلا لكي تهمس :

ـ ارجوكم ... استحلفكم الله ... اتركوا الآن هذا الحديث !

واستدارت الفتاة بسرعة كأنها كانت تخشى ان تسمعها السيدة الجالسة معها فى المقصورة وكانت تدير ظهرها الينا .

وطوى توفيق الحكيم صحيفة المساء دون ان يقرأ الخبر ...

وتبادلنا النظرات .. . ترى من تكون الفتاة ؟ وما شأنها ؟ . .

ولم اقل انا شيئا ... ولكني عرفت الفتاة ... ووجهها الناحل الدقيق وجمالها الحزين .. لقد كانت نفس الفتاة التى رايتها تبكي على شاطىء البحر هذا المساء.

* * *

ومرة ثانية توقفت عن الحديث وكنا لا نزال نمشى على شاطىء البحر . قلت : والآن جاء دورك ياتوفيق ؟

وقال توفيق : ولكن فرقة يوسف وهبى ليست موجودة فى راس البر ... ولا نحن فى نيتنا ان نذهب الى المسرح هذا المساء

قلت : اعرف ذلك .. ولكننا نؤلف قصة .. قصة من نسج الخيال . .

وهز توفيق الحكيم راسه وقال :

ـ ما زلت أعتقد ان هذه الحادثة وقعت لك حقيقة وتريد الآن أن ترويها لنا كقصة . .

ووقف بنا الحديث هنا . . . ولم نتكلم بعدها فى شأن هذه القصة . . وكان هذا كما قلت ذات مساءمن شهر يوليوسنة١٩٤٤

وهأنذا اتناول خيوط القصة من حيث تركتها واكمل الحديث فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٨ . . .

* * *

ولكنى احب ان انبه القارىء الى هذه الحقيقة وهى ان كل ما دار بين الصديقين وبيني فى السطور السابقة قد وقع فعلا وقيل فعلا . . .

وأما الحديث الذى سوف يجرى بينهماوبينى فيما يلي وكذلك العبارات التى سوف اجريها على لسانيهما . . فانه كله تأليف ومن نسج الخيال .

* * *

ورفع الستار . . . واعتدلنا فى جلستنا نرقب التمثيل . . . وكانوا يمثلون رواية الاستعباد . . .

وفجأة « زغدنى » توفيق الحكيم بقوة وقال فى اذنى همسا :

ـ سهاد . . ان سهاد فى المقصورة المجاورة !

واجبته همسا : نعم . . . لقد عرفتها من جلستها وقبل ان تراها انت !

وكنت ادركت من تكون الفتاة . . من هى نجوى هذه . . . وعرفت سر بكائها على شاطىء البحر ! . .

انها ابنة ابراهيم عصمت الذى قرات خبر وفاته فى صحف المساء . . . والتى نادتها على شاطىء البحر هى امها سهاد !.

وعجبت كيف لم أعرف صوت سهاد ... وهي تنادي ابنتها نجوى ! لعله هدير امواج البحر او لعله مر السنين ..

وانتهى الفصل الأول . ونزل الستار ...

واضيئت الأنوار . .

ومر بالمقاصير أحد خدم المقصف الملحق بالمسرح واستدارت سهاد في جلستها تستوقفه وتطلب منه أن يأتيها بقدح من القهوة . .

وهنا وقعت عيناها علينا فابتسمت وحنت راسها ...

ورددت لها التحية من مقعدي وانا جالس . واما صديقنا توفيق الحكيم فقد وقف وانحنى نحو مقصورتها ومد يده يصافحها ويهزها بحرارة ويقول :

ـ والله سلامات .. فين من زمان .. ( ثم كأنما تذكر أمرا فقال ) .. آه من حق .. البقية في حياتك .. كلنا لها وآدي حال الدنيا ..

وتجهم وجه المراة .. ولم تجب على تعزية توفيق بكلمة واحدة .

وشددته بعنف من طرف سترته . ولما جلس قلت له همسا ـ وكان الصاوى يحاول ان يكتم ضحكة حتى لا تسمعه سهاد والفتاة ـ قلت له :

ـ يا أخي ... دائما سارح في ملكوت ! .. ما هذه الجليطة ؟ ! البقية في حياتك ايه وزفت ايه ؟ ! .. وهل هذا كلام يقال لسهاد بعد الذى كان بينها وبين ابراهيم ؟

وقال توفيق : صحيح .. آه صحيح .. لا .. لازم اعتذر لها !

وهم بالوقوف مرة اخرى لكى يعتذر اليها ولكننا ـ الصاوى وانا ـ شددناه من سترته فجلس ونحن نزغده بشدة ونقول :

ـ كفايه بأه ... جليطه !

* * *

ولم يدر بعدها حديث بيننا عن سهاد . كما أنها حرصت على أن ولينـــا ظهرها طول بقيـــة فصول الرواية بل وحتى فى فترات الاســـتراحة . .

ونزل الستار على الفصل الأخير . . وقمنا نريد الخروج . . ونهضت ســـهاد واقفة ومعها ابنتها نجوى . . .

وفى الممر الضيق وقفنا جانبا لكى ندعها تمر هى وابنتها قبلنا . .

**وقالت هى** : ـ كيف حالك يا أســـتاذ ؟

**قلت** : بخير . . . وانت ؟

**قالت** : الحمد لله هل تقيم طويلا فى راس البر ؟

**قلت** : اننى هنا منذ شهر وساقضى فى راس البر بقية الصيف . . . وانت ؟

**قالت** : هذه اول مرة ازور فيها راس البر . . واقـــول لك الحق . . . انهـــا لم تعجبني !

**قلت** : طبعا . . . لانها هادئة زيادة عن اللزوم !

وانسابت الى من عينيها نظرة طويلة اعرفها عنها من قديم **وقالت** :

ـ على كل حال لن تطول اقامتى فيها . . وقد ابرحها فى نهاية الأسبوع مع يوسف بك . . .

**قلت** : وهل تنوين العودة الى المسرح ؟

**قالت** : انا لم اهجر المسرح ولكنى اعطيت نفسى اجازة طويلة . . وانا على موعد مع يوسف لكى نتكلم فى الموضوع . .

ومشينا خلفها وخلف ابنتها الى باب الخروج . .

وحيتنـــا بيدها . . وانصرفنا نحن بعد ان رأيناها تجلس هى وابنتهـــا الى مائدة فى مقصف المسرح . . تنتظر طبعا الاســـتاذ يوسف بك وهبى .

* * *

وقال صديقنا الصاوى ونحن فى طريقنا الى العشة :

ـ يخيل الى انك كنت دائما تعرف عن سهاد وابراهيم أكثر مما يبدو عليك ؟

**قلت** : هذا صحيح . .

**وقال توفيق الحكيم** : يالها من امراة . . . يموت زوجها فى الصباح . . وتذهب الى المسرح فى المساء !

**قلت** : لانك لا تعرفها . . كما اعرفها انا !

**قال** : عرفتها فقط كممثلة . . وأية ممثلة !

**قلت** : لأن التمثيل فى طبيعتها . .

**الصاوى** : يبدو من لهجتك انك حانق عليها !

**قلت** : لانها نكبت رجلا كان يرجى منه خير كثير . . .

**قال** : تقصد ابراهيم عصمت ؟

**قلت** : نعم . . .

**وقال توفيق الحكيم** : لقد تضاربت الاقوال فى شأنهما ـ اقصد سهاد وابراهيم ـ وأي الاثنين هو الذى خلق صاحبه ونفخ فيه من روحه ! اهى التى جعلت منه مؤلفا مسرحيا قل ان يكون له نظير؟ ام هوالذى جعل منها كوكبا يكسف نوره كل نور ؟

**قلت** : ان وراء هذا كله قصة طويلة .

وكنا قد وصلنا الى العشة . . وجلسنا كعادتنا فى مقاعدنا الطويلة المريحة على الشرفة . . وبيننا وبين البحر بضعة امتار . .

**وقلت** : وانا املأ قدحا للصاوى ومثله لتوفيق الحكيم :

ـ هل تحبان ان تسمعا القصة ؟

**قالا** : نعم . .

وبدأت أروى قصة ابراهيم وسهاد . . .

* * *

لا اذكر على وجه التحديد كيف واين قابلت ابراهيم أول مرة . هل كانت مقابلتنا الاولى على السلم المظلم الضيق فى الدار العتيقة ؟ أو كانت امام دكان عبد العزيز البقال .. لست اذكر . ولكننى اذكر تماما اننى نسيت ادبي وحملقت فيه عندما وقع بصرى عليه لاول مرة . ولعلكما تفهمان السبب فقد كان لابراهيم رأس يفرض الاعجاب والعجب .. كان ابراهيم كما تذكران متوسط القامة نحيل الجسم عادى الوجه والتقاطيع الى الأنف وما دونه . . . أما ما فوق الانف . ولكن الا يحسن ان اروى لكما القصة من أولها ؟

ونفث الصاوى دخان سيجاره الهافانا الغليظ الطويل وقال :

ـ لعلك تقصد عينيه الواسعتين اللتين غلب فيهما السواد البياض .. والخصلة الحمراء الداكنة فى فحمة شعره الأسود البهيم ؟

**قلت** : نعم .

**وقال توفيق الحكيم** : وأنا ايضا دهشت اول مرة رأيته فيها . واذكر اننى قلت للمرحوم تقلا باشا ـ وكان ابراهيم يعرض عليه بعض الاوراق ـ اذكر اننى قلت له . . .

وهنا قاطعه **الصاوى قائلا** : ولكن الا نسمع الحكاية اولا !

وأسرع **توفيق يقول** : نعم . . . نعم .. لا مؤاخذة !

واستأنفت الحديث . . .

* * *

كان هذا عام ١٩٢٦ وكنت يومئذ طالبا بمدرسة الحقوق ـ ولم تكن سميت بعد كلية الحقوق ـ وكنت استأجرت شقة صغيرة بدار متواضعة فى شارع الموارى بحى المنيرة . وكان مسكنى المكون من غرفتين اتنتين يشغل الطابق الأول كله . . . ولقد مر على نحو شهر قبل ان اعرف او القى احدا من جيرانى سكان هذه الدار ـ ولكننى كنت اسمع احيانا وخصوصا فى المساء صوت فتاة تغني

. . . وكان مصدر الصوت الطابق الاعلى أي الدور الثانى والأخير أو « السطوح » كما كان يسميه خادمى عبد السميع .

وكان فى صوت الفتاة شيء ما ! شيء يخطئه الوصف والتحديد ! لم يكن جميلا بالمعنى المفهوم . . . ولكنه كان قويا عميقا صافى النبرات . حزينا كالخريف . مبهما كنور الفجر . وكان فيه نداء من الاعماق . . . نداء ينفذ الى الاعماق ! وخيل الى أول مرة سمعته انه نداء الأنثى للذكر . . . نداء الأنثى التى تطوف فى الغابة تبحث عن اليفها الموعود !

واحيانا اخرى كنت اسمع نفس الصوت ولكن فى صرخات متلاحقة ! صرخات يمزقها الألم والعويل . . . واسمع من فوق سقف مسكنى وقع اقدام تجرى وراء أقدام . . . وأبوابا تصفق بشدة . . وبكاء يعلوه صراخ . . وصراخا ممزوجا بنحيب . . .

وقال لى مرة خادمى عبد السميع وكان يضع أمامى طعام العشاء « هذه ست ام عبده الخياطة تضرب ابنتها حميدة ! »

وهكذا انقضى الشهر الاول فى مسكنى هذا . وقلما مر يوم فيه دون ان اسمع صوت حميده مرتفعا بالغناء أو صارخا من الألم مملوءا بالبكاء ! وكنت اعجب من امر هذه الفتاة التى قسمت حياتها او قسمت لها الحياة بين الغناء والبكاء . . وكنت اعجب اكثر واكثر من قدرتها على نفسها وكيف انها تستطيع ان تمضى ليلتها فى الصراخ والالم والبكاء فاذا اصبحت نسيت ليلتها واستطاعت ان تملأ البيت غناء بصوتها القوى العميق الحزين !

الى ان كان ذات يوم . . وكنت اهم بالخروج الى الشارع . . . وبينما انا اضع يدى على « مزلاج » الباب فتح باب الشقة او « منادر » الدور الارضى كما كان يسميها عبد السميع وبدا امام بابها ابراهيم وقد احاط بذراعه كتف فتاة . . . وكانت

الفتاة تبكى .

وعرفت الفتاة من صوت بكائها . وكانت حميدة ... اما الشاب فكنت رايته قبل ذلك مرة او مرتين وان كنت لا اذكر على وجه التحديد متى واين كما سبق ان قلت . وكنت سمعت من خادمى أن اسمه ابراهيم ـ ابراهيم افندى ـ ومهنته « جورنالجى » وانه يعمل بجريدة الاهرام .

ولما عدت الى مسكنى فى المساء قابلنى خادمى عبد السميع بابتسامته وقال : ان ستام عبده نزلت خصيصا لتدعونى لتناول الشربات ...

**قلت** : الشربات ؟ ولماذا ؟

وقال الخادم : لان ابنتها حميدة خطبت اليوم لابراهيم .

* * *

وهنا توقفت قليلا عن الحديث

وقال توفيق الحكيم : اذن فقد كان ابراهيم حديث العهد بالزواج يوم رايته اول مرة فى مكتب المرحوم الاستاذ داود بركات بجريدة الاهرام ..

**سالته** : ومتى كان ذلك ؟

**قال** : بعد عودتى من باريس فى اواخر عام ١٩٢٦ ..

**قلت** : نعم . وكان ابراهيم لا يزال يعمل بجريدة الاهرام . ولم يكن يومئذ شيئا مذكورا ..

وهنا قال الصاوى : اذن فقد استطاع ابراهيم هذا ان يقفز الى القمة فى عام واحد وبعض عام ؟ لاننى لما عدت من باريس فى أوائل عام ١٩٢٨ كان ابراهيم عصمت مؤلفا مسرحيا يشار اليه بالبنان ..

**قلت** : نعم .. فى عام واحد ! كما استطاعت حميدة فى هذا

العام الواحد ان تصعد درجات المجد وان تمسى وتصبح فاذابها امرة الدراما من غير منازع : وكوكب مسرح رمسيس .

قال توفيق : حميدة ؟! تقصد سهاد !

**قلت** : نعم لان حميدة هى سهاد ! ... لقد راوا ان اسم حميدة ـ حميدة بنت ست أم عبده الخياطة ـ ليس بالاسم المسرحى اللائق فاختاروا لها اسم « سهاد »

* * *

واستانفت الحديث ...

وكلاكما يا صديقى قدعرف ابراهيم وسهاد . . . وخصوصا سهاد ... واذا لم تخنى الذاكرة فان الصاوى كتب عنها مرة يشبهها بممثلة فرنسا الخالدة « راشيل » ويقول عن ابراهيم انه مؤلف مسرحى ساحر وانه شبيه بساردو ! واما انت يا توفيق وارجوك ان لا تهز راسك هكذا بشدة كانك تنكر مقدما ما سأقوله ! ـ واما انت فقد جننت حبا بسهاد .. ارجوك ! . لاتقاطعنى ! . . وعلى كل حال فان مجلات ذلك العهد وعلى راسها الكشكول كانت دائما تشير فى عبارات صريحة الى اعجابك بكوكب مسرح رمسيس حتى لقد زعموا فى يوم ما انك تكتب مسرحية خصيصا لها . .

( توفيق الحكيم ) : هذا كذب وتشنيع ...

ـ والآن .... اين وقفت بالحديث ! . . آه . . كنت اتكلم عن خطبة حميدة ـ او سهاد ـ لابراهيم . . ولعله يحسن بى ان اصف هنا قبل ان امضى فى الرواية ماذا كان شعورى عندما رايت ابراهيم وحميدة اول مرة . . اما ابراهيم فقد وصفته انت يا عزيزى الصاوى ادق وصف لان ابراهيم لم يكن فيه الا راسه وعيناه ! . . عيناه الواسعتان اللتان يغلب سوادهما

البياض .. وراسه الكبير من فوق عنق نحيل .. وخصلة الشعر الاحمر الداكن وسط شعر راسه الحالك السواداشبه بالجمرة الملتهبة فى ظلمة ليل بهيم ! .. ثم فمه الواسع وشفتاه الغليظتان ! ... واول اثر استقر فى نفسى عند رؤيته ان هذا الرجل يجمع فى نفسه بين النقيضين : بين القسوة والحنان .. ممكن ان يكون قديسا أو شيطانا ... عبقريا او مجنونا وما ادق الشعرة التى تفصل بين حد العبقرية وحد الجنون ! .. ولكنه لن يكون عاديا ولا رجلا وسطا .. تلك لم تكن طبيعته ! .. فقد كان فى اغوار عينيه قوى زاخرة تتحفز للوثوب!

هكذا رايت ابراهيم اول مرة .. واما حميدة .. فماذا اقول عنها ؟ كان جمالها ـ او بعبارة أدق ـ كانت حلاوتها فى انوثتها الطاغية ! كانت انثى .. انثى بكل ما فى هذه الكلمة من معنى خفى ومعنى صريح .. والنداء الذى تبينته فى صوتها وهى تغنى .. نداء الانثى للذكر .. هذا النداء كان دائما ابدا فى عينيها الزرقاوين .. كانت قمحية اللون .. لون شعرها اسود .. انفها دقيق مرهف الطاقتين .. ممتلئة الصدر قليلا .. بارزة النهدين فى غير جهد ولا كلفة .. وقالت لى مرة : ان اباها كان من ابناء بلدة فارسكور .. وهذا يفسر زرقة عينيها بالرغم من سمرة الوجه

ولكن اعجب ما عجبت له من امرها يومئذ هو حبها الشديد للترف .. ولكل ما هو جميل ! .. وكانت امها خياطة كما قلت . وخياطة رخيصة اجرها ريال واحد عن خياطة الثوب او الفستان . وكانت ترسل حميدة الى زبائنها تحمل لهم الثوب الجديد وتقبض الاجر . ولكن حميدة كانت تحب الزهور والعطور والفواكه المجففة والحلوى بأنواعها ... وكانت تهوى السينما وخصوصا الافلام الموسيقية .. ومن هنا قل ان

عادت يوما الى امها تحمل لهـا الاجر كاملا غير منقوص . وكانت امها تنهال عليها ضربا .. وذات يوم خرجت حميدة تحمل عدة فساتين وكان عليها ان تعـود بأجرها وكان جنيها كاملا ... ولكنها اشترت زجاجـة عطر وصندوقا من الحلوى .. وطار الجنيه ... وخشيت حميـدة العاقبـة ـ او كما قالت لى بابتسامة وهى تروى لى هذه القصة ذات مساء أمام خطيبها ابراهيم ...

**قالت** : « وطـار الجنيـه . وخفت ان يطير عقل أمى وتضربنى ضربة اروح فيها .. » ـ وعادت الى الدار وطرقت باب ابراهيم .. وكان هذا قبل ان اسكن انا فى هذه الدار . وقصت عليه الحكاية وفزعت الى مروءته وامسـكت حميدة يد ابراهيم عندما انتهت الى هذه النقطة من حكايتهـا وقالت :

ـ وهكذا عرفت ابراهيم !

ولكنى لم اذكر بعد كيف عرفت ابراهيم .. كنا قد تبادلنا التحية مرتين او ثلاث مرات .. أمام دكان البقال عبد العزيز أو فى صحن الدار .. وذات مساء صعـد الى فى مسكنى يسألنى ان اعيره قاموسا فرنسيا ثم قال وانا اناوله القاموس :

ـ أرى انك تحب القصص المسرحى ...

واشـار بيـده الى بضـعة مجلدات من قصص مجلة ( الالستراسيون )

**قلت** : نعم . وانت ؟

وخيل الى انه سكت لحظـة قبل ان يقول :

ـ وانا ايضا ولكن .. ولكن ما قرأته منها قليل حتى اليوم .

ثم تقدم خطوتين وراح يجيل بصره فى بعض مجلدات على رف الكتب . ثم تنـاول احـدها وسـألنى :

ـ هـل تعجب بجبريل دانونزيو ؟ ..

**قلت** : اعجب بشعره اكثر من مسرحياته !

**قال** : لقد قرات له مسرحية « المدينة الميتة » وانت طبعا قرأتها فهى احدى القصص التى يضمها هذا المجلد. مارايك فيها ؟

**قلت** : تصلح لأن تكون قصيدة لا مسرحية . ثم هى بعد ذلك قصيدة اوحى بها خيال مريض !

وخيل الى ان عينيه الواسعتين تحدقان فى لاشىء .. وتحدقان طويلا قبل أن يقول :

ـ لا ادرى . لقد كان يعشق شقيقته .. ولقد انتهى الى ضرورة قتلها لكى يقتل فى صدره هذا الحب الدنس ! اظن اننى استطيع ان افهمه .. !

وضحكت انا وقلت : لكى تفهم هذه القصة يجب ان تعرف حياة هذا الشاعر الايطالى ..

**قال** : حدثنى عنه ..

ثم استدرك وقال :

ـ معذرة . ولكنك مشغول الآن بدروسك ...

**قلت** : هو ذلك . ولكننى سأزورك ذات مساء ونتحدث معا عن دانونزيو

ثم ناولته مجلد مسرحيات دانونزيو وانا أقول :

ـ تستطيع ان تقراها ... و تعيدها الى ..

قال شاكرا : وبعد ان أعيدها تعيرنى سواها ؟

**قلت** : بكل سرور .. لك ان تستعير من كتبى ما تشاء ... ثم اضفت وانا اضحك ) ماعدا طبعا كتب القانون فما اظنها تهمك !

وشكرنى مرة اخرى وانصرف

وادركت انا معنى قوله ان ما قراه من القصص المسرحى قليل .. لم تكن الرغبة فى القراءة والاطلاع هى التى تنقصه .. ولكن المال الذى يشترى به الكتب هو الذى كان ينقصه .

* * *

وكثرت مقابلاتنا بعد ذلك . وكنت ازوره فى مسكنه عند عودتى من الخارج وأتناول معه القهوة التى كان يجيد صنعها . وفى امسيات الخميس كنت أدعوه هو وخطيبته حميدة لمشاهدة السينما او احدى روايات يوسف وهبى ونتناول العشاء عند الحاتى او فى احد مطاعم شارع عماد الدين وكانت حميدة تسر كثيرا بهذه السهرات .. ولكنى كنت آخذ عليها نظراتها الجريئه .. تتفرس فى وجوه من حولنا .. وذات مرة خيل الى أن عينيها تبتسمان لشاب وسيم المنظر كان يطيل النظر اليها من مائدة قريبة !

وذات مساء بعد أن عدنا من سهرتنا ـ وقد صعدت حميدة الى مسكنها « فوق السطوح » دعوت ابراهيم لتناول قدح من الشاى فى مسكنى ...

وقال ابراهيم : غدا سأسمع كلاما كثيرا من ست ام عبده !

**قلت** : لماذا ؟

**قال** : لانها تعترض على خروج حميدة معى وخصوصا فى السهرة !

**قلت** بابتسامة : ولماذا لا تعجل بالزواج ؟

**قال** : وهذا هو ماتلح فيه ست ام عبده ...

**قلت** : وانت ؟

**قال** : افضل الانتظار قليلا

**سألته** : ولماذا ؟ الست واثقا من حبك لها ؟

وهنا انفجر قائلا : حبى ! لو استطعت ان اجمع لها الدنيا وما

فيها فى قبضة يد واحدة لفعلت ...

تم هدأ قليلا وقال : انها كل شيء لى ! .. وانى لأعجب كيف كانت حياتى قبل أن القاها ! .. ولـــكن كيف أتزوج وأعيش واسعدها بمرتب ستة جنيهات فى الشهر ! .. أتدرى اننى لم أسدد بعد لعبد العزيز البقـال الجنيـــه الذى كنت أقرضها اياه ! .. انها لم تقل لك اننى خرجت يومها ورهنت ساعتى عنـد البقـال واقترضت منه الجنيه ! ...

ثم اسرع يقول وطاقة انفـه ترتجف وقد غاب بياض العينين فى سوادهمـا :

ـ أرجوك أن لا تظن أننى اذكر لك هذا ...

وفهمت انا ماذا يريد ان يقول وقاطعته قائلا :

ـ طبعا لا ...

وأخيرا سألته بعد أن سـاد السكون لحظات :

ـ وما هو عملك فى جريدة الاهرام ؟

وهز كتفيه وقال بمرارة :

ـ مراجعة دفتر المشتركين ... ولقـد حاولت مرارا ان أكتب ...

ثم خبط مكتبى بقبضة يده وهو يقول :

ـ انا عارف انى اقدر اكتب ... اكتب اى حاجـــه ... وخصوصا للمسرح

ولم استطع أن اخفى دهشتى .. ولعله رأى فيها دهشـــه ساخرة لانه قال :

ـ وأنت أيضا !

**قلت** : معذرة ! لا تغضب . ولكن الكتابة وخصـوصا الكتابة للمسرح فن له قواعد وله أصول

وقـذف ابراهيم فى وجهى بهذه العبارة :

ـ الفن والقواعد والاصول ! وعلى يدى أى اســـتاذ درس يوسف وهبى فـن الـكتابة والقواعد والاصول وهو الذى يخرج قصة مسرحية ناجحـة من تاليفه فى كل اسبوع !

وقلت وانا اهدىء سـورة غضبه :

ـ معك حق ... وهل حاولت الـكتابة فعـلا ؟

**قال :** نعم.. كتبت مرة قصة قصيرة ودخلت بها على رئيس التحرير الاســتاذ داود بركات فضحك فى وجهى وهو يلقى بها فى سلة المهملات دون ان يقراها ويقول : الاهرام لا تنشر مثـل هذا الكلام الفارغ .. انتبـــه لعملك احسن .. !

سألته : وبعدها ؟

قال وهو يمسح عرق جبينه :

ـ بعـدها ابقيت لنفسى ما اكتبه .

ـ وهـل عنـدك منـه شىء الآن ؟

**قال :** نعم ... مشهد قصير .. حوار بين البطل والبطلة .. واريد ان اجعل منه نواة ابنى حولها قصة مسرحية !

**قلت** بابتسامة : ولكن هـذه هى طريقة جديدة .. العـادة جرت على ان يحدد المؤلف موضوع او فـكرة القصـة ... ويرسم شـخصياتها ويحـدد دور كل منهم ... ثم يبدا .. ولكنك بدات من الوسط اومن النهاية .. وتريد ان تعود الى البـداية ..

**قال :** ولم لا ؟ .. الحقيقـة انها فـكرة حميدة ..

وضـحكت انا واشترك هو معى فى الضحك وقال :

ـ كنا جالسـين معـا ذات مسـاء ...

وهنا تردد قليلا وهو يقول فى شىء من الخجل :

ـ وكنت احدثها عن حبى لها .. وكانت هى تحاورنى فى الحب ومعانيه .. وفى دور الرجل وفى دور المراة ... ثم اقترحت على أن اكتب هذا الحوار ... ولقد كتبت المشهد فعلا .. وطبعا بعد الاضافة والتحوير ..

**وقلت** : هل استطيع ان اقرا هذا المشهد الذى كتبته ... هذا اذا كنت تقيم وزنا لرايى .

**قال** : بكل تأكيد وساتيك به غدا !

* * *

وفى مساء اليوم التالى جاءنى ابراهيم ومعه حميدة ... واخرج من جيبه بضع اوراق ... ثم مد يده وامسك برهة بيد حميدة وكأنما اراد أن يستمد منها الشجاعة والعون فى هذا الامتحان الذى يؤديه امامى . وشعرت من ارتباكه انه يعلق آمالا كبيرة على رايى فيماكتب !

واحسست ان امامى طفلا وان يكن يكبرنى فى السن بنحو عامين ، واحسست ايضا شيئا من الندم لاننى طلبت منه ان يقرا لى ما كتب ! ماذا اقول اذالم يعجبنى هذا المشهد التمثيلى؟ وهل استطيع أن اخفى من وجهى حقيقة رايى فيه ؟ .

واما حميدة فقد وضعت ساقا على ساق ومدت ذراعها فوق مكتبى تدق بأصبعها دقا خفيفا وتنظر الى بهدوء نظرات طويلة متصلة .. ثم تحول عينيها الى ابراهيم وتبتسم ...

وبدا ابراهيم يقرأ ...

( هو وهى واقفان فى شرفة تطل على النيل ... )

وهنا قالت حميدة وهى تضحك :

ـ والحقيقة اننا كنا جالسين على مقعد حجرى على شاطىء النيل امام فندق سمراميس !

واستانف ابراهيم القراءة . . .

( هى ) : لم نتقابل منذ اسبوع

( هو ) : نعم . كنت مرهقا بالعمل

( هى ) : العمل ؟ او الندم ؟

( هو ) : الندم ؟ . . اننى لا افهم !

( هى ) : الندم او الخجل . . اختر منهما ما تشاء !

( هو ) : ولكنى لا افهم !

( هى ) : ولا انا . . !

( هو ) : احس انك غاضبة منى !

( هى ) : لعل غضبى من نفسى اشد واقوى !

( هو ) : ولكنى لا افهم لماذا !

( هى بسخرية ) : طبعا ! لان من حقك ايها السيد ان تمنح وتمنع . . وان تعطى وتحرم متى تشاء !

( هو ) : قلت لك اننى لا افهم . لم لا تفصحين !

( هى بغضب ) : تأخذنى بين ذراعيك . . . وتحرق شفتى بقبلاتك . . . وتعبث يداك بصدرى . . ثم تغيب اسبوعا ولا اراك . . لانك مرهق بالعمل ! . .

( هو ) : العمل من اجلك . . من اجل مستقبلنا نحن الاثنين !

( هى ساخرة ) : العمل للمستقبل ! . . الحجة التى يسوقها الرجل عندما يسأم الحاضر !

( هو ) : الا تثقين بى ؟

( هى ) : لقد وثقت بك فى تلك الليلة !

( هو ) : والآن ؟

( هى ) : والآن صدقت امى ! . .

**( هو )** :وماذا قالت أمك ؟

**( هى )** : كانت تحفظ درسا .. وطالما الحت على ان احفظـه !

**( هو )** : وما هو الدرس ؟

**( هى )** : ان الرجل يحرص على المرأة التى لا تعطيه الا بقدر معلوم ! .. ويسأم المرأة التى تجزل له فى العطاء!

**( هو بسخرية )** : وهذا الدرس على يدى اى استاذ تلقته امك ؟

**( هى )** : على يدى ابى ! .. لقد حرقت نفسها بين ذراعيه ! .. وبعد شهرين اثنين هجرها الى امراة اخرى .. هجرها بعد ان لم يبق عندها شىء تعطيه اياه ! ..

**( هو )** : وتريدين الآن ؟

**( هى )** : والآن وددت لو اسـتطيع ان ارد الـرمز القهقرى الى تلك الليلة ..

**( هو )** : وماذا كنت تفعلين ؟

**( هى تقترب منه )** : كنت القى عليك درسا فى الحب ! درسا قيما يحبه الرجل ! .. ادعك تمسك بيدى هكذا .. وتتحسس بيدك الاخرى ذراعى العارية هكذا .. واصد عنك قليلا .. وقليلاهكذا .. ولكنى فى النهاية اتركك تقبلنى .. مره واحدة .. ! كما تركتك تفعل بى ذلك المسـاء ! .. فاذا ما قبلتنى ضحكت فى وجهك .. وانفلت من بين ذراعيك .. وسخرت من قبلتك وقلت لك ان هناك من يجيد القبلة خيرا منك .. وتركتك حائرا تتخبط هل انا اجد او امزح ! .. واى فتـاة انا بين الفتيـات ! .. ليتنى القيت عليك هـذا الدرس فى ذلك

المساء اذن لما كنت هجرتنى اسبوعا طويلا !

**( هو )** : ولكنك تتكلمين كأننى لست اول رجل قبلك؟

**( هى )** : ولا انا اول فتاة قبلتها !

**( هو )** : كان يحسن بك ان تخفى عنى هذه الحقيقة .

**( هى )** : ولكنى اريدك حبيبا يعرف كل شىء . . قبل ان تكون زوجا يجهل كل شىء !

**( هو )** : قد اغار من الماضى . .

**( هى بسخرية )** : كنت احسب ان المستقبل وحده هو الذى يشغل بالك !

**( هو وقد بدا يغضب )** : والآن علام عزمت ؟

**( هى وقد احست انها جاوزت الحد )** : هل انت غاضب ؟

**( هو )** : وحزين معا !

**( هى )** : غاضب وحزين ؟

**( هو )** : لانى احبك . .

**( هى )** : اذن دع حبك يتكلم . .

**( هو )** : ولكنه يتكلم . .

**( هى )** : لا اسمع شيئا . . .

**( هو )** : لو اصغى قلبك لسمعت . .

**( هى )** : اذن قلبك الذى يتكلم ؟

**( هو )** : دائما . . .

**( هى )** : وماذا يقول . . ؟

**( هو )** : يقول الورد اشمه فى أعطافك . . والنسيم احسه فى همساتك . . والليل الرحيم فى شعرك . . واللجة العميقة فى عينيك . . والنار المحرقة فى شفتيك .

**( هى )** : وقلبك وحده الذى يتكلم ؟

**( هو )** : الا يكفيك ؟ .. ان القلب كل شىء ..

**( هى )** : كلا .. فهناك الروح وهناك الجسد ! . . الروح نور . والقلب نار .. والجسد الحطب ! .. فهل رأيت نارا من غير نور .. أو نورا من غير نار ..

**( هو )** : ولكنى عرفت نارا من غير حطب !

**( هى )** : او قلبا بلا جسد !.. او جسدا بلا روح ! ..

( يتمشى فى الشرفة . ثم يدير ظهره اليها وهو يقول )

**( هو )** : لماذا تتحدثين عن الجسد ؟ ..

**( هى )** : لانى اخشى على النار ان تخبو وعلى النور ان ينطفىء !

( تقترب منه وتضع ذراعيها حول عنقه .. )

( **هو** ـ يأخذها بين ذراعيه وهو يقول ) : ولكنى ـ اخاف ان احرقك . .

( **هى** ـ وهى تمسح صدره بصدرها ) : احرقنى ..

**( هو )** : الا تخشين النار ؟

( **هى** ـ مغمضة العينين وشفتاها تبحثان عن فمه ): النار لا تخاف النار !

* * *

وطوى ابراهيم اوراقه . . .ورفع عينيه الى وجهى . . . وقال فيما يشبه الهمس :

ـ انه مشهد قصير !

**وقلت** انا بحرارة : ولكنه رائع ! . . رائع حقا . . .

**وقال** هو بلهفة : هل اعجبك ؟ . . حقيقة اعجبك ؟

**قلت** : نعم . . . ـ وترددت قليلا قبل ان أقول ـ ولكنك اذبت

قوى ضخمة فى هذا المشهدالقصير ! واخشى ان تجىء بقية مواقف القصة ضعيفة هزيلة .. اذا قيست الى هذا الحوار !

**قال** : كلا ! .. لن تكون كذلك ! ... وكل مشهد سيكون اقوى من سابقه ...

ثم وضع ذراعه حول حميدة وهو يقول بحنان :

ـ ... ما دامت هى بجانبى !

وضحكت حميده وهى **تقول** :اذن فأنا شريكة فى التاليف . . .

**( ابراهيم )** : ولكنها الحقيقة !. انها مصدر الوحى فالمعانى من عندها .. والالفاظ من عندى..

ولمع فى خاطرى ... انها اذن صاحبة هذا الراى القائل ، ان القلب نار والحطب الجسد ! . .وان النار لا تخاف النار ! ، . . يالها من فتاة ! وما تزال بعد فى الثامنة عشرة من عمرها ؟ !

وامتلأ قلبى رحمة ورثاء لهذا الفتى .

واخيرا **قلت** : ومتى تبدأ كتابة هذه القصة ؟

**قال** بحماسة : من الليلة ..

**وقلت** : ولاى مسرح تنوى تقديمها .

**قال** : وهل هناك سوى يوسف وهبى ؟

**قلت** : اصبت ! .. وهل تعرفه ؟

**قال** : كلا! .. هل تعرفه انت ؟

**قلت** : نعم وهو صديقى ...

**قال** بفرح : اذن تقدمنى اليه ؟..اننى اعرف ان ابواب اصحاب المسارح دائما مغلقة فى وجه المؤلف المبتدىء ... والكاتب المجهول.

**قلت** : اعدك ! .. ولكنى لست واثقا من ان بين ممثلات مسرح رمسيس من تستطيع القيام بدور هذه البطلة ...

**قال** : الا تظن ان فاطمه رشدى . .

**قلت** : كلا .. فاطمه ممثلة مجيده .. ولكن ألوانها محدودة وهذا الدور يتطلب فتاة سبقت العمر والسنين، وتم نضجها وهى بعد دون العشرين من عمرها !.. او هكذا فهمت من حوارك ...

**قال** : نعم ... صحيح ! .. وامينه رزق ؟ ..

**قلت** : تصلح بعد عشر سنوات؟ أما الآن فما تزال طفلة تصلح لأدوار الطهر والسذاجة ! ..

**قال** وهو يبتسم : أكتب القصة اولا . . . وبعدها نبحث عن الممثلة ... وعلى كل حال فهذه مسألة اعتقد ان يوسف بك وهبى سيكون له فيها الرأي الاخير ..

وكانت حميده تصغى الينا وهى تنقر بأصابع يدها على سطح مكتبى . .

**وقالت** حميده : هل أصلح انا لتمثيل هذا الدور ؟ ؟

وأحسست انها توجه سؤالها الي انا لا الى المؤلف . . . خطيبها . . .

وضحك ابراهيم وصاح : يالها من فكرة !

أما انا فلم اضحك ...

ومرة اخرى لمع فى خاطرى ان هذا من وحيها هى ! .. الم يقل ابراهيم ان المعانى من عندها ... والألفاظ وحدها من عنده ! .. لعلها وصفت نفسها وهى تدرى أو لا تدرى ! .. واعطت صورة من شخصيتها وهى تدرى او لاتدرى . . والا فمن أين جاء ابراهيم بهذه الصورة لبطلة قصته ؟ . . ام ترى كان وعيه الباطن يملى عليه وصفا لحميده كما انطبع فيه .. وكان قلمه يجرى وهو لا يدرى انه يصف تلك التى يحبها ! ...

على اية حال فان الصورة صورة حميده ... فمن اذن ابى منها بتمثيل « نفسها » ان جاز هذا التعبير !

ولعلهـــا ثوان معـــدودة التى استغرقتها فى التفكير ... وافقت على صوت حميده وهى تقول :

ـ ولكنك لم تجبنى ... لماذا تضحك ( وفى صـــوتها ســـخرية وغضب ) ... واذا استطعت انت أن تؤلف للمسرح ... فلماذا أنا لا استطيع ان امثل ؟

واسرع ابراهيم يتناول يدها بين راحتيه ويلثمها بحنان ويقول:

ـ لا تغضـــبى ... فانا لم اضحك لشىء مما دار فى راسك ... هل اقول لك لماذا ضحكت ؟ ( وضـــحك مرة اخرى ) . . . ضحكت لأن هـــذه اول مرة فيما اعلم .. الزوج يكتب القصة .. والزوجة تمثل دور البطلة !

وكان لا بد أن اقول شيئا ... فقلت :

ـ اذن تتقاسمان المجد ...

والتفتت حميده تسألنى :

ـ ولكننى لم اسمع منك ردا على ســؤالى ! .. هـــل اصلح لتمثيل الدور ؟

وسكت ابراهيم ...

**وقلت** انا : اعتقد على كل حال انك تصلحين له خيرا من فاطمـــه رشدى وامينه رزق ...

وانسابت الى من عينيها نظرة طويلة وهى تقول :

ـ اذن فأنت ترى فى فتـــاة سبقت العمر والسنين وتم نضجها وهى بعد دون العشرين ؟ ! ..

وضحكت انا فى ارتباك وقلت :

ـ لا تحاسبينى على الفاظى ...

**وقال** ابراهيم : انكما تتكلمان كأنما القصـــة قد كتبت . . . وقدمت ... وقبلها يوسف وهبى ... ولم يبق الا اختيـــار

الممثلة التى تقوم بدور البطلة !

**وقالت** حميده : ولكنك ستبدأ كتابتها من الليلة . . .

**قال** : نعـــم

**قالت** : وأنا سأبدأ من الليلة مراجعة دورى . . .

وضحكنا **وقال** ابراهيم : دورك !

**قالت** : نعـم . . . أن ما كتبته قد حفظته فعلا عن ظهر قلب . . ومن غير جهد الم تقل أنت ان المعانى من عندى ؟ . . والبـاقى سوف أحفظـه لاننى سأشترك معك فى كتابته . . .

وخيل الى ان ابراهيم كان يريد أن يقول شيئا . . . ولكنه امسك لكى لا يغضبها .

**واخيرا قال** : وماذا تقول امك اذا اشتغلت بالتمثيل ؟

وصاحت **هى** : ومالأمى وهذا ! . . . البست زوجى . . او ستكون . . . والكلمة لك !

وعاد هو **يقول** : نعم . . . ولكن يوسف وهبى . . قد يرفض !

**وقالت** هى : لن يرفض . . . اذا أعجبته القصة . . .

واضفت **انا** بابتسامة : وخصوصا اذا اعجبه دوره . . .

ووقف الاثنان يريدان الانصراف . . . **وقال** ابراهيم :

ـ شكرا . . . لقد أضعنا عليك ساعتين . . . والامتحان السنوى فيما أعلم بعد شهرين . .

**قلت** : بعد ستة اسابيع . . .

**وقالت** حميـده : وأين تمضى الصيف ؟

**قلت** : فى الريف . . .

والتفتت الى ابراهيم **تسأله** : هل تظن انك تســتطيع كتابة القصة قبل سفره . . .

**قال** : ساحاول . .

**وقلت انا** : لا تسرع فى كتابتها . المهم ان تكون قوية متماسكة . ولا تنس ان هذه اول قصة لك . . . وعلى فكرة . . . انا لم اعرف حتى الآن موضوع القصة أو فكرتها . . .

وتردد ابراهيم قليلا ثم قال :

ـ أن حميده عندها فكرة . . ولكنى . . .

واسرعت حميده **تقول** : فكرة جديدة . . ولكنه لا يوافق عليها .

وبدا كأنما ابراهيم يريد ان يغير مجرى الحديث فقال :

ـ لن نتقابل كثيرا فى الايام القادمة . . . ستكون انت منهمكا فى الاستعداد للامتحان . . . وساكون انا مشغولا بقصتى . . .

**قلت** : وارجو لك التوفيق . .

وابتسمت حميده **وقالت** : ترجو التوفيق له وحده ! . . وانا . . الا تدعو للممثلة الاولى بالتوفيق !

وضحكنا جميعا . . وانصرف الاثنان . . .

* * *

وجلست الى مكتبى اراجع دروسى . . . ولكن ان هى الا دقائق حتى فتح الباب . . . ودخلت على حميده . . . وقد عادت وحدها !

ووثبت واقفا : لماذا عدت ؟

قالت وهى تجلس على حافة مكتبى :

ـ اريد ان اتحدث اليك .

**قلت** : واين ابراهيم ؟

**قالت** : تركته يستعد للكتابة ؟

**قلت** : وهل يعرف انك هنا ؟

**قالت** : كلا . . . بل يظن انى صعدت الى مسكنى ! . . . ثم بضحكة ، بينما امي تظن اننى ما زلت عند ابراهيم . .

**قلت** : وانا امشى الى الباب افتحه :

ـ اذن ارجوك ان تنصرفى

**قالت** : لا تكن طفلا ... اخائف منى ؟

**قلت** : ولكن ابراهيم ... ماذا يظن اذا عرف انك عدت الى وحدك ؟

**قالت** : وهل تنوى ان تقول له أحذار ... انه شديد الغيرة ..

**قلت** : هبى انه عاد الآن لامر ما كما عدت انت ...

**قالت** بهدوء : فى هذه الحالة اختبىء فى فراشك ...

ثم قامت الى الباب وهى تقول :

ـ والحيطة أحسن ...

واغلقت الباب بهدوء وأدارت المفتاح فى القفل !

هذا وانا انظر اليها مشدوها .. وعادت هى الى جلستها فوق طرف المكتب .. واشارت الي أن اجلس فجلست فى مقعدى

**وقالت** : ماذا تظن فى ؟

**قلت** : اظن انك جريئة !

**قالت** : لم اقصد هذا !.. اريد رايك فى كممثلة !

**قلت** : لم ار بعد تمثيلك ..

**قالت** : ولكنك تعرفنى منذ بضعة اشهر ...

**قلت** : وهل كنت تمثلين فيها !

**قالت** : دعك من السخرية ...

**قلت** : ماذا تريدين منى الآن !

**قالت** : أريد ان اعرف رايك فى !

**قلت** : وماذا يهمك من رأيي !

**قالت** : يهمنى جدا ! الم تقل الليلة اننى اصلح لتمثيل الدور!

**قلت** : نعم ..

**قالت** : وهذا ما سرنى منك ...

**قلت** ساخرا : هل عدت لتشكريني ؟
**قالت** : عدت لاطلب منك خدمة ..
**قلت** : اية خدمة ؟
ووثبت واقفة .. وانحنت فوقي وهي تقول :
ـ انت صديق ليوسف وهبي .. أليس كذلك ؟
**قلت** : وانا اتراجع قليلا في مقعدي حتى لايمس وجهي عنقها :
ـ نعم ..
**قالت** : اذن تقدمني اليه و توصيه بي خيرا ..
وراحت يدها تعبث بشعر راسي .. ولما لم اجب قالت :
ـ اريد ان اعمل .. اريد ان اتمرن منذ الآن ..
وفهمت مرادها فقلت : تريدين ان تعملي على المسرح منذ الآن؟
**قالت** : نعم ...
**قلت** : وابراهيم .. هل يوافق !
**قالت** : سوف يوافق !
**قلت** : ولماذا ؟
**قالت** : لأن عملي سوف يساعدنا على اتمام الزواج ..
والمرتب الذي ساتناوله من مسرح رمسيس.. مهما كان قليلا..
**قلت** : فهمت !.. وهل فاتحت ابراهيم برأيك هذا ...
**قالت** : كلا .. ولكنه كما قلت سوف يوافق.. (واضافت وانفاسها على عنقي) .. سوف يوافق لان مرتبه لايكفي لزواجنا .. وهو يريدني .. يريدني .. هل فهمت !
وأزحتها بلطف .. ونهضت واقفا ...
**قالت** : اذن سوف تجيب رجائي .
**قلت** : هبي انني قبلت .. ورفض يوسف وهبي ..
**قالت** : لن يرفض ...

**قلت** : ان فرقته مزدحمة بالممثلات المبتدئات من أمثالك !

**قالت** : ولكنه لن يرفض بعد أن يرى تمثيلى .

**قلت** : يلوح لى انك مغرورة ...

**قالت** : لست مغرورة وانما أنا واثقة من نفسى ... هل تود ان اريك ؟..

**قلت** : تريننى ماذا ؟

**قالت** : اريك تمثيلى ..

وقبل ان أقول شيئا ... انطلقت تمثل نفس المشهد القصير الذى كتبه ابراهيم ..

(**هى**) : لم نتقابل منذ أسبوع !

سكوت ...

(**هى**) : لماذا لا تجيب ؟

(**انا ضاحكا**) : ولكن هذا غير صحيح . فقد تقابلنا أول امس وامس واليوم ...

(**هى تضحك**) : كلا ... لا تكن سخيفا.. اجب كما اجاب بطل القصة ...

( **انا** ) : ولكنى لم احفظ الدور .

( **هى** ) : اذن القنك ..

( **أنا** ) : ارجو ان تستغنى عن خدماتى .. فأنا لا اجيد التمثيل ..

( **هى** ) : حقا !.. ومع ذلك يخيل الي انك تجيد التمثيل .. لو تريد !

وهزت كتفيها وانطلقت تمثل دورها.. ودورالبطل معا.. وأنا جالس امام مكتبى انظر اليها .. فى اول الامر بابتسامة وعدم اهتمام !.. ولكن لم تمض دقيقتان حتى أدركت ان امامى

فتاة تعرف كيف تمثل !.. فتاة لم يلقنها احداصول التمثيل ولا فن الالقاء او دقائق مخارج الالفاظ .. ولكنها مع ذلك تمثل لان التمثيل فى دمها وفى طبيعتها ..

ووجدت نفسى انحنى قليلا الى الامام ـ وانا جالس فى مقعدى ـ واتتبع حركاتها واشاراتها .. الى ان وصلت الى الموقف الذى تقول فيه .

( اريد ان القى عليك درسا فى الغزل !.. درسا فيما يحبه الرجل !. )

وكانت كما قلت تمثل الدورين .. ولكنها فى هذا الموقف تقدمت نحوى فقد كان لابد لها من يد تمسكها بيدها .. يد تتناولها وتدور بها على ذراعها تتحسسها ..

ومضت البطلة او حميدة تقول :

( ولكننى فى النهاية اتركك تقبلنى )

( **حميده** ) : قبلنى !..

( **انا** ) : كلا ..

( **حميده** ) : لا تفسد الموقف ..

( **انا** ) : قلت لك لا .. لن اقبلك ..

وقبل ان استطيع حركة واحدة انحنت وهى تقول ( اذن اقبلك انا ! ) وقبلتنى على فمى .. وانثنت عنى تضحك وتمشى فى سطور دورها وتقول :

( وتركتك حائرا تتخبط .. هل انا اجد او امزح !

واية فتاة انا بين الفتيات ! )

( **انا** ) : انت .. انت شيطانة ! والآن اذهبى ..

( **حميده** ) : قبل ان اتم تمثيل المشهد ؟ ..

( **انا** ) : يكفى هذا .. اذهبى ..

( **حميده** ) : لعلك تخاف ختام المشهد !.

( **انا** ) : قلت لك اذهبى ..

( **حميده .. ضاحكة** ) : وان اطوق عنقك بذراعى .. وامسح صدرك بصدرى واقول لك احر قنى .. وشفتاى تبحثان عن **فمك!**

وتشاغلت باخراج منديلى امسح به عرقى ولم اجب !

وتقدمت منى . وكان صدرها يعلو ويهبط .. ويكاد نداء عينيها يمسك بى ويصرخ !

**وقالت** : والآن هل تقدمنى ليوسف وهبى وتوصيه خيرا بى.؟

**قلت** : سأعطيك خطابا له . . . لاننى مشـــغول الآن بالاســتعداد للامتحان .. ووقتى لا يتسع ..

**قالت** : وهو كذلك ..

**قلت** : وعلى شرط ان يوافق ابراهيم ..

**قالت** : سوف يوافق ..

**قلت** : غدا اعد لك الخطاب ..

ومشيت الى الباب افتحه ..

**وقالت هى** : هل تطردنى ؟

**قلت** : لقد انتصف الليل او كاد .. واخشى ان تنزل امك لتدعوك من عنـــد ابراهيم فلا تجدك معه ..

**قالت** : ان امى نائمة الآن ..

ولكنى امسكت بذراعها وسحبتها الى الباب .

وهمست هى ويدى على الباب لاغلقه وراءها :

ـ انت اول رجل يقدم لى خدمة من غير ان يطلب الثمن !

**وهمست انا بدورى** : وكم رجلا عرفت ؟..

وابتسمت فى وجهى وهى تقول :

ـ سعدت مساء .. لاتنس الخطاب.. ايها الطفل الصغير!

* * *

وتوقفت هنا قليلا عن رواية قصة سهاد وابراهيم لكى اشعل سيجارة

وقال صديقنا توفيق الحكيم وهو يفرغ ما بقى من قدحه :

ـ يا لها من فتاة !.. بل يا لها من امراة !.. لقد أمعنت فيها النظر هذا المساء فخيل الي ان السنين قد مرت بها مرور النسيم ! .. اهاجت فتنتها وزادتها اشتعالا ! ..

**قلت** : انها الآن فى تمام نضوج المراة .. فى الخامسة او السادسة والثلاثين من عمرها !

**وتساءل الصاوى** : ولكن الم يقرنوا فى يوم ما اسمها باسم صابر بك صبرى وكيل وزارة المعارف للفنون الجميلة حتى زعموا انه ينوى الاقتران بها بعد ان تطلق من ابراهيم ..

**وقال توفيق الحكيم** : صحيح . واذكر ان مجلة روزاليوسف نشرت يومئذ مقالا شديدا كان عنوانه اذا صدقتنى الذاكرة (حامى الفنون ليس دائما حامى الاعراض ! ) .. وكان للمقال ضجة كبيرة !

**قلت** : نعم . ولكن ابراهيم لم يطلقها ... ولو انه فعل لكانت اكبر الظن قد تزوجت من وكيل الوزارة .. ولما كانت علاقتها بابراهيم قد انتهت بهذه المأساة !.. ولكن الضجة التى قامت عقب الحادث ثم محاكمة ابراهيم .. هذه وتلك اتاحتا للصحافة الاسبوعية فرصة استغلتها الى ابعد حد فنشرت كافة التفصيلات وكانت فضيحة لم تعرف مصر مثلها منذ ربع قرن .. وكان صابر بك صبرى مرشحا يومئذ لدخول وزارة على ماهر باشا التى تالفت فى اواخر صيف ١٩٣٩ ! ولكن رفعته اضطر يومئذ ان يستبعد اسم صابر بك من قائمة اعضاء

وزارته .. كما اضطر صابر بك نفسه ان يقطع علاقته بسهاد لكى يخنق الفضيحة ويضع حدا لاقاويل الناس ...

( **الصاوى** ) : وهكذا فقدت سهاد صابر بك صبرى ! وفقد صبرى بك كرسى الوزارة ..

ـ نعم ! والا لكانت سهاد او حميدة بنت ام عبده الخياطة قد اصبحت زوجة لصاحب معال ووزير !! . . والآن هل اكمل حديثى او ارجىء الباقى الى غد ...

( **توفيق الحكيم** ) : لا .. لا .. استمر .. والليل امامنا طويل ..

ـ ولكنك عطست مرتين .. واخاف أن يصيبك برد !

وقام توفيق .. ثم عاد وقد لف « فوطة » حول راسه وشد طرفيها حول عنقه !

واستانفت الحديث ...

* * *

قلت انى وعدت حميدة أن اعطيها خطاب توصية ليوسف وهبى ... ثم سحبتها من ذراعها الى الباب ... وفى هذه المرة اغلقت وراءها الباب بالمفتاح حتى لا تعود . ولكنى اعترف انها تركتنى وانا فى حالة غير طبيعية .

وهنا ضحك الصاوى وتوفيق

**قلت** : نعم . كنت فى حالة غير طبيعية .. ولاتنسيا اننى كنت يومئذ فى فورة الشباب ! . ولقد جلست الى مكتبى أحاول ان احصر ذهنى فى قانون تحقيق الجنايات ولكن ! . . أنفاس حميدة كانت لاتزال تلفح عنقى . ووجدتنى أدور بلسانى على شفتى .. أمسح أو أتذوق لا أدرى ـ أثر قبلتها فى فمى . . وذلك النداء فى عينيها .. نداء الانثى للذكر .. وصدرها الذى كان

يعلو ويهبط وقد برز منه نهداها في غير جهد ولا كلفه ·· وأخيرا لمحت كتب القـــانون من أمامي واعتمدت رأسي بين يدي أفكر !· الا ما كان اسهل ان أنال من حميدة ماأشتهي·· ولكني أنفت!· أنفت منهـــا مرة وأنفت مـــن نفسي مرتين ! ·· ولو اني كنت أحسست انها تعرض نفسهـــا علي عن عاطفة أو مايشبه العاطفة فلربما كنت ضعفت ! .. ولكنني موقن انها تنظر الى جســـدها كسلعة تباع ·· وتبـــاع لـــكل راغب مادام يدفع الثمـــن ! وأنا أكره عمري سوق الرقيق ! ·· وانفت من نفسي ان اخون ابراهيم ! ان أخـــون هـــــذا الطفل وان يكن يكبرني بعامين ·· والذي كان يثق بي ويطمئن الى رأيي وينـــظر الى كأنني شيء كبير!· اذن ماذا أفعل؟ ·· لقد أحسست في تلك الليلة ان الغواية قد تكون أقوى من العقـــــل وأقوى مـــن الضمير ·· والا لما وجد الشيطان شيئا يفعله ! ·· وان حميده قد تعود ! ·· بل لابد ستعود !· غدا أو في ليلة ما ·· لقد جاءت الليلة من أجل ان أقدمها ليوسف وهبي لكي تعمل في فرقته !· وغدا أو بعد غد سوف تعود ـ وفي الليل دائما ـ لـــكي أوصي يوسف أن يسند اليها دور كذا في رواية كيت ! ·

ثم تعود الى بعدها ، وفي الليل دائما ـ لكي أرجو أصدقائي من النقاد المسرحيين أن يكتبوا عنها وأن يذكروها بالخير !

وقمت عن مكتبي ·· ومشيت أذرع غرفتي ! ·· لقد قالت لي الليلة · أنت أول رجل يؤدي لي خدمة من غير أن يطلب الثمن!· ولـــكن هل أنا قادر دائما ـ أو سأكون قادرا دائمـــا على أن أرفض تناول الثمن ! ··على أن أستقبلها ليلة بعد ليلة ·· وأشيعهـــا الى الباب ·· وأنا أقول كلا ! · · ثم ماذا اذا هي أصرت ·· ومسحت صدرها بصـــــدري وهمست في فمي « أحرقني ·· وخذ الثمن!·»

كلا . هذا لن يكون ! . . وامامى امتحان العام ! . . اذن لابد أن أغادر هذه الدار . . وأقيم الاسابيع الباقية على انتهاء العام الدراسى فى أحد «البنسيونات» حيث أستطيع أن أراجع دروسى فى هدوء وأستعد للامتحان .

وارتحت الى هذا الرأى . . وأويت الى فراشى وصوت حميده فى أذنى يقول « وتركتك حائرا تتخبط . . هل أجد أو أمزح ! وأية فتاة أنا بين الفتيات » ! .

أى فتاة أنت بين الفتيات ؟

أنت شيطانة . . شيطانة . شيطانة لها عينان تنساب منهما نظرات . . ولها صـــــدر يعلو ويهبط . . ونهدان بارزان .

الى أن غلبنى النعاس !

* * *

وفى الصباح أعددت الخطاب وقدرجوت فيه « عزيزى يوسف» أن يلحق بفرقة رمسيس حاملة هذا الخطاب وهى فتاة أعتقدانها « خلقت للتمثيل » ـ هذا نص عبارتى كما أذكر ـ وانه يستطيع أن يجعل منها ممثلة ذات شأن كبير اذا هو أولاها عنايته . . الى آخره .

وتركت الخطـاب مع خادمى عبدالسميع . وأوصيته ان لايعطيه اياها الا اذا طلبته . . وعلى شرط أن يكون ذلك أمام ابراهيم لاننى كنت حريصا ـ كمـا سبق ان قلت لها ـ على ان يوافق ابراهيم على اشتغالها بالتمثيل .

وغادرت الدار مبـكرا لـكى أبحـث عن غـرفة فى أحـــد « البنسيونات » لاننى كنت عقدت نيتى على أن لاأقضى ليلة أخرى تحت سقف هذه الدار .

ووجدت الغرفة المناسبة بالقرب من ميدان الاسماعيلية أو ميدان

الخديو اسماعيل .

وبينما أنا واقف فى محطة الترام انتظر اذ اقبل على يحيينى الاستاذ احمد عسكر ـ وقدتوفاه الله منذ سنوات وكان يشغل يومئذ منصب مدير ادارة مسرح رمسيس .

وركبنا الترام معا . أنا فى طريقى الى مسكنى فى المنيرة . وهو الى مستشفى قصر العينى لكى يعود صديقا مريضا .

وجلسنا نتحدث عن الموسم المسرحى وقد أشرف على نهايته وعن رواية «توسكا» التى أخرجها يوسف وهبى والتى قامت فيها فاطمه رشدى بدور البطولة . وقال احمد عسكر ان يوسف بك قد ندم أشد الندم على اخراج الرواية المذكورة .

**قلت**: لماذا ؟لقدنجحت الرواية وأتت بايراد كبير .

**قال** : نحن نسلم بهذا .. ولكننا خسرنا فاطمة .. وعزيز عيد . . .

ـ فاطمة رشدى ؟

**قال** : نعم . فان نجاحها فى دور توسكا قد ادار راسها وادار راس زوجها عزيز عيد . وغرور الاثنين اصبح لايطاق .. ولا يمر يوم دون أن يتقدمابطلبات جديدة وشروط جديدة .. ويخبط يوسف بك اليوم يدا بيد ويقول انهاصبح لا يطيق الاثنين .

. . هذا وقد اوشك قطارالترام ان يصل الى المحطة التى سانزل فيها . . وتذكرت فجأة

**وقلت** لاحمد عسكر :

ـ على فكرة .. لقداعطيت اليوم فتاة خطاب توصية ليوسف بك

**قال ضاحكا** : لعلك وجدت لناالممثلة التى تحل محل فاطمة ؟

**قلت** : من يدرى ! . .

واسرعت أقول وانا أحييـــه وانزل من الترام :

ـ قل ليوسف ان كل حرف كتبتـه فى الخطاب صحيح .. وان الفتاة ممثلة موهوبة ..

وكانت مقـابلة المصادفة هذه او هـــذا الحديث القصير بين احمد عسكر وبينى هو السبب الاقوى الذى حمل يوسف وهبى على قبـــول حميده فى فرقة رمسيس !.. اما خطاب التوصية فقد كان ممكنا ـ كما قال يوسف نفســه فيما بعد لحميده ـ ان أكون كتبته واعطيته اياها تورطامنى وادبا معهـا .. ولكن رايي الذى ابديتـه لاحمد عسكر هو الذى اثر فيه لانه ـ اى يوسف وهبى ـ كان يعتقـد دائما اننى « افهم فى فن التمثيل » .

ولكننى لم اعرف هذا كله الابعد شهرين .. فقد مر شهران قبل ان القى حميده وابراهيم !

* * *

وفى نفس اليـوم ـ فى ساعة ما بعد الغداء ـ حملت حقائبى وغادرت مسكنى الى (البنسيون) وتركت لعبد السميع مهمة شحن العفش والاثاث البسيـط الى بلدتى فى الريف كمـا كنت افعل كل عام . واوصيته ان لايعطى عنوان مسكنى الجديد لالحميدة ولا لابراهيم ! .

واقبلت على مراجعـة دروسى وكنت لا اخرج من «البنسيون» الا نادرا .. لشراء حاجـة ما او لأتريض مشـــيا الى كوبرى قصر النيل ثم اعود . . وهكذا مرت الايام والاسابيع .

وذات يوم قابلنـى وانا عائد الى «البنسيـــون» الاستاذ مصطفى القشاشى صاحب مجلة الصبـــاح وكانت ادارة المجلة يومئذ بالقرب من ميدان الخديو اسماعيل وتبادلنا التحية وقال الصديق بابتسامة :

ـ سهاد دى كويسة قوى !

**وقلت أنا** : سهاد مين ؟

وابتسم صاحب الصباح ومضى يقول كأنه لم يسمع سؤالى :

ـ ويوسف بك بيقـــول انه سيكون لهـا مستقبل عظيم ! !

ـ ولكن سهاد دى تبقى مين ؟

وغمز الاستاذ القشاشى بعينه

ـ باه ماتعرفش سهاد ؟

**قلت** : لا . .

**قال** : صاحبتك التى ارسلتها بخطاب منك ليوسف بك . .

وبهت . . ومضت ثوان قبل ان اقول :

ـ اسمها سهاد ؟ . . اسمها الآن سهاد ؟ .

**قال** طبعا اسمها الآن سهاد !

**قلت** : لقـد اوصيت يوسف حقيقة بفتاة ولكن اسمها حميده

وقال الاستاذ :

ـ حميـــده ؟ . . ربما . . ويظهـر أن يوسف بك اختار لها اسم سهاد . . .

وتذكرت . . . فقلت : وعلى فكرة يا ابو درش . . انها ليست صاحبتى كما تظن بل هى مخطوبة لشاب اعرفه . .

ولكن صاحب الصباح الفراء سكت واكتفى بالابتسام !

* * *

اذن . . فقـــد نالت حميده مناها واصبحت ممثلة فى فرقة رمسيس . .

ويبـدو انها نجحت على قصر عهدها بالتمثيل . اوهكذا فهمت من الصـــــديق صاحب مجلة « الصباح » .

وكنا فى الثلث الثانى من شهر مايو وكنت قد انقطعت عن قراءة

الصحف والمجلات .. اذ لم يبق على الامتحان سوى أيام معدودات ولكنى ارسلت خادم «البنسيون» فأحضر لى اعداد المجلات التى صدرت طول الاسبوع .. ومضيت اقلب صفحاتها وابحث عن اسم حميده . . أو سهاد !

ولم أحاول ان اسأل نفسى ساعتئذ عن سر هذا الاهتمام !

وقرات فى مجلة الحسان أن سهاد الممثلة الناشئة التى ظهرت اخيرا على مسرح رمسيس من خريجات الليسيه فرانسيه وابنة طبيب كبير ؟!

وهكذا ! . بدات دعاية مسرح رمسيس التى يغذيها أحمد عسكر تحت اشراف يوسف بك!

وفى مجلة الكشكول مقال طويل عن سهاد التى التحقت بمسرح رمسيس منذ شهر واحد بمرتب قدره ستة جنيهات والتى رفع مرتبها هذا الاسبوع الى ثمانية جنيهات ! .. ثم طلبت المجلة من قرائها فى ختام المقال أن يتساءلوا معها « لماذا يا يوسف بيه ؟ » مع ان فى فرقته ممثلات لم يزد مرتبهن قرشا واحدا منذ عامين ! . .

وبعدها عدد كبير من علامات التعجب والاستفهام تاركة للقراء ان يفهموا منها مايفهمون!

اما مجلة الصباح فقد روت خبر زيادة مرتب سهاد على انه تقدير لها وللكفاءة التى اظهرتها فى دور « جوبيت » فى رواية الرئيسة .

وقالت مجلة (المسرح) ـ بامضاء شارلى شابلن ـ ان سهاد سيكون لها شأن عظيم فى الفودفيل ! .

اما مجلة روز اليوسف فقد قالت أن خير دور قامت به هذه الممثلة الناشئة هو دور (كاميلا) فى رواية (البئر) . وان تمثيلها فى

الفصل الثالث كان رائعا وانهـاتفـــوقت على يوسف وهبى تفوقا تاما !!

ثم ذكرت روزاليوسف فى باب الاخبار ان يوسف بك سـوف يسند دور « توسكا » الى سهادومن المنتظر ان تظهر لاول مرة فى هذا الدور اثنـاء موسم الصيف على مسرح الهمبـــــرا فى الاسكندرية ..

ووجدت فى مجلة « الفنون » صورة لسهـاد وقد كتب تحتها ان هـذه اول صورة تنشر لهذه الممثلة التى يقول الاستاذ يوسف وهبى انه سيكون لها شان كبير

ووجدتنى ابتسم واتساءل . « ترى ماذا قالت ست ام عبـده الخيـــاطة عند ما رأت صورة ابنتها منشورة فى المجلات ؟ .. او ماذا يقول عبد العزيز البقال اذا راى صـــورة حميده وقرا المكتوب تحتهـا انها ابنة طبيب كبـير ومتخرجـة فى مدرسـة اللسيسيه فرانسيه ؟ .. حميده التى طالمـا وقفت امامـــه فى الصباح بجلباب النوم وفى قدميها قبقـــاب من خشب وبيدها « سلطنية » تبتاع منه عسـلاوطحينة بقرش لطعام الفطور ؟

وطويت المجـــلات ! .. لقد حققت حميده لنفسها ما ارادت

* * *

وجاء الامتحـــان .. ومضى الامتحان ..

وحـــل يوم اعلان النتيجة واسماء الطلبة الناجحين ـ وكنا فى اوائل شهر يونية ـ وذهبت الى جـــريدة الاهرام اسأل عن النتيجـــــة وهل اسمى بين الناجحين ؟

وتركنى الاستـــــاذ صالح البهنساوى المحرر بالجـريدة فى غرفته وذهب يسأل هل وصلت كشوف الطلبـــــة الناجحين فى امتحان مدرسة الحقوق .

وبينما أنا فى الانتظار دخل ابراهيم .

واحسست انه سر حقيقة لرؤيتى فقد اقبل على يحيينى بحرارة ويقول :

واخيرا ! .. هل جئت تزورنى ؟ . .

**وابتسمت وقلت** : يمكن ان تقول هذا .. ولكنى اعترف انى جئت للسؤال عن نتيجة الامتحان ؟ .

**قال** : خيرا ان شاء الله ؟

**قلت** : هذا ما ارجوه!.. وانت كيف حالك ؟ .. والمسرحية ؟

وتردد لسانى فى السؤال عن خطيبته حميده !

**قال** : الحمد لله ! . .

وسكت قليلا قبل ان يقول :

ـ طبعا عرفت ان حميده التحقت بمسرح رمسيس ؟ .

**قلت** : نعم .. مما قرأته اخيرا فى بعض المجلات .

ثم اضفت بابتسامة :

ـ ويظهر انها كانت على حق فى ثقتها بنفسها وفى مواهبها واستعدادها للتمثيل . فقد وجدت شبه اجماع بين النقاد على اطرائها .. والاعجاب بتمثيلها

وهز ابراهيم رأسه وقال : نعم انها ممثلة موهوبة ما فى ذلك شك .. ( ثم ابتسم بمرارة وهو يقول ) ولكنها لا تقنع بهذا !

سألته ماذا يعنى ؟

ولكنه لم يجب على سؤالى بل **قال** : ماذا تفعل هذا المساء ؟

**قلت** : لا شىء على وجه التحديد .

**قال** : هل تقبل دعوتى للعشاء ؟..

وابتسم حياء وهو يقول :

ـ اظن اننا نستطيع الآن ان نرد لك شيئا من دينك الكبير . .

وندعوك لتناول العشاء ولو مرة واحدة ! ..

**قلت** : يسرني جدا ان امضي السهرة معكما ..

قال وهو ينظر الى ساعته :ان حميده عندها الآن حفلة «ماتنيه» وسوف تمر بي وتنتظرني كعادتها في بار اللواء الساعة التاسعة والنصف .

وهنا دخل الاستاذ صالح البهنساوى يصيح : مبروك ! . نجحت يا استاذ ..

وقال ابراهيم وهو يهز يدي مهنئا ..

ـ اذن من حسن حظنا ان نحتفل بنجاحك الليلة حول مائدة العشاء ..

واستأذنت وخرجت لكي ارسل الى أهلي برقية بنجاحي في الامتحان . ثم اعود الى بار اللواء امام جريدة الاهرام وانتظر ابراهيم .

وكان يجلس حول مائدة اخرى قريبة مني الدكتور حسين (بك) هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة والاستاذ حفني محمود (بك) عضو الهيئة الوفدية في ذلك الوقت والاديب الكبير المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري والمرحوم الاستاذ سليمان فوزى صاحب مجلة الكشكول .

وكانوا يتحدثون عن استقالة المستشار مستر كرشو عضو هيئة محكمة الجنايات التي كانت قد اصدرت حكمها ببراءة احمد ماهر والنقراشي وحسن كامل الشيشيني من تهمة الاغتيال .

وقد استقال مستر كرشو الانجليزى احتجاجا على الحكم ببراءة (المرحوم) احمد ماهر .

وفي هذا كان يدور الحديث عند ما وقفت سيارة تاكسي ونزلت منها فتاة رشيقة .

ونهض حفنـــى بك محمود يحييها ويمـد اليها يده ويدعوها للجلوس ..

ووقف الحاضرون تحية لها . ولعل وقوفهم ـ وقـد احاطوا بها ـ هو الذى حال دون رؤيتها اياى ..

وكانت الفتاة حميده أو . . سهاد ! ..

واخذت الفتاة مجلسها بينهم وقال الاستاذ عبد العزيز البشرى

ـ كنت اوم سليمان ( يقصد الاستاذ سليمـــان فوزى ) على مانشرته الكشكول عنك فى عددها الاخير ؟ .

واسرع صـــاحب الكشكول يعتذر ويقول : ان الخبر لم يمر عليه والا لمـا اجاز نشره!

وضحـك الدكتور هيكل بك وقال :

ـ هـــذه دائما حجة رئيس التحرير عند مايواجه المجنى عليه!

واشتركت سهاد فى الضحك وقالت :

ـ ولكنى بالعكس أود ان اشكر سليمان بيه ..

وظن القوم انها تسخر ولكنها قالت :

ـ ان الاستاذ يوسف وهبى يقول دائما ( افضل ان يشتمنى الناقد فى صفحة كاملة خيرا من أن يمدحنـــى فى سطور قليلة ) .. وانا من رأى يوسف بيه !

وانسابت من عينيهـا نظرة طويلة ـ نظـرة اعرفها جيدا ـ نحو صاحب الكشكول وارتبـك المرحوم سليمان فوزى ولكنـه ابتسم وقال :

ـ واذا مدحك فى صفحة كاملة؟

اجابت : اشكره مرتين !

قال : موعدنا اذن العدد القادم

واسرع الاستاذ الشيخ البشرى يقول :

ـ وانا الذى ساكتب المقال . . والتفت الى الدكتور هيكل بك يسأله :

ـ والسياسة الاسبوعية الاتكتب شيئا عن سهاد ؟ .

واجاب الدكتور هيكل بك :

ـ سوف اطلب من ناقدناالفنى الاستاذ محمود كامل ان يشاهد تمثيلها ويكتب عنها .

( سهاد ) : اذن قل لهان يحضر يوم الاربعاء القادم . . فسأقوم لاول مرة بدور البطلة فى رواية « التاج » .

. . . . . .

ولقد حرصت ان اصف ياصديقى لكما هذه الجلسة لكى اعطيكما صورة عن سهاد فى اول عهدها بالتمثيل . . وكيف انها استطاعت وفى شهرين اثنين واثناء جلوسها فى بار اللواء فى انتظار ابراهيم . . ان تعقد روابط الود والصداقة مع طائفة من كبار الصحفيين والادباء ورجال السياسة وان تجعلهم يحرصون على ودها وعلى خدمتها ! . . ولست ادرى ـ وانا لا احب ان اظلمها ! ـ لست ادرى هل تقاضوا منها الثمن . . او انها قالت لكل منهم كما قالت لى ذات ليلة ـ ( انت اول رجل يؤدى لى خدمة من غير ان يطلب الثمن ) ! . . لست ادرى ! . . ولكننى اعرف انها كانت مستعدة دائما لان تدفع الثمن ! . . لانها كانت تريد ان تحقق مطامعها وان تصل ! . . وها هى ذى فى طريق الوصول ! . .

بل وفى شهرين اثنين . . حققت ماتعجز عنه الكثيرات ! . انها سرعة تقطع الانفاس !

* * *

ورفعت حميده راسها وهى ترى ابراهيم يخرج من باب

جريدة الاهرام ..

واتجه ابراهيم مباشرة الى.. وهنا فقط التفت حميدة وراتنى ورفعت يدها بحركة رشيقة وقالت :

ـ هالو ! ..

هـكذا .. هـالو ! .. ولااقل دهشة .. ولا اى اثر لاقل انفعـــال بدا على وجهها ! . كانما نسيت تماما اننا لم نتقابل منذ شهـــرين ! .. بل كانما نسيت تماما آخر مقابلة لنا .. وكيف كانت .. وكيف انتهت !

**وقلت** انا .. هالو ! ..

ووقفت اسحب مقعدا ليجلس فيه ابراهيم !

* * *

وغاظنى ان حميده ظلت جالسة بين اصحابها كانها لم تر خطيبها ابراهيم . ولكنى لم اقل شيئا .

**وقال ابراهيم** : ـ وكانمـــا ادرك مايدور براسى : ـ

ـ لقد كنت اعترضت فى اول الامر على جلوسهـــا مع هؤلاء السادة وامثالهم ، ولكنى انتهيت الى انها على حق .

وسكت انا ولم اقل شيئـــا .

وهز كتفيه وقال :

ـ فى هذا البلد الكفاءة وحدها لاتكفى .. ان لم تجد سندا من النفوذ واصحاب النفـوذ . ( ثم اضاف وهـــو يبتسم ) .. الم نلجأ اليك ، حميـدة ، وانا ، لكى تقدمنـــا الى يوسف وهبى ؟ . وهاهى ذى حميدة قد استطاعت بفضل معارفها واصدقائها هؤلا. ان تجعـل صحافة البلد تكتب عنها كمـــا تكتب عن شهيرات الممثلات ..

ثم ضحـك ـ وكانت ضحكته لاتخلو من مرارة ـ وهو يقول :

ـ بل لقد توسط حفنى بك محمود فى شانى عند الاستاذ داود بركات فزادوا مرتبى جنيهين ابتداء من هذا الشهر .

**قلت** : مبروك .

**قال** : شكرا ..

ثم ضحك مرة اخرى وهو يقول :

ـ ولكنى اخاف يوما يقول فيه عنى الناس اذا مررت امامهم « هذا ابراهيم عصمت زوج الممثلة سهاد » ! ...

وتجاهلت المعنى الذى رمى اليه وقلت :

ـ الا يرضيك نجاحها ؟

**قال** : انت تعرف ان حميدة هى عندى كل شىء .. ولكن نجاحها يخيفنى !

**قلت** : لماذا ؟

**قال** ( وقد اطرق براسه ) :

ـ اخاف ان ياتى يوم ترانى فيه شيئا قليلا !

واشاح بوجهه عنى ..

وقبل ان اقول شيئا .. رايت حميدة ـ او سهاد ـ تقف وتستاذن من اصحابها وتقبل علينا .. واخلى ابراهيم مقعده لها ودخل المقهى ليحضر مقعدا آخر .

**وقالت** هى من غير مقدمة : الى هذا الحد كنت تخافنى ؟

**قلت** : اخافك ؟

**قالت** : نعم ... حتى لقد تسللت هاربا دون ان تترك وراءك عنوان مسكنك الجديد ؟

**قلت** : لعلى اشفقت عليك من نفسك ...

**قالت** : او اشفقت على نفسك منى ! .

**قلت** : الامر سواء ..

وهنا عاد ابراهيم . وقالت هى :

ـ كنت اعاتبه على انه ترك المنزل ولم يترك وراءه عنوان مسكنه الجديد ...

وابتسم ابراهيم وقال : لعله خاف أن نقطع عليه مراجعته لدروسه .. ولا تنسى اننا اضعنا عليه ساعتين فى تلك الليلة ...

وكدت اقول ... بل ثلاث ساعات فقد عادت حميدة وحدها ايها الطفل المسكين !!

ومضى ابراهيم يقول :

ـ ولكن الم يكن يحسن بك ان تشكريه قبل ان تعاتبيه ؟

**قالت** : اشكره ؟

**قال** : نعم ... فلولاه لما الحقك يوسف وهبى بفرقته .

**قالت** : هذا صحيح ...

**وقلت انا** : يسعدنى اننى استطعت ان أؤدى لك خدمة ..

وقالت هى بابتسامة لم تخل من سخرية : وارجو ان تكون الاخيرة ... فلن اثقل عليك بعد اليوم !

**قلت** : الحمد لله على انك لم تعودى بحاجة الى !

**قالت** : الحمد لله !

**وقال ابراهيم** : هل هنأته على نجاحه فى الامتحان ؟

**وقالت** : لم يقل لى شيئا عن نجاحه .. ولكنه لم يهنئنى انا على نجاحى !

**قلت** : لعلى احتفظ بهذه التهنئة ليوم تمثلين فيه دور البطولة فى مسرحية ابراهيم .

وهنا قال ابراهيم : اخشى ان يطول انتظارها لهذه التهنئة !

ونظرت اليه حميدة وقالت : كنت اظن انك قد اقتنعت برايى .

واجابها ابراهيم : هذا حديث طويل .. ولعـــل ضيفنا قـد جاع !

والتفت اليها يقول :

ـ سوف نحتفل بنجاحه حول مائدة العشاء .. هلم بنا !

وقالت حميدة وهى تتـكىء على ذراعـه بدلال : ومتى نحتفل بنجاحك انت ؟

**قال** : عندما اتم كتابة القصة ؟

**قالت بضجر** : ولـكن بمكنك أيها العنيد أن تنتهى منها فى يوم واحد لو تريد ؟

**قال** : هذا اذا وافقتـك على رأيك ... ولكن سوف نتـكلم فى هـذا الموضوع حـول مائدة العشاء

وقام ابراهيم يبحث عن سيارة تاكسى ..

وقالت لى حميدة همسا و نحن نتبعه :

ـ هل انت حاقد على ؟

قلت : انا ؟ .. كلا ... لمـاذا ؟

**قالت** : لعلى اخطأت اذ قلت اننى لن اطلب منك خدمة اخرى ؟

وتوقفت قليـلا عن السـير وقلت :

ـ ترى ما هى الخدمة الجديدة التى تنوين أن تطلبيها منى ؟

وجذبتنى برفق من ذراعى و هى تقول ساخرة :

ـ لا تخف ! فلن اعرض عليك الثمن ! . كل ما اطلبه منك هو أن تنضم الى فى الراى !

قلت : اى راى ؟

**قالت** : سترى ...

* * *

وسألتهما ونحن فى السيارة : متى يتم القران ؟

**قال ابراهيم** : ان حميدة ترى أن تؤجله الى ما بعدالصيف !
**وقلت** : ولماذا الى ما بعد الصيف ؟ .
**قالت هى** : لاننى سأمضى فصل الصيف فى الاسكندرية مع الفرقة .. فلا معنىلزواجنا الآن مادام عمل ابراهيم سوف يضطره للبقاء فى القاهرة .

* * *

وحول مائدة العشاء فىمطعم « باريزيانا » قال ابراهيم :
ـ لقد سألتنى ذات مرة عن موضوع القصة التى اكتبها وعن فكرتها ...
**قلت** : نعم ... واذكر انك قلت ان حميدة عندها فكرة ..
**وقالت حميدة** : وكان ابراهيم يعارض فيها .
وقاطعها قائلا :ولا ازال إعارض .
( **حميدة** ) : ولكنك منذ يومين اثنين وافقتنى على رايى .
وامسك المسكين بيدها و قال :
ـ هذا صحيح .. ولكن عندما اخلو بنفسى واتخيل الموقف والمشهد الاخير ... والحوار الذى يدور بين بطلى القصة .. عندها تثور رجولتى ...
( **حميدة** ) : رجولتك ؟ !
( **ابراهيم** ) : نعم رجولتى ... بل وكل غريزة ورثها الذكر من قديم الازل ! .. نعم الذكر ولا اقول الرجل .. بل كل ذكر ... انسانا كان او حيوانا ...
( **حميدة** ) : ولكن ما دخلرجولتك ؟ .. انك ياصاحبى تخلط بين شخصيتك كما تحسها وبين فنك كمؤلف يكتب ويرسم صورا من الحياة !
( **ابراهيم** ) : ولكن الاثر الفنى سواء اكان لوحة ام قصة

أم قصيدة يحمل دائما طابع خالقه أى طابع الفنان . . .

( **حميدة** ) : الطابع شيء . . . والشخصية او الاخلاق شيء آخر . . والا فهـــل تزعم ان عطيلا يعكس شخصية شكسبير . . وروميو قطعة من شخصية شكسبير . . وشيلوك صورة من اخلاق المؤلف شكسبير . . والملك لير . . وماكبث وهملت ؟ . . هذه الشخصيات المتناقضة المختلفـــة الالوان المتضـــاربة الاخلاق امكن ان يقـــال عنها جميعها انها ترسم صـــورة او صورا من شخصية شكسبير وعقلية شكسبير ونفسية شكسبير ؟! . . هذه دعوى لم يقل بها احد . . ( ثم اضـــافت ضاحكة ) : ولو كانت كل قصة مسرحية تعد كما تزعم قطعـــة من شخصية مؤلفها ومن نفسيته لكان المؤلف يوسف وهبى اكبر قاتل سفاح يطالب حبل المشنقة بعنقه الغليظ . . وهو مع ذلك بشهادة اصدقائه وخصومه رجل هادىء مسالم وديع !

وضحكت أنا فقد كان منطقها محبوكا وان كان خيـــل إلى ان فيه ثغرة ما ! . .

* * *

واخيرا قلت لابراهيم :

ولـكننى لم افهم حتى الآن سبب الخلاف .

**قال ابراهيم** وهو يبتسم :

ـ الخص لك راى حميدة فى كلمتين . . آدم هو المسئول دائما عن اخطاء حواء ! . فلولا ضعف آدم لما اخطأت حواء . . .

وضحكت أنا وقلت : ولـكن الشيطان هو الذى اغوى حـــواء بالمعصية !

وصاحت حميدة : لان آدم كان اضعف من الشيطـــان والا لاستطاع ان يغرى حواء بالطاعة والايمان . . ولـكنه تركها على

هواها فأغواها الثعبان

وقال ابراهيم ساخرا : تركهاعلى هواها بعدان حذرها وبصرها بسوء العاقبة . وبعد أن اعطته كلمة أن لاتقرب شجرة التفاح .

وهزت حميدة كتفيها وهى تقول :

ـ وهل لامراة كلمة ؟ ... انكم معشر الرجال تناقضون انفسكم .. تسمون المراة الجنس الضعيف ولكنكم لا تصفحون عن ضعفها ! ... تسمونها الجنس الضعيف ولكنكم لا تسمحون لها أن تضعف ...

( **ابراهيم** ) : قد نصفح عنها مرة .. ولكننا لا نصفح مرتين !

( **حميدة** ) : ولكنكم تغفرون للرجل مرة ومرتين وثلاث مرات ... ومع ذلك فان الرجل هو الجنس القوى .. اليس كذلك ؟ اهذا منطق الحياة عندكم ؟ تغفرون للقوى ... وتأبون الرحمة على الضعيف !

وهز ابراهيم راسه اسفا كانما قد يئس من مناقشتها واقناعها والتفت الى يقول :

ـ هذا هو اس الخلاف بينى وبينها ... ان المسرحية التى اكتبها تعالج امر العلاقة بين الرجل والمراة .. او بين ( هو وهى ) ـ وهذا هو الاسم الذى اخترته للقصة ـ وكيف تتطور هذه العلاقة وكيف تتفاعل عناصرها ... مع عناصر الوسط والبيئة والاخلاق والظروف ! .. وقد حاولت ان اعرض عرضا عادلا نزيها لزيجات هذا العصر ومآسيها . واى نصيب من المسئولية يقع على الرجل ... واى نصيب يقع على المراة ؟ .. ولكن حميدة تريد ان تقذف الاتهام كله فى وجه الرجل ... وان تلقى المسئولية كلها على راس الرجل ... ( ثم سكت قليلا .. قبل ان يقول ) وليتها تقف فى رايها عند هذا الحد ..

والا لما تعذر التوفيق بين رايها ورايى .. ولكنها تريد أن تعاقب الرجل على ماتسميه اهماله .. وضعفه فتدفع المراة الى أحضان عشيق بعد عشيق .. ثم تجعل المراة تواجه زوجها بما كان منها .. وتعترف وتقذف فى وجهه بعارها وعاره .. وتقول له ما خلاصته : « انت المسئول أولا وأخيرا » !

والتفت الى ابراهيم يسالنى :

ـ قل لى بالله ماذا تفعل انت لو قدر لك أن تكون هذا الرجل ؟ .. بل ماذا يفعل اى رجل اذا واجهته امراة بهذا الاعتراف وهذا الاتهام ؟

**قلت** : اخنقها بيدى ... وهذا قليل !

**قال ابراهيم** : وقد تقتلها ثم تقتل نفسك ! او قد تلطمها وتركلها ثم تطلقها وتطردها من دارك وهذا اقل القليل ! .. ولكن لا هذا ولا ذاك ؟ ... حميدة ترى غير هذا الراى ! حميدة تريد من الرجل أن ينتهى به الامر فيعترف لهذه الزوجة الزانية بانه هو المخطىء وانه هو وحده المسئول . ثم يتوسل اليها وهو يجثو امامها أن تبقى وتستانف الحياة معه ..

**قلت بدهشة** : تستانف الحياة معه ؟

**قال بسخرية ومرارة** : نعم . لان حميدة تريد من الزوجة بطلة القصة ـ بعد ان خانت زوجها مرة ومرارا ـ تريد منها ان تانف من العيش مع هذا الزوج الابله الضعيف .. وتهم بمغادرة الدار .

**قلت** : والزوج يتوسل اليها ان تبقى ؟!

**قال** : نعم . ولكنها ترفض ان تبقى معه ( واطلق ضحكة عالية ثم قال ) : .. ثم اتدرى ما هو الختام ؟ .. ختام القصة كما تريد حميدة ؟

**قلت** : كلا ...

**قال** : يقتل الزوج نفسه ! . . . لا بسبب العار الذى لطخ اسمه ! . . وانما يقتل نفسه لأنه لايزال يحب زوجته ! . . ولان زوجته هذه قد هجرته ! ولان حياته بعدها لا تساوى عناء الحياة !

وكانت حميدة تصغى الى زوجها وقد زمت شفتيها . . . ومدت ذراعها على المائدة تنقر بأصابعها نقرا خفيفا .

والتفتت الى بعد ان انتهى ابراهيم من حديثه !

ـ ما رايك ؟

**وقلت** : لا شك ان الفكرة جديدة . . على المسرح المصرى !

**وصاح ابراهيم** : . . . على المسرح المصرى ؟ بل وعلى كل مسرح !!

**قالت حميدة** : وهل فرض عليك أن تكتب كما يكتب سواك ؟ وان تفكر كما يفكر سواك ! وان تقدم للمسرح صورا قديمة وآراء قديمة ؟ . . . وحلولا قديمة معروفة لمشاكل قديمة معروفة ؟ . . اين اذن الجديد والتجديد ؟ . . .

**وقال ابراهيم** : اى جديد واى تجديد ! . . الامر كما قلت امر غرائز ابدية فى صدر الذكر ! غرائز لا تخضع لحكم تطور العصر ولا لحكم التجديد ! . .

**وقلت انا** : ان الخدم يجمعون المقاعد . . ولم يبق سوانا فى المطعم . . .

وقام ابراهيم ليدفع الحساب . . .

**وقالت حميده** : لم تكشف عن رايك صراحة فى ختام القصة ؟

**قلت** : لا اريد ان اغضبك !. .

**قالت** : اذن فلست من رايى

**قلت** مطلقا ..

**قالت** : اذن كنت تقتلنى ؟

**قلت** : اقتلك .. لماذا ؟

**قالت** : .. اذا احببتنى !

**فابتسمت انا وقلت** : نعم .اذااحببتك وتزوجتك وخنتنى .. كنت اقتلك !..

**قالت** : ولكن ماهى الخيانة ؟

**قلت** : الحنث فى الحب أو فى الوفاء . .

**قالت** : ولكنى اعرف اناسا وفوا من غير حب !.. واناسا خانوا وهم يحبون ! .. اعرف امراة تصدق فى يمينها اذا اقسمت براس زوجها . وهى مع ذلك تخونه فى كل يوم ! واعرف امراة تكره زوجها ولا تطيق أن تلمسها يده ولكنها مع ذلك لم تخنه حتى اليوم !

**قلت** : اذن ماهى الخيانة عندك ؟..

**قالت** : قل لى أولا ماهو الحب؟ اقل لك ما هى الخيانة !

**سالتها** : وهل تؤمنين بالحب ؟

**قالت** : نعم . .

**قلت** : والخيانة ؟

**قالت** : اية امراة لم تخن صاحبها ؟ !

ضحكت وقلت امك ..

ودهشت هى **وقالت** : امى ؟

**قلت** : نعم . امك .. حواء ! ولعل اول فضيلة فيها انها المراة الوحيدة التى لم تخن صاحبها !

ضحكت **وقالت** : فضيلة ولا نفضل لها فيها ! .

**قلت** : لماذا ؟

**قالت** : لم يكن هناك رجل آخر تخون آدم معه ! .

واقبل ابراهيم علينا ونحن نضحك وقال :

ـ علام تضحكان ؟

**قلت** : كنا نتحدث عن آدم وحواء !..

* * *

**وقالت** حميده ونحن فى طريق العودة :

ـ ولكننا لم نتفق على راى فى شان ختام القصة ؟

وتململ ابراهيم وقال :

ـ لن تقنعينى برايك ! انك تريدين منى ان ادافع عن المراة الزانية ! ..

**قالت** : كلا . لااسألك دفاعا عن المراة .. ولكنى اطلب منك ان تهاجم وتتهم ضعف الرجل واثرة الرجل ..

**قال** : سوف يرجمنى الجمهور بالطوب والحجارة .

**قالت** : كما رجم المصلحين من قبلك ! ..

**وصاح ابراهيم** : مرة اخرى لن تقنعينى برايك .

**وصاحت هى** : ولكنك منذ يومين اثنين اقتنعت .. وكتبت فعلا ختام القصة ومشهدها الاخير ! ..

**قال** : نعم .. ولكنى لما خلوت بنفسى ...

وصاحت هى فيه : اذن بربك لا تخل بنفسك ! .. أين هذا المشهد ؟

**قال** : فى درج مكتبى بالجريدة

**قالت** : اذن نمر بالاهرام ...وتحضره .. وسوف نقرؤه معا. الليلة .. وننتهى الى قرار لاننا سوف نسافر الى الاسكندرية بعد اسبوع وانا اريد ان تقرأ القصة ليوسف بك قبل سفره .

* * *

واستوقفنا العربة أمام جريدة الاهرام . . وذهب ابراهيم ليحضر ختام القصة من درج مكتبه :

**وقلت لحميده :**

ـ ولكن ما سر هذا الالحاح من جانبك ؟ هل انت من انصار الخيانة الزوجية ؟

ضحكت **وقالت** : ربما !

**قلت :** ومع ذلك فانت صاحبة الراى « الروح نور والقلب نار والجسد الحطب » ؟

**قالت** : ولم لا ! القلب شيء . . والجسد شيء آخر !

**قلت** : معنى هذا ؟

**قالت** : الحطب من عندى . . والنار من عنده هو !

ثم ضحكت وقالت :

ـ كلا . لست من انصار الخيانة . . ولكنى اؤمن بالواقع . . واؤمن كذلك بالتجديد ! والواقع كما نعرفه وان كنا لا نجرؤ على اعلانه . . هو ان هناك ازواجا عديدين يعرفون خيانة زوجاتهم ويسكتون ! لماذا يسكتون ؟ . . هذا ما اريد بيانه فى هذه القصة !

وقال ابراهيم وهو يجلس بيننا فى العربة :

ـ ختام القصة فى جيبى . . فالى اين نذهب ؟

**قلت** : الى غرفتى فى البنسيون . .

وصاحت **حميدة** هكذا . . تدلنا على مسكنك الجديد ؟

ضحكت **وقلت** : لا خوف . . فانا اسافر غدا او بعد غد الى الريف ! . .

* * *

وتسللنا الى غرفتى . . واجلست ابراهيم امام مكتبى واضات الى يساره المصباح الكهربائى . . . وتناولت مقعدا جلست فيه الى

جانبه . واما حميده فقداختارت ان تمـــدد فوق المقعد الطويل « الشيزلونج » الموضـــوع فى مواجهة الفراش . .

**وقال** ابراهيم وهو يخرج من جيبه بضع اوراق ويضعها امامه فوق المكتب :

ـ هذا هو ختام القصـــة ومشهدها الاخير كما كتبته مساء امس الاول واحب ان اقول كمـاقلت فى مرة سابقـة ان لحميدة نصيبا كبيرا فيه . . واماالقســم الاخيرمن هذا المشهدفانه كلهمن وحيها . ولا فضل لى فيه بل ولاأطلب لنفسى اي فضل فيه !

وضحكت حميـده ضـحكة خفيفة وقالت :

ـ شكرا . . .

والتفت ابراهيم الى ومضى يقول :

ـ وقبل ان اقراه الآن امامكأعيد مماسبق ان قلته وهو اننى ارفض ان ادافـع عن خيـــانة الزوجية . .

**(حميدة):** هذا رايك !. . ولنترك الآن الحـكم لصديقنا وسنرى رأيه ماذا يكون . . .

وبدأ ابراهيم يقـــرأ . . .

* * *

المنظر غرفة نوم ـ ادراج مفتوحة ـ وقطع من الثيـاب ملقاة على الفراش والمقعد وهنا وهناك . . .

« **هى** » واقفة وسـط الغرفة بملابس الخروج ومن فوقها معطف ـ وامامهـــا على ارض الحجرة حقيبـــة متوسطة الحجم ـ وعلى مائدة الزينة حقيبة صغيرة

تتلفت حولها . . . ثم تقف ساهمة كانما تراجعنفسها فى امرها . . . واخـيرا تمشى الى زر الجرس وتضـغط عليه . . وتقف تنتظر . . .

تسمع دقا خفيفا على الباب ..

( هى ) : ادخل ...

( يفتح الباب ويدخل زوجها )

( هى ) : ... انت ! ... كنت اطلب احد الخدم .

( هو ) : الخدم ناموا .. !ولكن .. ماذا ؟.. لم تخلعى ملابسك ؟ ...

( يتلفت حوله ويرى الادراج المفتوحةوالثياب المبعثرة هنا وهناك ... ثم يرى الحقيبة الموضوعة على ارض الغرفة ) .. وهذا ... ما معنى هذا كله ؟ .. وهذه الحقيبة ؟

( هى ) : انى اغادر الدار ... اتركك .

( هو : تتركيننى ... لماذا ؟

( هى ) : لقد احتملت فى حياتى معك فوقما يحتمل البشر ... والليلة عزمت على ان انهى كل شىء .. كل علاقة .. وان اتركك !

( هو ) : ولكن لماذا ؟ هل جننت ؟ الست سعيدة فى حياتك هنا ؟ .. انك تخرجين متى تشائين .. وتعودين متى تشائين ... ( وبلهجة حزينة ) لقد كففت منذ سنوات عن التدخل فى شئونك الخاصة ...

( هى ـ تضغط على اسنانهالكى تحبسمافى صدرها ): ... من مصلحتك انت أن تقطع هذا الحديث ! .. صدقنى من أجل الماضى وحده وذكراه البعيدة .. اوثر ان لا انفجر !

( هو ) : تنفجرين ؟ .. اهذا جزاء الحسنىوالمعروف؟

( هى وشفتاها ترتجفان غضبا ) :

ـ الحسنى والمعروف ! . . نقطع هذا الحديث ! . . لقد عزمت على ان اهجرك !

**( هو )** : ولكنى زوجك . . .

**( هى )** : العصمة بيدك . . وتستطيع دائما ان تحتفظ بهذا اللقب ان كنت تجد فيه ما يشرفك . . .

**( هو )** : حذار . . لقد بدات أغضب !

**( هى بسخرية )** : بدا يغضب ! . . وافرحتاه ! . . بدا يغضب . . اخيرا !

**( هو يتمالك نفسه ويقول بصوت هادىء )** : اجلسى . . اهدئي . . أن اعصابك متعبة . . هذه السهرات . وهذه الحفلات المتوالية قد انهكت اعصابك . . أجلسى قليلا ولنتكلم بهدوء

( يتقدم منها لكى يأخذ بذراعها )

**( هى ـ ترجع الى الوراء وهى تصيح )** :

ـ كلا . . . كلا . . . لا تقربنى !

**( هو ـ بدهشة )** : ماذا جرى ؟ . . . الى هذا الحد تنفرين مني ؟ ! . . . ( ثم يهز كتفيه . . . ) ولكن ما من حب يدوم سبع سنوات . . . على الاقل كنت أعتقد ان حبنا الاول . . .

**( هى ـ تنفجر وتنطلق الالفاظ من فمها كالرصاص )** : الحب ؟ . . تحدثنى عن الحب ؟ . . الا حدثتنى عن الكراهية . . عن المقت ! . . كلا . . بل سلنى ما هو الاحتقار ! . . فالمقت فيه معنى من معانى التقدير . . . وانا . . انا احتقرك . . أحتقرك . . احتقرك !

( يتراجع هو خطوة الى الوراء كأن كلماتها لطمات

هوت على صدغيه )

( وتمضى هى تقول .. )

**( هى )** : احتقرك ـ كما يحتقرك جميع من يعرفونك ! ولكن التمساح استعار جلده من جلدك ! .. تمشى بين الناس ولا تحس شيئا ! .. تمشى مزهوا مرفوع الراس كأنما انت ! ! لست انت ! .. والليلة .. .. هذه الليلة فقط .. ونحن فى مينا هاوس .. هل احسست شيئا ! .. مررنا بجماعة ورفعت يدك بالتحية .. فهل رد تحيتك احد ؟ .. واحد منهم فقط هو الذى حنى راسه وابتسم ! .. ولكن انحناءة الراس والابتسامه لم تكونا لك .. بل لى .. لى انا ؟ وقد نالنى كما نالنى سواه!! كلا .. كلا .. لم انته ! ولن انتهى ولو طال الليل الى يوم الدين ! ..

( يتراخى هو فى المقعد الكبير وراسه متدل فوق صدره )

( وتمضى هى فى ثورتها وانفاسها تتلاحق .. )

**( هى )** : بالله .. كم تعذبت ! ..

( تقترب منه وتنحنى فوقه وكأنها تريدان لا تفوته كلمة واحدة مما تقول )

**( هى )** : وهل لاحظت الليلة .. غمزات النساء .. وابتسامات الرجال .. كلما مررنا بجماعة .. وهمسهم المسموع .. « هذا هو . وهذه هى ! . » هل احسست؟ وهل سألت نفسك لماذا ؟ ..

( هو يرفع يديه فجأة ويلطمها على وجهها فترتد عنه خطوة ... ويثب واقفا ويهوى على وجهها بلطمة اخرى )

**( هى )** : وقد حاولت ان تدرأ لطماته .. **وترفع يديها**

**عن وجهها وتنظر اليهما وقد سال الدم من فمها )**

**( هو )** : اخرجى ! . .

**( هى )** : . . واخيرا افاق الرجل من سباته الطويل ! . .

**( هو )** : اخرجى . . .

**( هى ـ وهى تمسح الدم عن فمها بيدها )**

هذه لطمتك الثانية . . اما لطمتك الاولى فكانت منذ ست سنوات . . يوم كنت لاازال احبك !

**( هو )** : عمرك ما احببتنى !

**( هى ـ** تلقى عليه نظرة طويلة . وكأنما تحدث نفسها : عمرى ما احببته ! ! . . **( اليه )**

. . . كلا ! . . . لانى عبدتك ! كانت عاطفتى اقوى من الحب . . نعم . . عبدتك . . اول عام لزواجنا ـ وفى العام الثانى تلمست لك الاعذار ـ ولكنى فى العام الثالث بدأت التمس الاعذار . . لنفسى . . ولنسيانى . . ولوحدتى . . ولكن أتذكر اللطمة الاولى وكانت بعد شهور قليلة من زواجنا . . كنت فى تلك الليلة واقفه هنا . . فى غرفة نومى . . غرفة العرس . . انتظر عودتك من السفر . . وكانت اسفارك لا تنقطع . . . تارة فى الريف تشرف على جنى القطن . . . وتارة فى الاسكندرية لتعجل بشحن آلة حديثة للرى ابتعتها . . وتارة فى طنطا لمقابلة مفتش الرى . . ومرة فى دسوق لمعاينة قطعة من الارض معروضة للبيع . . ومرة فى اجا لمحاسبة المستأجرين . . ويوما فى زفتى لأن وباء فشا بين مواشيك . . ويوما هناك يوما هناك . . وعروسك ـ انا ـ تنتظر ! . .

( يمشى هو الى النافذة ويزيح السجف ويقف امامها يحدق فى ظلمة الليل . . )

( هى ) : فى تلك الليلة . . ليلة لطمتنى لاول مرة . . كنت واقفة حيث تقف انت الآن . . بجوار النافذة . . اترقب انوار سيارتك . . وعودتك بعد غياب اسبوع ! وكنت قد نثرت حولى فى هذه الغرفة . . على الفراش . . وعلى المقعد الطويل . . وهنا . . وهناك . . كنت قدنثرت ثياب العرس . . التى كنت اعددتها من اجلك ! . . هذه قمصان النوم . . ذات الالوان التى كنت تحبها . . سوف البسها لك ! . وهذا معطف واسع من الحرير . . . ارتديه فوق قميص النوم اثناء تناول طعام الافطار معك . . على الشرفة . . وهذا الشال الفه حول عنقى عندما نسير معا فى الحديقة نشم الزهر فى انفاس الليل . . وهذا الثوب سوف ارتديه حين اجلس فى السيارة بجانبك وننطلق معا الى الصحراء . . وهذا الثوب للصباح . . وهذا الثوب للسهرة . . وهذه العطور التى تحبها . . اعددتها لفراشك . . لفراشنا ! . . نعم . . نثرت حولى ثياب العرس ووقفت انتظر عودتك ودخولك على لاقول لك . . ( انظر ! . . هذه الثياب كلها اعددتها لك . . ومن اجلك . . ولكن غيابك طال ! . . اهجت ياحبيبى شهيتى للحب . . ثم تتركنى جائعة؟ . . متى تستقر الى جانبى ياحبيبى لكى البس هذه الثياب لك ) . . نعم . هذاما كنت سأقوله لك ! . . واخيرا وصلت . . وهرعت انا الى هذا الباب استقبلك . . ولكنك دخلت على . متجهم الوجه . . والقيت نظرة على

الثياب . . ثيـاب العرس المنثورة حولى ! . . وقطبت حاجبيك . . وقلت ما هذا ؟ . . قلتها بغضب وضـيق صـدر . . ! واحسـست لحظتها بظلمك لى . ونسيت ما كنت سأقوله ! . . ولاول مرة صعد الدم الى راسى . . وغضبت !. . وصحت فى وجهك : انغيابك طال . . وانك تهملنى . . وان هذه الحياة لا تعجبنى ! . . .

( **تسكت لحظة ثم ..** )ولطمتنى انت على وجهى !. نعم . . لطمتنى . . اولطمت حبى فقد كنت يومئذ لاازال احبك . . آه لوكنت اخذتنى بين ذراعيـك وقبلتنى . . وهمست فى اذنى بكلمة حلوة . . لكنت بكيت على صدرك وسألتك ان تصفح عنى ! . ولكنك لطمتنى . . وخرجت وصفقت وراءك الباب ! . . وتركتنى وحدى !. تركتنى بين ثياب عرسى المنثورة حولى وقـد بدت امامى كأنهـا زهور فى مقبرة ! . . نعم . . فى تلك الليلة حفـرت انت بيدك قبر حبى لك ! . . يالسخرية القدر ! . . لطمتنى يوم كنت احبك ! . وقبلتنى ليلة خنتك ! . . نعم . . قبلتنى ليلة خنتك لاول مرة ! . . اتذكر ؟ . . كلا . انك لا تذكر . . لانك لا تعرف !. نعم ! . . اخف وجهك بين يديك . . وجهك الذى اصبح بلون الرماد ! . . كلا . لن تخيفنى بنظراتك هذه . . لن تخيفنى لانى احتقرك . . وسامضى بالخنجر فى يدى ادور به فى احشائك . .

( **هو** ) : يا عاهرة !

( **هى** ) : زوجتك !

( **هو** ) : اقتلك . . .

( **هى** ) : كلا . . لن تقتلنى لانك تخشى الفضيحة . . .

لانك جبان !

**( هو )** : اذن خنتنى ؟

**( هى ـ بضحكة عالية )** : خنتك ؟.. تسألنى اذا كنت خنتك !.. كنت اظن انك حررت من رمز !... ولكن الآلهة القادرة على كل شىء ... تفر بعجزها وان لا حيلة لها امام الابله والمأفون ! . .

**( هو )** : ومتى خنتنى ؟.ومع من ؟.. اجيبى ...

**( هى )** : مهلا .. مهلا .!.. مع من ؟.. يمكنك ان تبدأ بحرف الالف ...وان تمشى فى الحروف كلها الى الياء !..

**( هو بصوت مكتوم )** : اول مرة !.. متى كان ذلك؟.

**( هى )** : اخيرا اثرت فضولك !.. كان ذلك ليلة قبلتنى وسألتنى الصفح عن اهمالك لى !.. اتذكر ؟! .. اتذكر يوم كنا سنحتفل بعيد زواجنا الثانى !.. وافقت انا فى الصباح ولم اجدك الى جانبى ... وقال لى خادمك انك سافرت الى ضيعتك... وانك ستعود فى المساء وناولنى خطابا منك ! . . واقبل اصدقاؤنا فى المساء . . وانتظرناك طويلا ولكنك لم تعد .. واقبلت صديقاتى يواسيننى ... وكن سمعن عن كثرة اسفارك وعن اهمالك لى .. ولكننى تجلدت امامهن ورحت التمس لك الاعذار ! .. بيد ان تجلدى لم يقنع احدا . . لقد كانت المرارة فى فمى . . والخيبة فى وجهى .. والوحدة تثقل كتفى . . وجرح كبريائى يقطر من عينى ! . . الا صدقنى ـ او لا تصدق فماعاد يهم ! ـ لاشىء يثير المرأة مثل جرح الكبرياء ! . . ولقد جرحت كبريائى فى تلك

الليلة . . وكنت قبلها قد جرحت حبى ! . . وتركنى المدعوون قبيل الفجر .. وعند الباب وقف احدهم ـ كلا . لن اذكر اسمه ـ وهمس «ماأجملك وماأشهاك!» . . ماأجملنى وما اشهانى ! . . انا التى يتركنى زوجى الى الريف ليلة عيد زواجنا لكى يشرف على دق طلمبة جديدة للمياه ! . . وطلب منى ان القاه . . وقبلت !. . كنت يئست منك ! كانت كأس صبرى قد فاضت ! . . عامان طويلان . . من الوحدة والجوع ! . . نعم . . الجوع . . كنت جائعة للحب . . وكنت بدات افقد الثقة فى نفسى . . فى جمالى . . فى شبابى . . وتملكنى الخوف من ان الحب لن يكون من نصيبى . . والا فلماذا انت ـ يا زوجى وحبيبى ـ لماذا مللتنى وزهدت فى واعرضت عنى كأننى لا اساوى فى نظرك جاموسة نفقت او طلمبة للمياه ! . . .

**( تسكت قليلا لتسترد انفاسها كانما الذكرى اهاجت اعماقها النائمة . . اما هو فقد بدا عليه انه تهدم ! . . يعود الى مقعده وقد تهدلت كتفاه . . واغمض عينيه . . ولون وجهه كالرماد )**

**(هى)** : ولو انك كنت قد عدت فى الصباح !. من يدرى !. ولكنك لم تعد . . بل حتى لم تتكلم بالتليفون ! . . لكى تقول مثلا . . عيد سعيد يا زوجتى ! . كلا ! كنت مشغولا بطلمبة المياه ! . واقبل المساء . . ولم تعد . . . وذهبت اليه ! . وامضيت معه ساعات . . وكان ما لا بد ان يكون! لم يكن عن حب . . كلا . . ما جرى لم يكن عن حب . . لا منى . . ولا منه ! . كان متعة له . وعزاء لى . . كنت

اطلب العزاء .. ووجـدت عنده العزاء ! . فقد أعاد الى الثقة فى نفسى .. وأننى ما زلت شابة وجميلة ومشتهاة ! وعدت الى هنا لأجـدك فى انتظارى ! .. ولم تسـألنى أنت أين كنت ؟ .. ولا لماذا أنا مضطربة مصفرة الوجـه زائغة العينين !.. الا ما اثقل الخطـوة الاولى ! . . وما أسهل واسرع ما بعدها من خطوات . . لم تسألنى عن شىء من هذا .. بل رحت تقص على انباء ضيعتك وأن جاموسة نفقت .. وحمارا ضاع ..ثم قبلتنى واعتذرت عن سفرك يوم عيد زواجنا بأنك كنت مضطرا للاشراف بنفسك على تركيب طلمبة الميـاه التى تروى فى اليـوم الواحد كذا فدانا ! .. آه .. تلك القبلة . قبلتـك يوم خنتك ! .. اللطمة جرحت حبى ! . والقبلة حركت فى صدرى ما يشبه الشفقة ..والشفقة أم الاحتقار ! ..آه لو شاء القدر ان تكون القبلة اولا .. واللطمة اخيرا .. آه لو كنت قبلتنى يوم جرحت حبى . ولطمتنى يوم خنتك .. اذن لتغيرت الحيـاة لى ولك ! ..

**( هو ـ كانما يقولها لنفسه)** : نعم .. اخطأت اولا . . واخيرا !

**( هى ـ تقترب منـه )** : أتذكر يوم قلت لك ـ وكنا لا نزال فى العام الاول من زواجنـا ـ لا تتركنى طـويلا وحدى ! . فهززت كتفيك وقلت ما الحيلة واعمـالك كثيرة ! .. اتذكر ! ..

**( هو يحنى راسه ان نعم .. يذكر )**

**( هى )** : اتذكر يوم عدت من سـفر طويل وبكيت انا على صدرك وقلت لك ان اهمالك يجرحنى ويقتل حبى !

**( هو )** : نعم .. اذكر !

**( هى )** : اتذكر يوم عدت من سفر طويل دام شهرا واكثر .. وقلت لك اننى اقاسى من وحدتى هما كبيرا ..

**( هو )** : نعم ...

**( هى )** ... وقلت لك يومئذ حذار ! .. ان حبى وحده هو الذى يبقينى لك ! فاذا مات حبى .. لم يبق هناك ما يبقينى ! .. اتذكر ؟ .. مالك لا تجيب ؟ ! .. نعم . تذكر ! .. وتذكر انك ضحكت فى وجهى وقلت اننى مجنونة !

**( هو ـ بصوت مختنق )** كنت اعمل واكدح من اجلنا ... من أجلك !

**( هى ـ ساخرة )** : او كما قلت مرة ... من اجل المستقبل ؟ !

**( هو )** : نعم . المستقبل !

**( هى ـ بمرارة )** : وها نحن كلانا .. نقف الليلة فيه ! .. نقف فى هذا المستقبل .. الذى اشتريته بحاضرى وحاضرك !

**( هو )** : المال كان من اجلك ! . .

**( هى )** : من اجلى ؟ ! .. ومن اجلى رفضت أن تصغى لدموعى .. لتوسلاتى . . لحبى ؟ ! .. أيها الرجل لا تكذب .. ونحن وقوف عند باب لا لقاء بعده ! .. ان حياتك سلسلة من الزيف والكذب .. ولكن تكذب الآن ؟ .. ؟ما تستطيع أن تكون صريحا معى كما كنت صريحة معك ؟ .. اما تستطيع ان يكون لك مثل شجاعتى .. انا .. كما دعوتنى .. انا العاهرة ! ..

هل تعز عليك شجاعة الصاهرة !

( هو ) : يكفى . . .

( هى ـ وكانما تفكر لنفسها وتقول لنفسها ) : ولو كان لنا بنت او ولد . . فلربما استطعت أن افهم . . لماذا تحرص على جمع المال . . .

( هو ) : انت لا تفهمين !

( هى ) : ربما ! ولكنى افهم انك تركتنى ليلة عيدى من اجل جاموسة نفقت . . وحمار سرق!. . اليس كذلك ؟. . واخيرا جاء اليوم الذى خنتك فيه !. . وبعدها سكت عنك . . . وكففت عن لومك وتذكيرك بحقى عليك كزوجة . . . وبواجبك نحوى كزوج !. . وسررت انت لانى امسكت عن تقريعك !. . وتركتك تقيم وترحل كما تشاء . . وتغيب وتعود كما تشاء . . وتركتنى انت ـ كما قلت الليلة ـ حرة اغدو واروح كما اشاء . . واختار اصدقائى وعشاقى كما اشاء !. . وانفصم كل مابيننا . . ولم يبق لنا الا اللقب ! انت زوجى . . وانا زوجتك !. . ولكن انا . . انا الماهرة كما اسميتنى . . لم اعد اطيق هزء الناس بى وبك !. . واحتقار الناس لى ولك !. . من اجل هذا اتركك!. . لا الى دار صديق او عشيق كما قد تظن . . كلا . فقد سئمت العبث الدنس !. .

( تنهار قواها فجأة . وتجر قدميها الى الحقيبة الصغيرة الموضوعة فوق مائدة الزينة وتخرج منها منديلا تمسح به دموعها )

( هى ـ تمضى فى حديثها بصوت متقطع ) نعم . . .

ساترك هذا البلد الى بلد لا يعرفني فيه أحد ... الى يوم ينسانى فيه الناس وانسى الماضى وما فيه !.. والله يتولانى برحمته ...

**( هى تمشى الى الباب ...**

**اما هو فكان يصغى اليها وكانما شاخ عشر سنوات ! .. وفجاة ينهض واقفا ويمشى نحوها . . )**

**هو** ) : كلا .. كلا . . لا تتركينى !

**هى** ) : وداعا .. ايها الحب .. والكره معا !..

**هو** ) : كلا .. لا تتركينى ...

**هى** ) : دعنى .. لم يبق شىء بيننا !

**هو** ) : كل شىء يبقى بيننا لو تشائين ..

**هى** ) : هيهات ...

**( هو ينطلق يبكى .. وقد جثا على ركبتيه امامها )**

**هى** ) : ارجوك ... ارجوك بالله لا تبك .. لاتبك.. ان صوت شهيقك لطمات تهوى بها على وجهى)

**( ثم تخفى وجهها بيديها حتى لا تراه يبكى وينتحب)**

**هو** ) : ابقى .. ابقى معى .. لا تتركينى .. اخطأت فسامحينى .. نستانف الحياة معا .. ابقى .. انى احبك ! نعم .. ما زلت احبك !

**( هى ـ بصوت عميق حزين ) :**

ـ صدقنى لو كان بيدى ان ابعث الموتى ... لبعثت حبى لك !.. ولكن .. هنا ...

**( ثم تنظر اليه وهو جاث امامها يبكى )**

ـ لم يبق لك هنا .. فى صدرى .. سوى الاحتقار !.. والله يرحمك .. ويرحمنى !..

**( تسير نحو الباب ... ولكنه يتعلق بذيل ثوبها ... )**

( **هو** ) : لا تتركيني .. لا تتركيني ..

( **هي** ) : وداعا ...

**( هو يخرج من جيبه مسدسا وهو لايزال ممسكا بذيل ثوبها ..**

**( هي ـ وقد اخفت وجهها بيديها)** لا.. لا..لا..

**( يطلق النار في راسه ! ... وينتشر رشاش الدم على ثوبها ويديها )**

**( تجثو على ركبتيها امام جثته ... وتبكي ! )**

وانتهى ابراهيم من تلاوة ختام القصة.. وتشاغل بجمع اوراقه .. ودون ان ينظر الي قال :

ـ ارايت ! ؟

ونفضت حميدة غبار سيجارة كانت تدخنها واستوت جالسة في المقعد الطويل وقالت :

ـ ما رايك ؟

وحرت جوابا !.. كمتفرج واقولها صراحة كانت عواطفي مع البطلة لا مع البطل .. معها هي لا معه هو ! ربما لان ابراهيم ـ وحميده الى جانبه تلهمه او كما قال هو .. المعاني من عندها والالفاظ من عنده ـ ربما لان ابراهيم اجرى على لسان البطلة كل ما يمكن ان يقال في باب الدفاع .. ولم يدع للبطل فرصة يقول فيها شيئا كثيرا !.. وكانت النتيجة ان هذا المشهد النهائي او ختام القصة .. هو انتصار للبطلة وحميدة اذن على حق !.. ولكن ...

واخيرا قلت :

ـ لا رايكما ولا رايى يقدم او يؤخر .. لماذا لا تتركان الحكم للرجل الذى سوف يتحمل مسئولية هذه القصة ... اقصد يوسف وهبى !.. ان شاء قبلها واخرجها كما هى.. وان شاء اشار عليك يا ابراهيم بتعديل كذا او كيت !

ووثبت حميده واقفة تقول :

ـ اوافق !

وقال ابراهيم وهو يضع اوراقه فى جيبه :

ـ لا بأس !

وذهبت معهما الى الباب اشيعهما ..

وسألنى ابراهيم :

ـ تسافر غدا ؟

**قلت** : باذن الله .. أو بعد غد اذا لم يكف غد لشراء ما احتاج اليه

ومد يده يصافحنى ويقول بحرارة ، شكرا.. شكرا جزيلا

**وقالت حميده** : ومتى نراك .. بعد الصيف ؟

**قلت** : نعم .. وربما قبل ذلك اذا زرت الاسكندرية !

وانسابت الي من عينيها نظرة طويلة ... وانا اقفل وراءهما الباب

وفى الصباح ـ وبينما كنت اعد حقائبى ـ دخل الخادم يقول ان سيدة شابة تطلب مقابلتى.. وحزرت طبعا من هى!

واعترف لكما اننى كنت أتوقع هذه الزيارة .. او لعلى كنت ارجوها .. لماذا .. لا ادرى !.

ودخلت حميده تحيينى وتعتذر عن هذه الزيارة المفاجئة وتقول انها حرصت على ان ترانى قبل سفرى لانها تريد ان تستشيرنى ـ كصديق ـ فى امر هام .

وجلست فى مقعد وكان يبدو عليها انها حقيقة مشغولة البال

**وقالت** : هل انت صديق ابراهيم ؟

ودهشت لسؤالها ولكنى قلت : ولم لا اكون صديقا لكما انتما معا ؟

ـ اذن يمكننى ان اثق فى صداقتك لى ؟

**قلت** : طبعا ..

**قالت** : وانك تخلص النصح فيما جئت اسألك الراى فيه ؟

**قلت** : طبعا ...

وسكتت قليلا .. ثم قالت :

ـ ان ابراهيم يخيفنى ..

**قلت** : ماذا ؟

**قالت** : يخيفنى .. احيانا اخاف منه !.

**ضحكت وقلت** : انت تخافين من ابراهيم ؟ لعل العكس هو الصحيح .. فانت تفعلين به ما تشائين .. وتملين عليه ارادتك كما تشائين ..

**قالت** : ... ولكنه مع ذلك يخيفنى !..

**قلت** : لماذا ؟

**قالت** : احيانا عندما اخلو به .. يجلس صامتا .. مطبق الشفتين : ولكنى اشعر كأنما هناك حديث خفى يدور بين راسه وصدره !.. حديث لا تعكسه عيناه .. ولا تنطق به شفتاه .. ولكنى اراه فى تقلصات عضلات وجهه.. وفى رعشة طاقتى انفه .. وفى اصابع يديه !.. واسأله انا «ما بك ؟» فيخفى وجهه بين يديه!.. وهو يقول همسا (احبك.. احبك) !

وسكتت حميده برهة ثم قالت :

ـ مثل هذا الحب يخيفنى !.. هذا حب لايعرف الصفح

.. ولا يعرف السلوى ولا النسيان !.. واقول لك صراحة انني اخاف من هذا الحب . ولاآمن على نفسي من ابراهيم !

**وقلت انا** : انك تبالغين !

**قالت** : كلا !.. ان ابراهيم شـــاذ .. غريب الاطوار .. ولهذا جئت اسألك هل تنصح لي بالزواج منه ؟

**قلت** : ياله من سؤال ! ..الى هذا الحد ؟ .. كنت أعتقد أن زواجكما أمر مقرر .

**قالت** : نعم ولكني .

ولاول مرة رأيت على وجه حميده مايشبه الحيرة والخوف معا .

**قلت** : ولكنك ماذا

**قالت** : هل تظن ان ابراهيم مجنون ؟

وسكتت ! . . وسكت أنا أيضا . ووجدتني بالرغم مني أعود بالذاكرة الى أول يوم قابلت فيه ابراهيم والاثر الذي تركه يومئذ في نفسي .. وكيف اني رأيت فيه شخصا قد يكون عبقريا ..او مجنونا .. ولكنه لن يكون وسطا عاديا .. فقد كانت في أعوار عينيه قوى تتحفز للوثوب !

ومضت حميدة تقول .

ـ ليلة امس بعد أن تركناك .. اقترح ابراهيم أن نذهب الى الجزيرة ونطوف بها قليلا أو نجلس على شاطىء النيل . . قبل أن نعود الى البيت وكنت متعبة ولكني وافقته لاني لم أرد أن أغضبه .. وخصوصا بعد المناقشة الطويلة التي دارت بينه وبيني بشأن ختام القصة! .. وذهبنا الى الجزيرة . . وجلسنا على شاطىء النيل . . وبعد لحظات نهض واقفا ينمسى دون أن يقول شيئا ..وظننت أنا انه ذهب لحاجة ما .. أو

لعله أراد أن يتريض قليلا على قدميه .. ولكنه لم يعد !

ودهشت أنا وسألتها : كيف لم يعد ؟

قالت : لم يعد ! .. انتظرت ربع ساعة . نصف ساعة . ساعة . ولما لم يعد .. خفت أن يكون شيء ما .. حادث ماوقع له .. ورحت أبحث في ظلمة الليل .. وأناديه .. وأخيرا ولحسن الحظ وجدت عربة فركبتها وعدت الى البيت !

وسكتت لحظة قبل أن تقول ..

... ووجدت ابراهيم ينتظرني وقد ترك باب غرفته مفتوحا لكي يراني عند دخولي ! . . أتدرى ماذا قال ؟ .. صاح يسألني : « أين كنت حتى الآن؟ » ـ وظننت انه يمزح . وان مزاحه ثقيل ! . اذ كيف يتركني وحدى على شاطىء النيل في مثل هذه الساعة من الليل ثم يسألني « أين كنت » ؟ .. ولكن نظرة مني الى وجهه أوقفت الكلمات على شفتي ! . . كان وجهه شاحبا . . وعيناه بلون الدم! وظننت انه مريض .. فتقدمت منه ووضعت يدى على جبينه .. هل هو محموم ؟ .. ولكن جبينه كان باردا .. بل كان قطعة من الجليد ! . هذا وهو يعيد سؤاله «أين كنت حتى الآن»؟ . وأحسست خوفا شديدا .. ولكني انحنيت فوقه وقلت : « كنت معك ! .. كنت انتظرك .. لماذا تركتني على شاطىء النيل وعدت وحدك الى البيت ؟ » ورفع رأسه الى .. وخيل الى انه يريد أن يقول شيئا .. ثم رفع يده الى جبينه يمسحه .. كأنما يريد أن يتذكر .. وأخيرا نهض واقفا وأخذني بين ذراعيه وقبلني .. وكان يبكي ! . .

وسكتت حميده مرة أخرى .. ولما لم أقل شيئا سألتني :

ـ ماذا تظن في هذا كله؟ ..

ولم أجب ! .. ماذا أقول؟ الامر حقيقة غريب . .

وأخيرا قلت : لعله متعب ·· لقد أذاب أعصابه فى كتابة هذه المسرحية

ولكنها هزت راسها ! . وشعرت انا كذلك ان تفسيرى ضعيف غير مقنع !

**وقالت هى** : من أجل هذا اسألك هل تنصحنى بالزواج من ابراهيم ؟

وحرت جوابا ·· وأخيرا قلت:

ـ على كل حال لماذا تتعجلين القرار وزواجكما لايتم الا فى آخر الصيف كما فهمت منكما الليلة ؟ ··

وسكتت قليلا .. ثم قالت : اصبت !

ثم مدت يدها وتناولت سيجارة من صندوق سجايرى · · ·

وقالت وأنا أشعل لها السيجارة :

ـ خيل الى أمس انك كنت متحفظا فى ابداء رأيك ؟

**قلت** : أى رأى ؟

**قالت** : رأيك فى ختام القصة !

**قلت** : المشهد من الوجهة الفنية ·· المسرحية ·· جيد وأكثر من جيد · ولكننى من رأى ابراهيم

**وقالت** : ولماذا لم تقل هذا ليلة أمس ؟

**قلت** : لعلى لم أشأ أن أغضبك؟

وانحنت حميده نحوى وقالت : حقا ؟ ..

واسرعت انا اقول .. قبل ان اتورط معها فيما لاخير فيه ..

ـ ولكن عندى اعتراض بسيط · ·

**قالت** : وما هو ؟

قلت : فى ختام الموقف ... عندما يخرج الزوج مسدسه من جيبه ·· وقبل أن يطلق النار على راسه ·· تصيح الزوجة ···

« لا .. لا .. لا .. »

**قالت** : نعم

**قلت** : هل « لا .. لا .. لا » .. معناها ( لاتفعل ! لاتقتل نفسك ) .. أو ان الزوجة ظنت انه أخرج المسدس ليقتلها هى فخافت وصاحت .. « لا .. لا .. »

**قالت** : هو ذلك ! .. لقد خافت أن يقتلها .. وهذا هو المعنى الذى سوف أؤديه اذا مثلت الدور !

**قلت** : ولماذا تأبين على هذه الزوجة أن يكون فى قلبها قطرة واحدة من الرحمة بهذا الرجل الذى أحبته عامين .. بهذا الزوج التعس المسكين ! . لماذا لاتدعينها تقول ( لا .. لا .. لا .. ) رحمة به واشفاقا عليه وقد أحست انه سيقتل نفسه ؟ .. ثم لاتنسى انه لما هددها بالقتل هزأت منه وقالت انه لن يجسر على قتلها لانه يخاف الفضيحة .. فكيف اذن يسبق الى خاطرها انه يريد أن يقتلها هى ؟

**وقالت حميده** : معقول . .

**قلت** : ثم أخشى ان يسأل النقاد مؤلف القصة لماذا يدخل زوج على زوجته ليلا وفى غرفة نومها وهو يحمل مسدسا فى جيبه ؟ .

**قالت بابتسامة** : أصبت .. وماالذى تقترحه أيها المؤلف الكبير ؟

**وضحكت أنا وقلت** : المؤلف الكبير يفكر فى نهاية أخرى ..

**قالت** : وماهى ؟

**قلت** : سوف أكتبها وأبعث بها الى ابراهيم ..

**قالت** : ولماذا لاتبعث بها الى أنا ؟ .

ثم أمسكت بيدى وقالت وهى تضحك :

ـ تصور ! .. ابراهيم يقدم القصة ليوسف وهبى .. ويوسف يحب بالقصة ويقبلها كما هى .. ثم أتقدم أنا وأشير الى الاخطاء الفنية التى أشرت اليها انت .. وأقدم لهما علاجا لهذه الاخطاء .

وضحكت أنا وقلت : كم أنت طموحة !

**قالت** : اذن تعدنى أن تكتب الى .. بالعلاج !

**قلت** : نعم . .

**قالت** : أكتب الى على فندق سان ستفانو . .

**قلت** : فندق سان ستفانو ؟ .. ولكن ممثلات فرقة رمسيس ينزلن عادة على حساب الفرقة فى فندق ريش .. أو قنال السويس

**قالت** : ولكننى سأنزل فى سان ستفانو ؟

**سألتها** : على حساب الفرقة ؟

**قالت** : طبعا لا ..

**قلت** : على حسابك انت . ومرتبك عشرة جنيهات ؟

فضحكت فى وجهى وقالت :

ـ ألم أقل لك انك طفل صغير ؟ . ولكن قل لى لماذا لاتكتب أنت للمسرح ؟

فضحكت وقلت : تنقصنى الملهمة .. مصدر الالهام !

**قالت** : وهى تضع يديها فوق كتفى . .

ـ تنقصك حميده ؟

**قلت** : كلا .. ان حميده نار .. وأنا أخاف النار !

**قالت** : قد تكون النار بردا وسلاما ..

**قلت** : على ابراهيم ! . او ارجو ان تكون كذلك !.. وانا لست ابراهيم ! . .

وضحكت هى .. وهزتنى قليلا بيديها وهى تقول ..

ـ انت تثير فضولى ! .. أو لعل برودك هو الذى يثيرنى .

**وقلت انا** : شكرا ·· ولكن هذا رأيك !

**قالت** : ورأى الناس ؟

**قلت** : لم أسألهم بعد

**قالت** : ورأيك أنت فى نفسك ؟

ابتسمت وقلت : قدتعرفينه فى يوم ما ! والآن هل تردين على السؤال الذى وجهته اليك · · ذات ليلة منذ شهرين ؟

**قالت** : طبعا وماهو ·· اننى لاأذكر ·

**قلت** : وان لاتغضبى ؟

**ابتسمت وقالت** : سأجتهد أن لاأغضب · ·

**قلت** : كم رجلا عرفت فى حياتك ؟

وضحكت طويلا قبل أن تقول :

ـ هل هى الغيرة التى أوحت بهذا السؤال ؟

**قلت** : كلا·· بل ··الفضول

**قالت وهى لاتزال تبتسم** :

ـ اذن فأنت ضعيف الذاكرة

ـ لماذا ؟

ـ لانك نسيت ماقلته أناأمس على لسان الزوجة ـ لسان (هى) وهى تقول لزوجها ( تستطيع أن تبدأ بحرف الالف وتمشى فى الحروف كلها الى الياء · ) هذا ظننت انها الغيرة التى اوحت بسؤالك !

**قلت وانا انظر فى عينيها :**

ـ وهكذا عرفت الحياة ؟!

**قالت** : نعم .. عرفتها وانابعد فى الثانية عشرة من عمرى ! عرفتها على أفواه وفى احضان الآباء والابناء والازواج .. آباء وابناء وازواج السيدات والآنسات اللاتى كنت أحمل لهن ثيابهن

الجـــديدة واجمع منهن الاجرواعود به الى امى ! .. اتدرى ؟
وسكتت لحظـــة ولاول مرةرايت فى عينيها ما يشبهالخجل.
اتدرى ان اول رجل قبلنى فى فمى كان شيخا جاوز الستـين .. وقد اعطانى يومئذ خمســةقروش .. ( وضحـكت بمرارة وهى تقـــول ..) وهكذا بعتقبلتىالعذراء بخمسين مليما ! .
ومدت يدها تقول :
ـ والآن الى الملتقـــــى .. يا ابرد من عرفت !
**قلت** : وما حيلتى وليسعندىنار .. !
**قالت** ـ وانا اشيعها الى بابالخروج .. ( النار بين يديك !) ثم اضافت قبل ان اقول شيئا :
ـ ولا تنس ان تبعث الى بالتعديل الذى تراه فى ختام المشهد الاخير !..
**قلت** : سافعل .. الى الملتقى!
وكانت هـــذه آخر مرة اخلو فيها بحميده التى اشتهرت فيما بعد باسم سهاد ! .

* * *

**وهنـــا قال الصاوى** : الآن فهمت من اين لحميـــده خبرتها بالحيـــاة وما يجرى فى بيوتالناس ! ..
**وقال توفيق الحكيم** : نعـــم ولكننى لمافهم بعد ـ وهىالفتاة الفقيرة التى لم تنل من العلم الاقليلا ـ من اين لها العلم بالفرق بين الطابع والشخصية ؟.. ومناين لها العلم بشكسبير وقصص شكسبير ؟ .
**قلت** : كنت اظـن انك حزرتمن سيـــاق الحديث ! .. لقد عرفتمـــا انها ذكية .. شديدةالذكاء وذات شخصيـــة مطاوعة سهلة التكييف . .ولقد رايتمـاكيف استطاعت فى شهرين اثنين

ان تجالس الصحفيين والساسةوالادباء فى بار اللواء وان تفهم مايقال امامها وان تشترك معهم فى الحديث .. وكيف تختار ثيابها وتبدو انيقة رشيقة .. فهل كثير عليها ـ بعد انامضت شهرين فى مسرح رمسيس والحديث يدور فيه كما يدور فى كل مسرح عن كتاب القصةقديما وحديثا .. وعن فن القصة المسرحية .. والفرق بين شكسبير وراسين وكورنيل .. وساردو وبرنشتين وهنرى باتاى .. الى آخره ! .. هل كثير على حميده ان تلتقط هذه الشذرات من هنا وهنا وان تعيها وان تعرف كيف تستعملها وترددها عند اللزوم ! وكيف تستغل علمها القليل وتغطى بهجهلها الكبير وبين ممثلات اليوم كثيرات مثل سهاد ! .. انبواب مسرح رمسيس نفسه يستطيع لكثرة ماسمعه ان يعدلك على اصابع يديه القصص التى كتبها شكسبير .. فمابالك بالاساتذة يوسف وهبى وفتوح نشاطي واحمد علام ومختارعثمان .. وكل منهم كما أعلم حريص على ان يستعرض ثقافته الفنية امام الممثلين والممثلات وخصوصا امام فتاة فاتنةمثل سهاد ! .

وهز صديقنا توفيق راسه كعادته وقال : صحيح !

واستانفت الحديث ..

* * *

وسافرت الى الريف حيث امضيت شهور الصيف . ولم اس ان ابعث لحميدة ـ على فندق سان ستفانو ـ بالتعديل الذى رايت اجراءه فى الموقف الاخير من ختام القصة .. وقد اخذ يوسف وهبى فعلا برايي ـ او برای سهاد ! ـ لانهاقدمت التعديل كانه من وحيها وتفكيرها .. ولقد رايتما انتما القصة واظن انكما توافقان على انختامها كما كتبته كان خيرا من

الختام الذى كتبه ابراهيم .. وكانت تصل الى المجلات المسرحية فى الريف ولقد عرفت مما كانت تنشره الكثير من اخبار سهاد .. وهى اخبار لم تكن تسرنى - ولا أدرى لماذا - ولا اظن انها كانت تسر ابراهيم . . ومنها مثلا مقال طويل قرأته فى مجلة الفنون وكان المقال بامضاء صاحب المجلة المرحوم الاستاذ كمال الحلى .. وفيه وصف لحفلة اقامها حفنى محمود بك بمناسبة تولية شقيقه المرحوم محمد محمود باشا منصب الوزارة لأول مرة فى وزارة الائتلاف الذى كان يراسها عدلى يكن باشا رحمه الله .. وقالت المجلة - وهى تذكر أسماء المدعوين - ان مطربا ناشئا اسمه محمد عبد الوهاب جاء الى الحفلة فى صحبة أمير الشعراء شوقى بك .. وغنى فيها .. وان الممثلة سهاد القت مونولوجا .. وان الممثلة المذكورة كانت تتولى ملء الكؤوس للمدعوين .. ثم ذكر كاتب المقال كيف ان سهاد هذه جلست بعدها فى ركن مع المطرب الناشىء الذى اسمه محمد عبد الوهاب الى ان احتج على هذه ( الخلوة ) - وقد وضعت المجلة كلمة الخلوة بين قوسين - الى ان احتج عليها الدكتور محجوب ثابت وصاحب الحفلة حفنى بك محمود .. الى آخر هذه التفصيلات !.. ولكن العمزة الحقيقية هى تلك التى ختم بها المرحوم الاستاذ كمال الحلى مقاله .. فقد قال فى نهاية المقال مامعناه : ان هذه الحفلة لم تقم فى الحقيقة ابتهاجا بتولى محمد محمود باشا منصب الوزارة لان معاليه دخل الوزارة فى ٨ يونية أى منذ ستة أسابيع .. لكن شقيقه حفنى بك لم يفكر فى اقامة حفلة الابتهاج هذه الا بعد نجاح الممثلة سهاد فى دور توسكا !! .. ونستطيع اذن ان نقول ان الحفلة اقيمت لسهاد وتكريما لسهاد .

هذا خبر واحد من بين الاخبار الكثيرة التى كانت تنشرها المجلات المسرحية عن سهاد . .

ثم قرات فى اوائل شهـــــر سبتمبر ان فرقة رمسيس تعود قريبا الى القاهرة لكى تستعـد للموسم القادم وان بين الروايات التى ستخرجهـــا رواية ( هو وهى ) ومؤلفها موظف صـغير بجريدة الاهرام !

ومن هذا الخبر عرفت ان ابراهيم قرا القصة للاستاذ يوسف وهبى وان يوسف قبلها منه ؟

* * *

**وهنا سالنى الصاوى :** ولكن الم يكتب لك ابراهيـــــم اثناء اقامتك فى الريف ؟

**قلت :** كـلا . . ولكن حميدة هى التى كتبت الى مرة واحـدة ولولا سؤالك هذا لكنت نسيت ان اذكر لكما امر هذا الخطاب . وكان من اقصر الخطابات التـى تلقيتها فى حياتى فقـد كان من سطرين اثنين وهما ( شكرا كثيرا فقـد وصلنى تعـديل المشهد الختـــــامى وهو رائع ) . . ثم الامضاء ! . .

وبعدها فى سطـــر آخر . . ( ماقولك يا ابرد من عرفت اذا قدمت لك من عنـــــدى النار والحطب معا ؟ )

**ضحك الصـاوى وقال :** وهل رددت على خطابها ؟

**قلت :** كـــلا . . وفى اواخر شهر سبتمبـر قرات فى جميع المجلات المسرحية خبر عقد قران الممثلة ســهاد على الاســـتاذ ابراهيم عصمت مؤلف مسرحية ( هو وهى ) . وارسلت يومئـذ برقيتين للتهنئة احداهما باسم سهـــاد على مسرح رمسيس والاخـــرى لابراهيم بجريدة الاهرام .

وعدت الى القاهرة فى الاسبوع الاول من اكتـــوبر لابدا العام

الدراسى الجـديد .. واخترت مسكنى فى الجيزة لاكون بالقرب من مدرسة الحقوق .. ومضت الاسابيع دون ان اسعى لمقـابلة ابراهيم .. وان شئتما الحقيقة .. تعمـدت ان لا اقابل ابراهيم حتى لا اقابل سهاد !

وفى أوائل شهر يناير غطيت جدران القاهرة بالاعلانات الكبيرة ذات الاثنى عشر فرخـا فى ثلاثة الوان عن درة الموسم «هو وهى» ... وان يوسف بك وهبى تلميذ كيانتونى وبطل التمثيل فى عالم الشرق يقـوم بالدور الاول فى الرواية . .

وتحت هـذا وبخط اصغر قليـلا وضعوا اسم سهاد .. « تلميـذة يوسف بك وهبى عميد التمثيل »

ومثلت الرواية . وكانت ليلة لاتنسى .. واستقبـل الجمهور القصة بالتصفيق الحاد والهتاف! ووقف المؤلف ابراهيـم بين الكواليس وهو يعجب ـ كما قال لى فيما بعد ـ كيف يصفق هذا الجمهور الذى تسعون فى المـائة منه من الرجال .. كيف يصفق وكيف أن صوتا واحدا لم يرتفع بالاحتجاج ! ..

**وسألته أنا** : وسررت طبعا ؟

**قال** : كلا ..

**قلت** : لمـاذا ؟

. فسكت قليلا ثم قال :

ـ لاننـى اضطررت بعدها ان اعترف لحميدة بانها كانت اصدق نظرا منى واكثر فهما للحياة !

* * *

ولكن اذا كان الجمهـور قد استقبل القصة بالاعجاب .. فان النقـاد المسرحيين أو بعضهم استقبلوا ( هو وهى ) بكثير من النقد اللاذع المرير .. وعلى راس هؤلاء صديقنا (المرحوم) الاستاذ

عبد القادر المازنى الذى كتب مقالا شغل نحو صفحة كاملة من جريدة الاتحاد التى كان يراس يومئذ تحريرها وجعل عنوان مقاله «مذبحة الاخلاق على مسرح رمسيس ! كاتب ناشىء يدافع عن زنا الزوجات ! » . ومضى الاستاذ الاديب يستعرض القصص التى اخرجها مسرح رمسيس ويجد فى كل منها «مذبحة للاخلاق» فقال مثلا عن رواية غادة الكاميليا التى كان قد اخرجها يوسف وهبى منذ ثلاثة اعوام انها « قصة تعلم شبابنا الخنوثة والميوعة وتشيد بفضائل انصاف الحرائر والعاهرات » !!

ثم تساءل صديقنا المازنى فى ختام مقاله عما تنوى الحكومة ان تتخذه من اجراءات لوضع حد لهذه الاباحية وهذه الفوضى الاخلاقية التى يدعو لها ويدق طبولها مسرح رمسيس ! . . وختم الاستاذ مقاله بابداء اسفه على ان يكون على راس ادارة المطبوعات رجل طيب ضعيف . وقال ان هذه الفوضى الاخلاقية على مسارح التمثيل تقتضى ان يكون المشرف على ادارة المطبوعات والقصص والاغانى رجلا حازما يعرف ربه ويرعى حرمة الدين والاخلاق ! . .

وكان مدير المطبوعات وقتئذ هو الرجل الطيب حقيقة الاستاذ عبد الرحمن جميعى ! .

وذكرت احدى الصحف الوفدية ان النائب المحترم الشيخ مصطفى القاياتى ينوى ان يقدم سؤالا لمعالى وزير الداخلية عن « هذه الرواية الخليعة التى تمثل على مسرح رمسيس » ! . .

ثم لم تلبث ان نزلت الى الميدان الآنسة سيزا نبراوى . . وبعدها الآنسة منيرة ثابت . فقد نشرت الاهرام مقالا الآنسة سيزا نبراوى دافعت فيه عن حرية الراى وقالت ان من ايات

نهضتنا المباركة ان يقوم كتاب احرار ينددون بظلم الرجال للنساء .. وان الاستاذ المازني يحاول عبثا ان يرجع عقارب الساعة الى الوراء !

أما الآنسة منيرة ثابت فقد نشرت في مجلتها (الامل) مقالا عنوانه ( عهد الشلت والحريم والاغوات قد مضى وفات ) ! ! .

وشغلت الصحافة بين يومية واسبوعية نحو اسبوعين بهذه المسرحية .. مابين حامل ومدافع وناقد ومحبذ وكان من جراء هذه الضجة ان تضاعف الاقبال على مسرح رمسيس .. حتى بيعت الالواج والمقاعد مقدما لمدة ستة اسابيع !! ..

ثم كان ان نشرت مجلة روز اليوسف خبرا قصيرا .. ولكنه في الواقع نقطة التحول في هذه القصة قصة ابراهيم وسهاد . قالت المجلة في صفحة الاخبار المسرحية ان المؤلف الحقيقي لرواية ( هو وهي ) التي احدثت هذه الضجة ليس الاستاذ ابراهيم عصمت كما تقول الاعلانات .. وانما هي زوجه الممثلة سهاد لان المعاني والمواقف من عندها .. ولم يكن لزوجها سوى صياغة الالفاظ ! كما ان يوسف بك وهبي يقول ان سهاد عدلت في ختام القصة كما كان كتبه زوجها الاستاذ ابراهيم عصمت ! ..

وتستطيعان ان تحزرا كما حزرت يومئذ المصدر الذي استقت منه روز اليوسف هذا الخبر .. او الذي أشاع هذا الخبر حتى وصل الى المجلة المذكورة ! كان سهاد طبعا ! وحبها للشهرة .. حتى ولو وصلت الى مناها على حساب زوجها ابراهيم !

ولكنني اشفقت ان يظن ابراهيم انني مصدر الخبر خصوصا انه كان يعلم بصداقتي لروز اليوسف ومحرريها ...

وخصوصا ـ مرة اخرى ـ اننى كنت الوحيـــد على ما اعتقد الذى قال ابراهيـــم امامه ( ان المعانى من عند حميدة والالفاظ من عندى) .. فهل يتهم زوجته؟ او يتهمنـى انا ؟ .. أم تراه يهز كتفيه ولا يبالى بالخبر المذكور ؟ !

وسعيت الى مقابلته . وحول مائدة العشاء فى مطعم (شلستينو) المعروف الآن بمطعـم وبار سان جيمس جلسنـــا نتحدث .. ورأيت انا ان لا افتـــح باب الحـديث فى الخبر الذى نشرته روز اليوسف .

وبدا ابراهيم الحديث ! ولقد بدأه بموضوع لم يخطر لى ببال .

**قال** : أتدرى ان حميدة كانت مترددة فى الزواج منى ؟

وتظاهرت انا بالدهشـــــة وسألته لمـاذا ؟

**قال** : بحجـــة ان واجباتها الزوجية قد تحول دون بلوغها المجـد الذى تشـتهيه فى عالم التمثيل ! ..

**قلت** : ولكن الزواج تم والحمد لله . .

**فتنهد وقال** : نعم .. والفضل للاســتاذ يوسف وهبى الذى اقنعهـا بأن مستقبلها مضمون فى عالم المسرح اذا هى تزوجت من مؤلف مسرحى ناجح مثلى !

ثم ضحك بمرارة وهو يقول :

ـ مؤلف مسرحى ناجح !! ..

وكررهـــا مرتين قبـــل ان يسألنى :

ـ هل قرأت عدد روز اليوسف الاخير ؟ ..

**قلت** : نعم .. واؤكد لك اننى لست مصدر الخبر ..

وقاطعنى قائلا : اعرف هذا ؟

وادركت لحظتها من عينيه ، وقد غاب منهمـــا البياض فى السواد ، انه حزر ماكنت حزرته انا .. وادرك ان مصـدر الخبر

هو زوجته سهاد ! لانه قال بعد سكوت قصير ..

ـ أتذكر ليلة أن تقابلنا فى جريدة الاهرام وقد جئت تسأل عن نتيجة الامتحان ؟

**قلت** : نعم

**قال** : الم اقل لك ليلتها ان حميدة **لاتقنع** بأن تكون ممثلة موهوبة ؟ ..

وسكت انا ! ماذا اقول ؟

**ومضى** ابراهيم يقول : لقد دفع لى يوسف وهبى مائة جنيه فى قصتى .. وقال وهو يناولنى المبلغ ويبتسم ( خمسون جنيها لك وخمسون جنيها لسهاد ) ! . ولم اقل اناشيئا !..

ولكنى ذهبت الى حميدة فى غرفتها بالمسرح وناولتها الخمسين جنيها ! ..

**وقالت هى** ما هذا ؟ فأعدت عليها ماقاله يوسف بك ! .. وضحكت وهى تضع المبلغ فى حقيبة يدها وتقول ( لقد كان ولا شك يمزح معك !.. ولكنه مزاح مقبول ! )

وكان لابد ان اقول هناشيئا.. فقلت :

ـ ان حميدة زوجتك على كل حال .. ثم انت تحبها .

وتنهد وهو يقول :

ـ نعم .. احبها وهى تعلم انى احبها .. وانها كل شىء لى!

**وقلت انا** ـ غفر الله لى ! قلت :

ـ وحميدة ايضا تحبك يا ابراهيم ! .

وأجابنى على الفور :

ـ نعم . اعرف انها تحبنى .

ووجدتنى بالرغم منى انظر فى عينيه ! هل هو يؤمن حقيقة بما يقول ؟ او هى كبرياء الرجل تأبى عليه ان يعترف بالحقيقة

.. حتى ولو بينه وبين نفسه ؟

ولكننى رايت فى عينيه ايمان الطفل البرىء

كان ابراهيم يؤمن بأن حميدة تحبه كما يحبها هو !

وافقت من تفكيرى على صوته وهو يقول :

ـ نعم انها كل شىء عندى .. ولكنى وددت لو تقف بطامعها عند حد معقول ! ( ثم هز كتفيه وقال كأنما يلتمس لها الاعذار ) ... ولكنها ماتزال صغيرة السن . . وسوف تعلمها الايام !

وجرى لحظتها فى خاطرى انه اذا كان بين الاثنين من سوف تعلمه الايام فهو ابراهيم ! . . اما حميدة فقد سبقت عمرها والاعوام وعرفت من الايام اضعاف اضعاف ماتعلمه ابراهيم ! . .

ودخل قاعة الطعام فى تلك اللحظة (المرحوم) الاستاذ انطون الجميل بك الذى تولى فيما بعد رئاسة تحرير جريدة الاهرام ومعه ( المرحوم) الاستاذ الشيخ عبدالعزيز البشرى وبعض رواد باراللواء . . واقبل الاستاذ الجميل بك علينا ووقف ناحيته :

**وقال** : مبروك يا ابراهيم افندى بلغنى ان روايتك نجحت وانك تنوى ان تستقيل من عملك فى الاهرام ؟

**واجاب ابراهيم** : غير صحيح ياسعادة البيه !

**وقال انطون بك** : اصبت . . اكتب للمسرح ان شئت ولكن لاتترك عملك فى الاهرام . . لان الادب يا ابراهيم افندى وخصوصا فى مصر عمل غير مضمون العيش ! . .

* * *

وقال ابراهيم ونحن فى طريقنا الى ( قهوة الفن) التى كانت تواجه مسرح رمسيس ، قال انه بدأ يكتب مسرحية جديدة . . ثم سكت قليلا قبل ان يقول :

ـ ولكنها ستكون هذه المرة من تاليفى انا وحدى ! المعانى من عندى . والالفاظ من عندى وكل شيء من عندى ! . .

ثم كأنما خجل من هذه الفورة ومن هذا الاعتراف الخبيء لانه استدرك واضاف :

ـ لاننى اريد ان تتفرغ سهاد لعملها على المسرح !

واستأذنت منه لكى ادرك آخر ترام الى الجيزة وتركته فى قهوة الفن ينتظر رينما تنتهى سهاد من عملها فى مسرح رمسيس

* * *

وقد احست ساعتها ان فورة ابراهيم هذه تنم عن اعتراف خبيء .. والآن اسالكما كما سألت نفسى فى تلك الليلة هل كان ابراهيم قد بدا يشعر انه ـ الى جانب زوجته ـ لم يعد شيئا مذكورا ؟ .. قال لى ذات مرة انه يخشى ان يجيء اليوم الذى يقول فيه الناس اذ راوه : « هذا ابراهيم نصمت زوج الممثلة سهاد » . اى ان كل نصيبه من اهتمام الناس وتقديرهم له هو انه زوج ممثلة شهيرة فهل احس ابراهيم فى تلك الليلة ان ماكان يخشاه قد وقع او امسى وشيك الوقوع !! .

لقد راى زوجته تصعد خطفا درجات الشهرة .. ورآها وقد اصبحت حديث الصحف والمجلات . . ولقد كان يعزيه عن هذا وذاك بل ويرضيه ويرد عليه ثقته فى نفسه لو انه قرا ثناء او اعجابا بمؤلف القصة ـ اى بشخصه هو ـ ولكن يوسف وهبى حص حميدة بخمسين جنيها اى بنصف ثمن القصة .. لانها شريكة فى التاليف !

ومجله يوسف وهبى تقول ان الفضل فى تاليف المسرحية لزوجة المؤلف اى سهاد .. وسوف ينتشر الخبر طبعا وتتناوله

الصحف والمجلات !

ولكن لعل اقسى ما كان يعانيه ابراهيم فى دخيلة نفسه هو علمه بان الخبر صحيح ! . . وانه يوم قال : ( ان المعـــانى من عندها والالفـاظ من عندى ) انما كان يقول حقا وصدقا !

فى تلك الليلة . . هـــل بدا الزوج يغار من زوجته ؟ . . ومن هنا كانت الفورة لحظة قال : ( فى هـــذه المرة ستكون القصة من تاليفى انا وحدى ! )

وفى هـذا اعتراف خبىء بانه يغار ولم يعـد يطيق ان تكون سهاد شريكة له فى التاليف . . او ان ينسب اليها اى فضل فى التاليف . . . او ان شهرتهـــا كمؤلفة تزاحم شهرته كمؤلف على صفحات الجرائد والمجلات .

هـــل جلس ابراهيم فى تلك الليلة يسأل نفسه ماذا دهاه ؟

هـــذا ودون ان يجسر على تحليل شعوره ليرى هل هو يغار من زوجته الممثلة . . او من المؤلفة « سهاد » !

أوترى ابراهيم احس وادرك ليلتها انه يغـار من سهاد ! . . من زوجته ! من حميدة التى كان يحبها ويعـــدها كل شىء له فى الحياة ؟ .

انها تكون مأساة لا سابقة ولا شبيه لها فى دنيا الادب والتمثيل!

* * *

وكنت كما قلت اسـكن فى الجيزة وهى تبعد كثيرا عن شارع عماد الدين ولهذا السبب كنت لا انزل الى القاهرة الا قليلا . . . كما ان مسرحيـة ( هو وهى ) ظلت تمثل على مسرح رمسيس نحو ثلاثة اشـهر باستمرار . فلم يكن هناك اذن جديد اذهب لاراه ولكننى كنت مواظبا على قراءة الصحف التى تهتم بالمسرح واخبار الممثلين والممثلات . . . ومنها علمت ان يوسف وهبى بك

ضاعف مرتب سهاد تقـــديرا لنجاحها فى مسرحية (هو وهى) ثم لم يلبث أن رفع مرتبها الى اربعين جنيها فى الشهر بعـد خروج ممثـلة رمسيس الاولى السيدة فاطمة رشدى .. وان سهاد استأجرت شقة فى احدى عمارات الخديو القريبة من مسرح رمسيس .. وانها تتشبه بكبيرات الممثلات فى فرنسا لانهـا « فتحت صالونها » تستقبل فيه رجال السياسـة والادباء والصحفيين .

وكنت اقرأ كذلك بين السطور ـ وبين اخبار بعض المجلات ـ غمزا مكشوفا صريحا ... بل وطعنا فى سير سهاد ويكفى ان اذكر لكما خبرا واحدا ما زلت اذكره وكانت قد نشرته مجلة الكرباج وخلاصة الخبر ان ممثلة شهيرة ترى فى هذه الايام دائما فى صحبة احد الشبان الوارثين . فهـل عند زوجها خبر بما هناك ؟ .. ثم طلبت الكرباج من قرائها ان يحزروا من ( هو ) الزوج ومن ( هى ) الزوجة ؟!

ووضعت هـو وهى بين قوسين ! . والاشارة صريحـة والمعنى مكشوف !

وكنت اعجب!. ترى ماذا يقول ابراهيم فى هذا وكيف يسكت على هذه الحملات .. الى ان قابلت يوسف وهبى ذات يوم فى ميدان السباق .. ووقفنا نتحدث عـن الموسـم المسرحى .. وسألته أنا :

ـ ماسر هذه الحملات القاسـية ضـد سـهاد فى بعض المجلات ؟

وابتسم يوسف وقال : من حسن حظ سهاد ان ابراهيم زوجها يعتقد ان هذه حمـلات مغرضة وان سببها الغيرة وانها موعز بها من فاطمـة رشـدى وزينب صدقى وعزيزة امير !

**قلت** : اذن .. ؟

**قال** : هل تعرف المثل السائر ان الزوج آخر من يعرف الحقيقة ؟

ابتسمت وقلت : وصاحب المسرح ؟

**قال** : اول من يعرف الحقيقة ..

**قلت** : والحقيقة ؟

فابتسم وقال : الحقيقة دائما اقوى من الخيال .. اقصد خيال محررى الصحف والمجلات ! ...

ولم ادهش لانى كنت أعرف حميدة التى باعت قبلتها العذراء وهى بعد فى سن الثانية عشرة .. باعتهابخمسة قروش !

ولكنى اسفت وحزنت من أجل ابراهيم ! . ودعوت الله أن يديم عليه هذه النعمة ! نعمة الغفلة وان يبقى عليه اعتقاده فى ان سر هذه الحملات هو غيرة الممثلات من زوجته سهاد !

* * *

والآن يحسن بى ان أوجز فى الحديث والا لما كفتنى هذه الليلة حتى ولا ليلتان اذا انا حرصت على ان اروى لكما كل التفصيلات فى قصة سهاد وابراهيم ...

قبل نهاية الموسم المسرحى ، اخرج مسرح رمسيس المسرحية الثانية لابراهيم وهى ( انفاس الليل) وكانت فى جملتها صفحة قوية من الشعر المنثور ... ولعل ابدع موقف فيها كان موقف سلمى ـ وقد قامت بتمثيله سهاد ـ وهى تناجى حبيبها وتقول ( اتذكر ليلة تهدل شعرى وتراخيت بين ذراعيك واستحى البدر أن يفضح سرى وسرك ، فتوارى وراء الغمام ) .

ونجحت الرواية نجاحا كبيرا .. وافاض النقاد فى الكتابة عن فن ابراهيم عصمت . واعلنوا انه مؤلف مسرحى ينحو فى

بناء قصصه نحوا جـــديدا لم يسبقه اليه احد !

وكتب الاستاذ ابراهيم المازني يثني حر الثناء على القصه ويقول ان الاستاذ ابراهيم عصمت صاحب « مدرسة الاخـلاق » التي اخرجها يوسف وهبي في مستهل هذا الموسم قد عاد الى صوابه ودينه والحمد لله !

واغتبطت انا كثيرا بنجاح ابراهيم وكتبت اليه اهنئه واعتذر من عدم مقابلتي له شخصيا بسبب قرب امتحان الليسانس !

وجاءني منه خطاب يشكرني فيه ويقول انه بدأ يكتب المسرحية الثالثة وعنوانها « دمع ودم » وأنها تعالج الغيرة بين الازواج !

وفي آخر الخطاب ـ وبخط حمدة او سهاد ـ هذه السطور « ان انفاس الليل قد نحت حقيقة ولكن هل تستطيع ان تؤكد لابراهيم ان نجاحها يرقى الى مستوى نجاح « هو وهي » ؟ .. ان ابراهيم يريد ان ينفرد للمرة الثانيـــة بكتابة قصته الجديدة فهل توافق ؟ »

ولم اردعليها وامضيت الامتحان وحصلت على اجازة الليسانس وسافرت الى الريف ولم اعد الى القاهرة الا في شهر فبراير سنة ١٩٢٨ لابدأ حياة جديدة، لقد عينت في وظيفة حكومية ..

وكانت فرقة رمسيس تمثل يومئذ ـ وبنجاح منقطع النظير ـ مسرحيـــة « دمع ودم » او القصة الثالثة لابراهيم وكانت السيدة زينب صدقي تقوم بدور البطلة .. لان سهاد اعتذرت من عدم تمثيل الدور بأنها متعبة ! .. وكانت سهاد في الشـــهر الاول من حملها .

وصدقها ابراهيم وقبل منها هذا العذر .. ولكن يوسف وهبي اكد لي ـ ليلة شهدت القصة وزرته اثناء فترة الاستراحـة في حجرته داخل المسرح ـ ان سهاد كانت قد اعلنته وقبل ان

يبدا حملها أنها لن تمثل فى اية رواية لابراهيم الا اذا اشتركت هى معه فى التاليف . وقال يوسف: انه اخفى طبعا هذه الحقيقة على ابراهيم !

والتقيت وانا اغادر المسرح بابراهيم وسألته عن صحة حميدة فقال انها بخير وكان يبدو عليه انه مغتبط بنجاحه . ولكن فرحه بالمولود المنتظر كان يفوق بكثير اغتباطه بنجاح قصته الثالثة !

وقال ان حميدة دعت لتناول العشاء غدا الاستاذين سليمان نجيب وعباس علام وانها تسر كثيرا لو أننى قبلت الدعوة الى هذا العشاء .

ولكنى اعتذرت بأننى مرتبط غدا بموعد ما .

* * *

وفى شهر ابريل أخرج مسرح رمسيس قصة ( بريد الريف ) وهى كوميديا خفيفة محبوكة التركيب

تأليف الممثلة سهاد والكاتب المسرحى عباس علام .

وفى نفس الشهر مثلت جمعية انصار التمثيل على مسرح الاوبرا مسرحية ( حلال وحرام )

تأليف الممثلة سهاد والاستاذ الاديب سليمان نجيب .

ونجحت القصتان وأفاضت المجلات فى الحديث عن سهاد وقالت «الكشكول» ان لمصر أن تفخر بأنها أنجبت أول امرأة تنبغ فى فنين معا وهما التاليف المسرحى والتمثيل !

وتورطت مجلة الصباح وقالت عن سهاد : انها تجلس اليوم على عرشين . . عرش التاليف المسرحى وعرش التمثيل وأعادت الى ذاكرة قرائها ان سهاد هى المؤلفة الحقيقية لقصة ( هو وهى ) أول قصة كتبها زوجها الاستاذ ابراهيم عصمت

وأعترف لكما اننى أشفقت يومئذ من مقابلة ابراهيم ..حتى لأنظر الى عينيه وقد غاب منهما البياض فى السواد ! .. بل حرصت على أن لاأقابله فى تلك الايام !

وهكذا بدأ الصراع الخفى ..والصراع السافر بين الزوج والزوجة

* * *

ومضت شهور لم أسمع فيها شيئا من اخبار ابراهيم وسهاد اما سهاد فقدكانت احتجبت فى مسكنها بسبب حملها . وكفت المجلات عن نشر اخبارها .. ولكن ابراهيم ماذا يفعل ؟

الى ان كان شهر اكتوبر ١٩٢٨ ... وافتتح رمسيس موسم التمثيلى بمسرحية ( قلوب فى الرماد ) للاستاذ ابراهيم عصمت . وهى قصة كئيبة احسست وانا اشاهدها اول ليلة انها من وحى خيال مضطرب محموم !

وفشلت القصة فشلا ذريعا . واضطر يوسف وهبى ان يقف تمثيلها بعد اسبوع !

وفى شهر نوفمبر وضعت سهاد بنتا ... وهى الفتاة التى شاهدتماها هذه الليلة فى مسرح راس البر وكنت رأيتها انا قبل ذلك بساعتين تبكى وحدها على شاطىء البحر !

وكان لابد ان اذهب واهنىء ابراهيم وسهاد ، وزرتهما لأول مرة فى مسكنهما الجديد ووجدت قاعة الجلوس ـ او الصالون ـ غاصة بالزائرين والمهنئين ..

واقبل ابراهيم يصافحنى . وكان شاحب اللون زائغ النظرات واحسست ـ ولا ادرى كيف اولماذا ـ احسست انه كان يشعر بانه غريب فى داره . . غريب بين هؤلاء الزائرين الذين جاءوا ليهنئوا سهاد .. لا ليهنئوه هو !

وقد اخذنى جانبا وقال وهو يحاول الابتسام : ! هلم بنا نخرج ... اننى اختنق هنا !

**سالته** : وتترك ضيوفك ؟

**قال** : ليسوا ضيوفى .. بل انا احس كأنى اثقل عليهم بوجودى !

وقضينا معا نحو ساعة فى قهوة البودجا .. ولم يبتسم الا عند ما سألته عن الاسم الذى اختاره لابنته فقد اشرق وجهه وهو يقول : نجوى ! اليس اسما ظريفا ؟

ثم لم يلبث ان استغرق فى صمت طويل

واخيرا **سالته** : ماذا بك يا ابراهيم ؟

وقد ندمت لفورى على سؤالى هذا وادركت انى قد فتحت بابا كان اولى ان يظل مغلقا . فقد نظر الى طويلا ثم **قال** :

ـ لماذا تحاول ان تخفى عنى الحقيقة ؟ لماذا لا تقول لى فى وجهى اننى فشلت ؟

**قلت** : فشلت ؟ كيف ... امن اجل قصة واحدة تنكر على نفسك نجاح ثلاث قصص ؟

فحنى راسه وقال : بل فشلت!.. فشلت !.. وسوف افشل فى كل قصة اكتبها بعد الآن ...

ثم انتفض فجأة وصاح فى وجهى :

لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. سلها لماذا لا تقنع بأن تظل ممثلة ؟

**قلت** : وما شأن حميدة بهذا؟.. بل لماذا تقول انك ستفشل فى كل قصة تكتبها ؟

**قال** : هذا ما احسه ! ... لقد استطعت ان اكتب قصتين ناجحتين .. وهى الى جانبى .. ولكنى لا استطيع ان اكتب بعد اليوم وهى ليست بجانبى !

**ولم افهم فقلت :** كيف ... ليست بجانبك ؟ ...

**قال :** نعم . لقد تركتنى . . . ولم تبق بجانبى .. ومضت فى طريقها تؤلف وتوحى لهذا وذاك ... المعانى من عندها والالفاظ من عنده ! .. عمرها ما رضيت بالوقوف خلفى .. او قنعت بالوقوف بجانبى .. كلا . بل ارادت دائما ان تتقدمنى وان تسير امامى ! .. دائما امامى ! اتذكر ؟ .. اتذكر ليلة عدنا معك الى غرفتك فى البنسيون لاقرأ لك ختام قصتى الاولى ( هو وهى ) ؟ .. اتذكر المناقشة التى قامت بينها وبينى ؟ وكيف كانت تزيح كلامى بحركة من يدها كأنه دخان فى الهواء .. لا وزن له ولا قيمة ؟ .. اتذكر كيف راحت تسخر امامك من حجتى .. ومن رجولتى .. وتلقى على درسا فى الفرق بين طابع الفنان وشخصيته ؟ .. ثم تتحدانى ، الم اعترف لها منذ ليلتين اثنتين بصحة رايها وانى اقتنعت ؟ .. وكان هذا حقا .. ولكن بينها وبينى ! ..

ثم مسح جبينه بيده وكان يتصبب عرقا) وقال : كيف افسر لك ؟.. اننى لا احسن التعبير عما فى صدرى !..

وسكت ابراهيم قليلا وقد تدلى راسه فوق صدره ... ثم قال همسا كأنما يحدث نفسه :

ـ فى تلك الليلة اقترحت عليها ان نتمشى قليلا فى الجزيرة .. على شاطىء النيل .. فقد كنت احس ان فى راسى بركانا يوشك ان ينفجر . واننى اريد هواء . . هواء شديدا باردا يلطم وجهى لافيق ! .. وجلسنا على شاطىء النيل .. ولكن دوى البركان ظل فى سمعى .. وزمجرة العاصفة هنا .. توشك ان تشق صدرى وتنطلق ! ... وفجأة تملكنى خوف شديد ! .. ولا ادرى بعدئذ ماذا فعلت .. ولكن حميدة قالت انى

تركتها وحدها على شاطىء النيل وعدت وحدى الى البيت !

ورفع راسه وسألنى بصوت خافت :

ـ قل لى .. هل تظن انى مجنون ؟ ...

وشددت ابتسامة الى شفتى وقلت بلهجة قوية :

ـ انت ؟ انك تمزح ! ... كل ما فى الامر انك متعب ... اعصابك مكدودة !

وادار راسه وعاد الى صمته !

« هل تظن اننى مجنون ؟ »

نفس السؤال الذى القته على حميدة يوم زارتنى فى البنسيون قبل سفرى الى الريف !

هل ابراهيم مجنون ؟ ... ما سبب هذا الخوف الشديد الذى سطا عليه فجأة وهو جالس بجانبها فى تلك الليلة على شاطىء النيل ؟ . ثم الخوف من ماذا ؟ ... هل احس ابراهيم انه يوشك ان يمد يده اليها بسوء ؟ .. ولكن لماذا ؟

ونظرت اليه فاذا بوجهه قد شحب .. وعينيه بلون الدم .. وكانما هناك حديث صامت يدور بين راسه وصدره .. او كما قالت حميدة مرة : ( حديث لا تعكسه عيناه ... ولا تنطق به شفتاه ولكن يبدو فى رعشة طاقتى انفه .. وفى اصابع يديه ) !

واستدار الى فجأة وقال :

ـ ليتنى مضيت فى رايي الى النهاية !

قلت : اى راى يا صديقى ؟

قال : رايى فى ختام القصة ! .. ولكنى ضعفت امامها .. ولن انسى هذا الضعف .. ولن اغفر لنفسى هذه الخاتمة .

ثم نهض واقفا وحيانى بحركة من يده ومشى الى باب الخروج !

* * *

وبقيت وحدى ساعة أواكثر اسأل نفسى : ماسر ابراهيم ؟ . . ولكننى لم أنل جوابا على سؤالى الا بعد قرابة اربعة اعوام . . . ومن حديثى مع احد الاطباء الذين تولوا علاج هذا المسكين !

كان ابراهيم يحب حميدة حبا دونه كل حب . فقد كانت له ـ كما قال مرارا ـ كل شيء فى الحياة ! . . ولكنه كان شديد الاعتزاز بشخصيته وبرجولته . . .

كان فى حاجة الى روح شقيقة تشجعه . . ولكن دون أن تملى عليه ! . . تمشى وراءه لا امامه ! . . او تقف الى جانبه دون ان يكسف نورها نوره . . او تطغى شخصيتها على شخصيته ! . . ولم تكن حميدة ـ كما عرفناها ـ بالتى ترضى بالمشى وراءه . . أو تقنع بالوقوف الى جانبه !

وكان ابراهيم يعانى من جراء هذا صراعا عنيفا بين حبه الذى يضعفه وشخصيته التى تأبى ان تذل ! . . ولكن حبه ظل دائما الاقوى ما دام الامر محصورا بينها وبينه ! . . ومن هنا كان فى كل مرة يسلم لحميدة برايها ويقتنع او يقول لها انه اقتنع ! بل لم يكن يتردد بسبب حبه لها من ان ينسب لها كل فضل . . . مادام هو المتفضل عليها بهذا الفضل ! . . . ويقول لها تفضلى امامى . . مادام هو الذى يسمح لها بأن تسير امامه . أما أن تنتزع هى بيدها هذا الفضل وتدعيه لنفسها امام الناس ! . . أما ان تسير امامه كان هذا حق لها . . . لا فضل منه عليها فهنا . . وتثور شخصية ابراهيم !!

كان يعلم فى دخيلة نفسه ان حميدة اكثر ذكاء منه واسلم منطقا واقوى حجة واعرف منه بالحياة . . . وكان لا يحرجه ولا يجرحه أن يسلم لها بهذا كله . ولكن بينها وبينه ! . . اما ان تعلن على الناس وامام الناس انها الاقوى . . وانها الاكثر ذكاء

.. والاحكم منطقا .. وانها مصدر وحيه والهامه ... وان المعانى من عندها والالفاظ من عنده .. فمتى وتثور رجولته وتثور كبرياؤه . . وينشب فى صدره هذا الصراع العنيف بين حبه وشخصيته !

ومن هنا تفهمان لماذا رضى ان يقول لى فى اول عهدنا بالمعرفة ان حميدة صاحبة الفضل وان المعانى من عندها والالفاظ من عنده ! .. رضى ان يقولها لانه كان المتفضل عليها بهذا الفضل !

ولكنه غضب وثار عند ما انتزعت لنفسها هذا الفضل واذاعته حتى نشرته الصحف و المجلات ! .. وهكذا اعلنت على الملأ تفوقها عليه .. وانه ـ ابراهيم ـ ليس بجانبها شيئا مذكورا ! ...

ومن هنا تفهمان كذلك ، لماذا سلم لها برايها فى ختام القصة واقتنع ولكن بينها وبينه ! ... ولكنه غضب عندما ناقشته امامى والزمته الحجة والدليل !

والآن أسألكما هل هذه هى الغيرة ؟ ... كلا وهنا العجب .. بل هى الحب ! الحب العنيف ! .. او هكذا يزعم الطبيب الذى تحدثت اليه ! فهو يزعم ان الحب هو الرغبة فى الاستئثار بمن تحب .. والاستئثار فيه معنى السيادة ، وانه بقدر ما يكون الحب قويا عنيفا ، يكون الحرص على الاستئثار بمن تحب قويا وعنيفا ! .. وتكون الرغبة فى السيادة قوية وعنيفة !

ومن هنا كانت المأساة فى حب ابراهيم لسهاد !

ولعل هذا الدرس الذى تلقيته من الطبيب الفاضل يصلح ان يكون موعظة وعبرة لكثيرات من زوجات هذه الايام ومنهن من تحرص دائما ـ اذا ضمها وزوجها مجلس واحد ـ ان تتفوق عليه فى الحجة والحديث .. وان تعلن سلطانها وسيادتها عليه

سام الحاضرين !

ومضت الايام تلو الايام والشهور تلو الشهور . . دون ان اسمع حديثا عن ابراهيم وسهاد . . . اللهم الا ما كانت تنشره المجلات الاسبوعية عن سهاد واخبارها « الخاصة » وهى لا تخرج فى لونها عما سبق ان اشرت اليه ! . . او عن نجاحها فى دور كذا او دور كيت . . واذكر ان مجلة المصور نشرت لها حديثا دار بينها وبين رئيس تحرير الزميلة وهو صديقنا الاستاذ فكرى عاظه وقد افضت فى حديثها برايها فى الازياء وبعض الساسة وكبار الادباء . . ومع الحديث صورة لسهاد وقد حملت طفلتها نجوى بين يديها ، وتحت الصورة هذه العبارة : ( ام فاضلة . . . وممثلة نابغة ومؤلفة مسرحية مجيدة ! )

واين ابراهيم ! . . لم يعد شيئا يذكر فى حياة سهاد ! . . لقد حطم القلم لان كبرياءه ابت عليه ان ينافس زوجته فى ميدان واحد ! . . . او لعله اشفق ان تتفوق عليه فى هذا الميدان !!

وانطوى على نفسه . . . وقسم حياته بين طفلته نجوى وبين عمله فى جريدة الاهرام .

ولكنه — وهنا العجب مرة اخرى — ظل مؤمنا بحب سهاد وانها زوجة امينة وفية ! . . . وان الذين تلقاهم من السادة الرجال . . . والذين تستقبلهم فى صالونها من الساسة والادباء وكبار الموظفين ، انما تلقاهم وتستقبلهم لانها طموح . . او كما قال لى مرة . . لانها لا تقتنع بان تظل ممثلة موهوبة ! . . بل هى تطمع فى ان تكون كل شىء !

* * *

وذات يوم ، وكنت اسير فى شارع الموسكى ، التقيت بابراهيم وجها لوجه وكان قد مضى نحو عام منذ افتراقنا فى قهوة

البودجا بشارع عماد الدين .

التقينا وجها لوجه .. ومددت يدى اصافحه ! وبدا على وجهه كأنما هو لا يعرفنى ! ولكنه ـ وبحركة اعرفها ـ رفع يده الى جبينه يمسحه ويقول :

ـ معذرة . لقد ضعف بصرى فى الاسابيع الاخيرة !

ووقفت اتحدث معه واسأله عن احواله .. وعن حميدة والطفلة نجوى ولكننى أحسست انه يريد أن يختصر الحديث .

ومد يده الى وصافحنى وسار فى طريقه .. ووقفت انا ارقب ظهره الذى انحنى قليلا .. وكأنما لم نتقابل منذ عام واحد .. بل افترقنا منذ عشرة اعوام !

ومرت الايام والشهور . . وافتتح مسرح رمسيس موسمه التمثيلى بمسرحية ( انصاف الرجال ) من تأليف سهاد والاستاذ حسن البارودى الممثل بفرقة رمسيس ! .. والقصة كوميديا ساخرة لولا انها ختمت بمأساة !ولعلكما تذكران أن أبطال القصة من الرجال كانت أسماؤهم ( زوزو وفوفو وسونه ) بدلا من عزيز وفهمى وحسين !

وأسماء البطلات كذلك ( زوزو وفوفو وسونه ) وعرفت المؤلفة الساخرة كيف تستغل هذا التشابه بين أسماء شخصيات القصة من الرجال والنساء وكيف تطلق ذنبها تلسع وتلدغ وتنفث سمها فى غير رحمة . . هازئة ضاحكة بانصاف الرجال !

وقامت ضجة دونها الضجة التى اثارتها قصة ( هو وهى ) . ومرة اخرى سن الاستاذ المازنى قلمه وكتب تحت نفس العنوان ( مذبحة الاخلاق ) ونقد المسرحية نقدا قاسيا عنيفا ثم ختم مقاله بغمزة دامية اذ قال ( ولعل الممثلة سهاد تكتب لنا قريبا قصة عن « انصاف الحرائر » حتى يستوى الميزان ! )

وذهب مندوب مجلة المصور يسأل ابراهيم ـ وكان فى مكتبه بجريدة الاهرام ـ رأيه فى مسرحية زوجته ولكن ابراهيم رفض أن يجيب !

وهنا سأله مندوب المجلة: لماذا انقطع عن الكتابة والتأليف للمسرح؟!

ووثب ابراهيم من مقعده وقبض على عنق الزميل المسكين . . وكاد يعصره بيديه لولا أن انقذه الجالسون .

واستدعى الاستاذ داود بركات ابراهيم وعنفه بشدة وهدده بالفصل من عمله ان عاد الى مثلها . . .

وقامت المجلات الاسبوعية على ساق واحدة بحكم التضامن الصحفى وحملت حملة شعواء على ابراهيم عصمت وأسمته احداها « المؤلف سابقا » . . . وقالت أخرى « المؤلف الفاشل » وثالثة كتبت تقول: انه المؤلف الذى لم يستطع ان يصمد امام زوجته فى ميدان التأليف !

اما مجلة الكرباج فقد ختمت حملتها بهذه العبارة . . ( ويكفى فى وصف ابراهيم عصمت ان يقال فيه انه الرجل الذى يعيش عالة على زوجته . . . دون ان يعنى بسؤال زوجته من اين تنفقين ! )

ومضت المجلات الاسبوعية فى حملتها قاسية عنيفة . . . وراى صديقنا الطيب القلب فكرى أباظه أن مجلة المصور هى السبب فيما حدث ولو عن غير قصد، فسعى لمقابلة ابراهيم لكى يتفق معه على مقابلة يجمعه فيها بمحررى المجلات المذكورة ويسوى الامر بينهم وبينه . . .

وكنت كما قلت قد انقطعت تماما عن مقابلة ابراهيم ، وان كنت استطيع ان اتصور حالته فى تلك الايام ، ولذلك لم ادهش عندما سمعت بالخبر . .

كان ابراهيم جالسا فى بوفيه مسرح رمسيس عندما تقدم منه

الاستاذ فكرى اباظه وحياه بلطف وجلس فى مقعد بجواره ثم بدا يقول انه رئيس تحرير المصور وانه هو الذى كان قد اوفد اليه احد المحررين ليسأله ..

ولم يترك ابراهيم صديقنا فكرى يتم عبارته .. بل وثب واقفا واطبق بيديه على عنق الصديق الزميل !

* * *

وفى تلك الليلة نصح الاستاذ يوسف وهبى لسهاد بأن تعرض زوجها على الاطباء الاخصائيين .

وبعد ذلك ببضعة ايام دخل ابراهيم مستشفى الامراض العقلية . وكنا يومئذ فى ربيع عام ١٩٣٣

وانصافا لحميده اقول انها قامت بكافة نفقاته فى المستشفى وتكفلت بأجور الاطباء ...

وقال الاطباء ان ابراهيم ضحية من ضحايا الكبت .. ولقد ذكرت لكما طرفا من حديث احدهم معى وأنا لست طبيبا . كما اننى لم ادرس علم النفس . ولهذا لا أستطيع، وبعد هذه السنوات، ان اشرح لكما مرض ابراهيم كما حدثنى عنه الطبيب المذكور . وكل ما اذكره الآن ومجردا من الاصطلاحات العلمية والتعبيرات الطبية ، ان ابراهيم ظل سنوات وهو يعانى من هذا الكبت . من هذا الصراع الخبىء فى نفسه . الى ان اختل توازن قواه العقلية تحت ثقل هذا الضغط العنيف .. او هذا الكبت العنيف . وانه كان ممكنا جدا لولا لطف الله ... ان ينفجر وان يقدم فى ثورته على ارتكاب اية جريمة او اى عمل من اعمال العنف .

وقال الاطباء بعد عام ونصف عام : ان ابراهيم كاد يشفى تماما .. وانه استعاد هدوءه .. وانهم ـ اذا وافقت زوجته ـ يسمحون بخروجه من المستشفى ولكنهم ينصحون فى هذه الحالة

بأن يحيا ابراهيم حياة هادئة وان يتجنب كل ما يثير الانفعالات .

ولكن سهاد قالت: انها لاتستطيع فى ظروفها الحاضرة أن تصمم مثل هذه الحياة الهادئة لزوجهـا وانها تفضل والحالة هذه ان يبقى ابراهيم فى المستشـفى الى ان يشفى تماما !

ولبث المسكين فى مستشفى الأمراض العقلية اربعة اعوام . . وغادره فى مارس سنة ١٩٣٧ وكنت انا قد سافرت الى أوروبا فى رحلة لم اعد منهـا الا فى اواخر الصيف . ولهذا لا اعرف تماما ماذا جرى لابراهيم بعد خروجه من المستشفى ولا ماذا فعـل ولا كيف استقبلته زوجتـه . . او كيف استأنف حياته معها بعـد غيبة اربعة أعوام . كل ما اعرفه فى هذا الشأن قد سمعته بعـد عودتى ومن افواه الرواة هنا . . وهناك .

* * *

وكان الاستاذ يوسف وهبى قد انصرف قبل ذلك عن التمثيل الى السينما وحل فرقته المعروفة باسم فرقة رمسيس . . وعرض على سهاد ان تعمل معه . . وكان عرضه سخيا ولكنها رفضت وفضلت ان تواصل العمل على مسرح التمثيل . . ولم تمض اسابيع على حل فرقة رمسيس حتى أعلنت الصحف عن تأليف « فرقة سهاد » . . .

وبدأت الفرقة الجديدة عملها فى موسم ١٩٣٥ — على مسرح حديقة الازبكية وصادفت نجاحا كبيرا .

واشترت سهاد سيارتين . . وفى عام ١٩٣٦ ابتاعت « فيلا » انيقة خلف الكنيسة الانجليزية فى شارع القصر العينى . .

وفى نفس هذا العام تحدثت المجالس عن علاقتهـا بسعادة صابر بك صبرى وكيل وزارة المعارف للفنون الجميلة . ثم لم يلبث ان انتقل حديث المجالس الى صفحات المجلات !

ولما اعلنت الصحف ان فرقة سهاد قد خصها وحدها الفان من اربعة الآلاف جنيه المخصصة لاعانة الفرق التمثيلية ... تامت ضجة كبيرة ونشرت مجلة «روزاليوسف» مقالها الذى اشرت اليه انت ياتوفيق فى اول الحديث .. وعنوانه (حامى الفنون ليس دائما حامى الاعراض )

اما الاستاذ نجيب الريحانى فقد ارسل الى الصحف (خطابا مفتوحا الى الراى العام )

وكانت ضجة .. ورشاش يتطاير هنا وهناك . . وقالت مجلة غاب عنى اسمها ـ ولعلها دائما مجلة الكرباج ـ ان قرينة احد اصحاب السعادة وكلاء الوزارات تركت بيت الزوجية لانها تطلب الطلاق من زوجها بسبب علاقته باحدى الممثلات !

ولكن صابر بك صبرى مضى فى علاقته بسهاد . وكثيرا ما كان العارفون يرون سيارته واقفة امام «فيللا» سهاد .

وكان هذا هو الموقف يوم غادرت انا مصر الى اوروبا . وبعد سفرى ببضعة اسابيع خرج ابراهيم من المستشفى وما ارويه هنا سمعته كما قلت من افواه الرواة .

وجد ابراهيم امام باب المستشفى سيارة فاخرة تنتظره.. وقيل له انها سيارة زوجته سهاد !

وسارت به السيارة الى المسكن الجديد الانيق .. الدار التى اشترتها زوجته او فيللا سهاد !

وبعد ايام قليلة ذهب ابراهيم الى جريدة الاهرام لكى يستأنف عمله فيها .. وقابلوه بعطف كبير ولكنهم افهموه فى عبارات مؤدبة كيسة،ان وظيفته قد ملئت .. ثم ناولوه « شيكا » بقيمة المكافاة التى قدروها له عن سنوات خدمته فى الاهرام. وكانت مكافاة سخية ..

وعاد ابراهيم الى .. فيللا سهاد وكان يمضى وقتـه فى القراءة ولا يخرج من الدار الا قليلا .

وسمعت من الاستاذ احمد علام ـ وكان يتردد على الدار وصاحبتها من وقت لآخر لانه كان يقوم وقتئذ بأدوار الفتى الاول فى فرقة سهاد ـ سمعت منه انه دخل مرة على ابراهيم فى غرفته ـ لان سهاد كانت قد افردت له غرفة خاصـة ـ فوجده يكتب ..

وهنا يقول احمد علام : وحييته وقلت (مبروك يا أستاذ. هل بدات تكتب لنا مسرحية جديدة ؟ )

ورفع ابراهيم رأسه والتفت الى علام واجاب بهدوء :

ـ كلا . بل اكتب خطابات للصحف والمجلات أقول فيها اننى خـرجت منذ شهر من مستشفى المجاذيب !

وسألت أنا الاستاذ علام :

ـ وماذا فهمت من هذا ؟

قال : فهمت ان الاستاذ ابراهيم عصمت ساءه ان لا تكتب الصحف عن مغادرته المستشفى وعودته الى الحياة العادية . والواقع ان صحيفة او مجلة واحدة لم تذكره بكلمة واحدة !

وهززت أنا راسى ولم اقل شيئا !

واننى اسألكما هل كان المرض قد بدا فعلا يعاود ابراهيم وبعد شهر واحد من خروجه من المستشفى ؟!..

هذه سيارة سهاد !

وهذه فيللا سهاد !

وهذه فرقة سهاد للتمثيل !

ثم فصله من عمله فى جريدة الاهرام !

واغفال الصحف والمجلات امره .

وشعوره بأنه لا شيء .. وان سهاد كل شيء !

هل هذا كله اطلق سلسلة من الانفعالات فى صدره . فكان ذلك الصراع العنيف ؟

ثم نقطة اخرى هل تراه افاق اخيرا وادرك ان حميده ليست كما كان يعتقد الزوجة المحبة الامينة الوفية .. وهل السنوات الاربع التى امضاها فى المستشفى ازالت الغشاوة عن عينيه .. فلما خرج كان مستعدا لان يرى ويفهم .. ويحكم .. بمنطق الظاهر ومنطق الواقع . . لا كما كان الامر قبلا . . بوحى الحب ووحى الثقة العمياء ؟

لا اعرف ! ولكنى اعرف اننى لما عدت الى مصر فى اواخر صيف سنة ١٩٣٧ كان ابراهيم قد غادر دار زوجته وعاد الى مسكنه القديم فى شارع الموارد ى ... ولكنه كان يتردد كل يوم على «فيللا سهاد» ليرى ابنته نجوى وكانت يومئذ فى التاسعة من عمرها .. كما كان يصحبها احيانا الى السينما ودور التمثيل .

ولكن ابراهيم ـ كما ثبت من تحقيق النيابة ـ لم يذهب ولا مرة واحدة الى مسرح حديقة الازبكية لمشاهدة تمثيل « فرقة سهاد » .. الا ليلة الحادثة !

كذلك ثبت فى محضر التحقيق ان سهاد كانت توسطت له عند احمد عبود باشا من اجل وظيفة لا بأس بها فى شركة تورنيكروفت وبمرتب شهرى قدره خمسة عشر جنيها .. ولكن ابراهيم رفض !.

من اين اذن كان يعيش ؟

سئل ابراهيم فى هذا فقال : عشت اربعة شهور عالة على زوجتى ( وهذا هو نص الفاظه كما جاءت فى محضر التحقيق

ـ انتقلت بعدها الى شـــقتى القديمة . . ولقد كفتنى مكافأة جريدة الاهرام ... الشهور الباقية .

يقصد الشهور الباقيـــة التى قضاها حرا مطلق السراح قبل القبض عليه !

**سئل** : ماذا كنت تعمل طول هذه الشهور ؟

**قال** : لا شىء

ـ ولماذا لم تقبل وظيـــفة الثورنيكروفت ؟

رفض ان يجيب !

لقد بذل النائب المحقق كل جهد فى التحقيق لـكى يحمـل ابراهيم على ان يتكلم عن علاقته بزوجته فى الشهور الاخيرة ... ولماذا ترك دارها «فيللا سهاد» ؟ ولكن ابراهيم رفض ان يجيب وكان هم المحقق ان يصل الى السبب الحقيقى لارتكاب الجريمة .. ولكن ابراهيم كان يجيب فى كل مرة يسأل فيها عن السبب:

ـ لا شىء سوى ختام القصة!.. كان الختام خطأ .. واردت تصحيح الخطأ !

**سألوه** : وماذا كنت تعنى عندما صحت .. ( وانا .. انا .. اى ذنب جنيت ! ) ..

ولكنه رفض ان يجيب ...

اما حميدة او سهاد فقد جاءى قولها ما يأتى :

كنت جالسة فى قاعة الجلوس مع صديق ( عرف فيما بعد من شهادة الخدم ان الصديق المذكور كان صابر بك صـــبرى ) ... عندما دخل ابراهيم وكان قـــد حضر كعادته ليرى نجوى . ولكن نجوى كانت يومئذ مريضة فى الفراش .. وقمت معه الى غرفة نجوى وتركته معها .. ولما عدت كان صديقى قد غادر الدار .. جلست فى الصالون .. وبعد نحو ربع ساعة عاد ابراهيم ..

وجلس فى مواجهتى فى مقعدكبيروسألنى هل استدعيت طبيبا ليعود نجوى ؟ وقبل ان اجيبه.. مد يده وتناول منديلى من فوق مائدة صغيرة كانت الىجانبى .. ونظر فى المنديلطويلا ثم سألنى ( ما هذا الاحمر ؟ ).

وبغت لسؤاله ولكنى قلت (احمر شفايف ) .

**قال** : (ولماذا مسحت الاحمر عن شفتيك ؟ )

وضقت صدرا بسؤاله **فقلت** : وهل حرام ان امسح شفتى .. ولماذا صنعت اذن المناديل ؟ )

ولكنه وقف وهو **يقول** : ( .. المراة لاتزيلاحمر شفتيها الا قبل القبلة .. او بعدها ) ورمى المنديل فىوجهى وخرج. .. وكانت الساعة فىنحوالرابعةبعد الظهر !.

* * *

وثبت من اقوال الخدم انابراهيم عاد الى فيللا سهاد فى حوالى الساعة الثامنة مساءوسأل عن زوجته فقيل له انها ذهبت الى المسرح .. فدخللىرى ابنته ووجدها نائمة . ووقف امام سريرها بضع دقائقثم خرج ..

ولقد حاولت النيابة العمومية ان تعرف اين وكيف امضى ابراهيم هذه الساعات الاربعالتىانقضت بين خروجه من دار زوجته وقد رماها فى وجههابمنديلها .. وبين عودته فىالمساء يسال عنها ؟..

ولكن ابراهيم رفض ان يتكلم...

لقد شهد عبد العزيز البقالانه راى ابراهيم يدخل مسكنه قبيل الغروب ... ولكنه لم يرهوهو يغادره ! ..

ترى هل ذهب ابراهيم وجلس فى غرفته يستعيد ذكرى جلساته هنا ـ فى هذه الغرفةـمع حميدة ؟

أم ذهب الى شاطىء النيل امام فندق سميراميس وجلس على المقعد الحجرى واستعاد ذكرى جلسته معها وحديثه عن الحب وهو الحديث الذى أوحى اليها أن تجعل منه نواة مسرحية يكتبها ابراهيم ؟

أم تراه عاد بالذاكرة الى كل خبر كان قد قرأه عن زوجته فى المجلات المسرحية منذ عشرة اعوام .. الى الغمزات المكشوفة التى كان يعتقد ـ أو التى أوحت حميدة اليه أن يعتقد ـ انها حملات ظالمة اوحت بها غيرة فاطمة رشدى وزينب صدقى وعزيزة أمير ؟

وهل التوت شفتاه ساعتئذ فى ابتسامة ساخرة صفراء عندما ادرك انه كان العاشق المخدوع... والزوج المخدوع ..والكاتب المخدوع أولا واخيرا ؟..

ثم أليس عجبا ما بعده عجب ان يظل ابراهيم احد عشر عاما وهو لا يحس ولا يرى ولا يدرك شيئا عن حقيقة حميدة ... غارقا فى لجة حبه الاعمى ...حتى يشاء القدر ان تقع عيناه مصادفة على منديل ملوث باحمر الشفاه .. فاذا به يفيق ويفهم ويدرك كل شىء !..

ولكن ابراهيم ظل هو ابراهيم حتى النهاية !

أطبق فاه .. وبالرغم من الحاح المحقق ومن الاسئلة الكثيرة التى أمطره بها فانه رفض أن يتهم زوجته فى شرفها .. أو يخدش عرضها بكلمة واحدة ! ..لا رحمة بها .. ولا رحمة بنفسه كلا ! ربما رحمة بابنته نجوى ! .

ولكن مامن شك فى أن كبرياءه أبت عليه أن يتهم حميده .. وهكذا يعترف ويعلن انه كان حبيبا مخدوعا وزوجا مخدوعا !

وهكذا، وكما قلت، ظل ابراهيم هو ابراهيم .. حتى النهاية !

* * *

الآن اقص عليكما ما حدث فى ذلك المساء ·· وأنت ياتوفيق تذكر طبعا ماحدث ·· أما صديقنا الصاوى فكان غائبا يومئذ فى باريس ·

كانت فرقة سهاد تمثل فى تلك الليلة مسرحية (هو وهى) بإذن خاص من الاستاذ يوسف وهبى ولحساب جمعية تحرير المرأة ··

ومضت الروايه الى نهايتها ··· ووصلنا الى المشهد الاخير اى المشهد الذى أدخلت عليه أنا بعض التحوير ثم أرسلته الى سهاد كما قلت لكما على فندق سان ستفانو · وكان ذلك فى مثل هذه الايام منذ ثمانية عشر عاما . الا ما اسرع مرور الزمن !

وبدأ الحوار بين الزوج والزوجه ·· بين هو وهى ·· وكان الاستاذ احمد علام يمثل دور الزوج ·· « هو »

واعترف الزوج بأنه هو المخطىء ·· والمسئول ·· وراح يستعطف زوجته ويرجوها أن تبقى وأن لاتتركه ·· وانه مازال يحبها ·· والزوجة ترفض ويمشى المشهد هكذا ··

( **هى** ـ بصوت عميق حزين ) : صدقنى لو كان بيدى ان ابعث الموتى .. لبعثت حبى لك !..

ولكن هنا ·· ·( وهى تضع يدها على صدرها )··

هنا ·· لم يبق لك عندى سوى ·· الاحتقار ·· والله يتولاك برحمته ··· ويرحمنى أنا أيضا !

( تسير الى الباب · ·ولكنه ينهض ويقف فى وجهها وقد مد يده يستمهلها ويرجوها ·· )

( **هو** ) : مهلا ·· مهلا ··· هلا جلست قليلا ·· هنا .. كلا ! . ليكن ما تريدين .. قضى الامر كما تقولين

ولكن .. لى رجاء .. رجاء اخير

..اجلسى .. اجلسى هنا دقيقة واحدة .. او دقيقتين هكذا ..

( وقد أخذ بذراعها فى رفق وقادها الى المقعد امام مائدة التواليت .. )

يعز على أن أغمض عينى على خروجك من هذه الغرفة . غرفة حبنا .. كلا ليس هذا ما اقصد . . دقيقة واحدة .. أو دقيقتين .. انه الرجاء الاخير .. رجاء من لارجاء له .. سأخرج أنا .. وأتركك أنت هنا . وأمشى الى الباب .. وانت تخلعين معطفك .. هكذا . وتحلين جدائل شعرك .. لتتهدل على كتفيك . . . هكذا .. كما كنت تفعلين أيام حبنا .. وأنا واقف أنظر .. وأنتظر .. كأنك تتأهبين للنوم .. للفراش . هذا هو المشهد الذى أود أن أغمض عينى عليه .. . هكذا .. هكذا .. وأنا أمشى الى الباب . الباب الذى لالقاء بعده .. فاذا ماخرجت .. وغبت عن عينيك . . فاصلحى من شأنك . . . واجمعى جدائل شعرك .. واحملى حقيبتك . . واتركى الدار .. وقولى وداعا . وداعا أيها الغبر !

( يتراجع الى الباب خطوة .. خطوة .. وهو ينظر اليها وقد تهدل شعرها فوق كتفيها . . فحنت راسها تبكى فى سكون .. ويخرج ويغلق وراءه الباب . . وتفيق هى على صوت الباب وهو يغلق .. وترفع راسها .. ويبدو على وجهها ان خاطرا ما دار براسها . . وتنهض واقفة .. وقد بدا الخوف على وجهها .. لقد

خرج الى الموت .. خـرج لينتحر . . )

هى ـ بصوت يكاد يكون همسا فى الاول . . ثم يعلو رويدا وهى تجرى الى الباب ..

ـ لا .. لا .. لا .. لا . .

( واذ هى تدرك الباب تسمع طلقة النار .. تخفى وجهها بيديها .. وتهـوى ببطء على الارض مغشيـــا عليها )

* * *

هذا هو ختام المشهد الاخير كما كتبته وكما مثل فى كل مرة مثلت فيها هذه المسرحية ..

وبلغ المشهد غايته .. وخرج الزوج ومـــرت فترة التمثيـل الصامت .. ثم أسرعت ( هى ) الى الباب .. وهى تقول : لا.. لا .. لا ..

وفجأة دوت طلقتان .. وان كان قد خيل لجمهور المتفرجين انهما طلقة واحدة ومعهما صوت رجل يصيح .. ( غلط .. غلط .. هـــذا الختام غلط ! وأنا .. أنا .. أى ذنب جنيته )

وكانت سهاد قد هوت على ركبتيها وامسكت صدرها بيدها.

وراى المتفـرجون احمد علام عائدا يجرى الى المسرح ويركع الى جانب سهاد ويصيح: الاسعاف .. اطلبوا الاسعاف .. اليس هنا طبيب ؟

وقد حدث هذا كله فى اقل من خمس ثوان .. وافاق جمهـور القاعة على صوت حركة عنيفة . وراوا رجلا فى لوج رقم ٢ واقفا ولايزال المسدس بيده وقد اطبق عليه بعض المتفرجين .

وكان الرجل طبعا ابراهيم !

* * *

وكان التحقيق . ولم تقدم القضية الى محكمة الجنايات الا فى شهر اكتوبر ١٩٣٩ لان حميدة (المجنى عليها) ظلت فى المستشفى نحو ثمانية شهور

وكانت حالتها فى اول الامر خطيرة جدا . . بين الحياة والموت فقد اخترقت الرصاصة احدى رئتيها . . ولم يسمح الاطباء بسؤالها الا بعد زوال الخطر

اما النيابة فكانت ترى ان الباعث على ارتكاب الجريمة هو الغيرة . . الغيرة الظالمة العمياء ـ كما قال وكيل النيابة فى مرافعته ـ اذ لم يكن هناك ما يبرر هذه الغيرة . فالمجنى عليها ممثلة وهى بحكم عملها تستقبل الكثيرين من الاصدقاء ومن كرام الناس . وزوجها كان يعلم هذا وكان راضيا به ايام كان يعاشرها . . والزائر الذى وجده المتهم جالسا مع المجنى عليها يوم ارتكاب الجريمة رجل كريم . وصداقته بالمجنى عليها صداقة بريئة كريمة ( وهنا لاحظ الجمهور فى قاعة الجلسة ان رئيس المحكمة عبد الوهاب فهمى بك اخفى فمه وراء منديله ! )

ومضى وكيل النيابة فى مرافعته وقال : انه لم يثبت وجود صلة غير كريمة بين السيدة حميدة وبين الزائر الكبير المذكور . . بل المتهم نفسه لم يقل شيئا يدل على اتهامه لزوجته او انه كان بينها وبين الزائر شبهة سوء !

اما محامو الدفاع فقد نفوا ان سبب الجريمة هو الغيرة . ووافقوا النيابة على ان السيدة حميدة فوق كل الشبهات ! ! وان نفس زوجها المتهم لم يقل فى أى يوم . . ولا فى اية مرحلة من مراحل التحقيق ، كلمة واحدة يمكن ان تفسر على انه كان يشك فى اخلاق زوجته . . فمن اين اذن جاءت النيابة بهذه الدعوى وهى ان سبب الجريمة هو الغيرة العمياء ؟

وعبارة واحدة جاءت فى اقوال ابراهيم فى اول دور من ادوار التحقيق هى التى انقذته وهى التى اوحت للمحامين بالاساس الذى يبنون عليه دفاعهم .. وهو ان ابراهيم مريض وغير مسئول.

اما هذه العبارة .. فكانت رداعلى سؤال من النائب المحقق ..

ـ متى فكرت فى قتل حميدة ؟

**واجاب ابراهيم :** منذ اعوام واعوام . . . ذات ليلة من ليالى الصيف على شاطىء النيل وكان ذلك قبل زواجنا ببضعة شهور

ـ وما الذى حملك على التفكير فى قتلها ؟

ـ كنا نناقشنا ليلتها فى ختام القصة .. واختلفنا فى الرأى .. ففكرت فى قتلها وقتل نفسى معا !

هذه هى العبارة التى بنى المحامون عليها كل دفاعهم ..

قالوا .. هذا الرجل الذى فكر فى قتل فتاة يحبها .. وفى الانتحار لا لسبب الا لانها اختلفت معه فى الراى حول ختام قصة .. هل يمكن ان يقال ان هذا رجل عادى وانه يتمتع بقواه العقلية صحيحة سليمة . وهل يستطيع القضاء ان يطمئن الى حكم يصدره ويقول فيه ان ابراهيم هذا مسئول عما يفعل ؟

ثم شهد الاطباء الذين تولوا علاجه لمدة اربعة اعوام فى مستشفى الامراض العقلية بأنه كان يعانى من كذا وكذا الى آخره . . الى آخره ..

وخرج ابراهيم من قاعة محكمة الجنايات الى مستشفى الامراض العقلية الذى كان قد غادره منذ عامين وبضعة شهور !

* * *

واخيرا . . انتهى اليوم عذاب الرجل .. وخبت فى صدره نار الصراع العنيف .. بعد ان استقر فى قبره .. لقد مات المسكين هذا الصباح كما قرأنا فى صحف المساء

وكانت ابنته نجوى تبكيه على شاطىء البحر عندما مرت به
ساعة الغروب !

# فيلم فرانيا

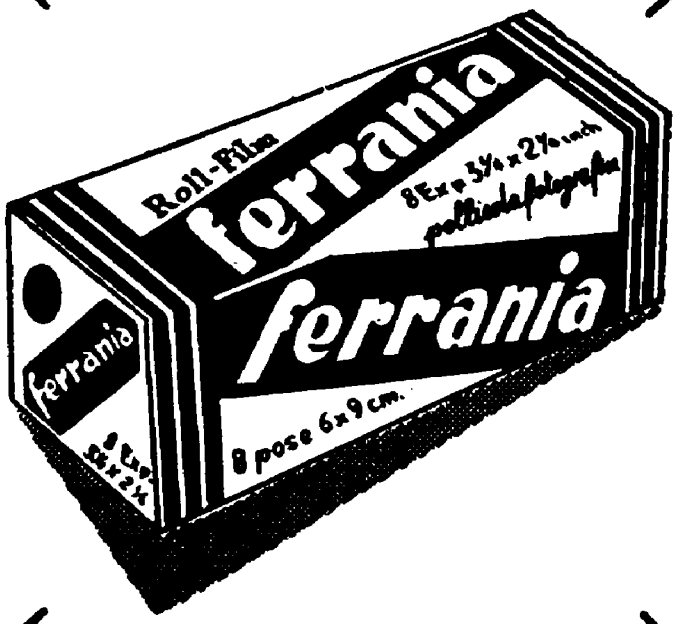


صنع خصيصا ليلائم جو القطر المصري

يباع في جميع محال أدوات التصوير

س . ب ٤٩٢٦٤

# ليلة نام فيها الشيطان

## الإهداء

الى ك... في نبع الصفا
ذكرى أمسية من أمسيات
تموز عام ١٩٣٠ أمضيناها على
الطريق بين نبع الصفا وعين
زحلتا .

م. ت.

كانت جيروت لاتزال نائمه عندماقامت به السيارة من أمام فندق « نورماندى » فى طريقها الى الجبل .

وكان صاحبنا لم ينم بعد ، فقد أبقاه أصدقاؤه طول الليل ساهرا فى حفلة أقاموها احتفالا به .. وكان أصدقاؤه هؤلاء نفرا من كرام المدينه و « أشقيائها » قد قربت السن والاذواق بينهم وبينه .

كانوا يزورون القاهرة فى موسم الشتاء فيحتفى بهم . وكان يزور لبنان فى الصيف فيحتفون به .

**وقال السائق** وهو ينطلق فى شارع اللنبى : لم يقل سيدى الى أين ؟

**وقال ابراهيم** : الى أين ؟!

ورددها مرتين كأنما هو يسأل نفسه !

**وأخيرا قال** : سر فى طريق عاليه .

**وقال السائق** : فندق جبيلى ؟

واجاب ابراهيم بشىء من الحدة أو ضيق الصدر : لم أقل اننى سأقيم فى عاليه .. واعتذر السائق عن خطئه .. ولكنه عاد يسأل عما اذا كان ابراهيم بك يريد أن يتناول طعام الافطار . .

ـ ان أبو عفيف كما يعرف سيدى يتقن طهى الفول المدمس .

**وقال ابراهيم** : كلا . وشكرا ...

قالها وهو يدور بلسانه فى جوانب فمه كأنما يريد أن يزيل ما فيه من مرارة ! ولكن مرارة فمه لم تكن شيئا بجانب مرارة نفسه !

لقد نهض عن المائدة .. مائدة الحفلة والسهرة ـ منذ ساعه واحدة او اقل بعد ان ظل جالسا اليها من مطلع الليل

الى مطلع النهـار .. يطعم ويشرب .. او يشرب اكثر مما يطعم الى ان قالت التى كان قد جاء بيروت من اجلها :

ـ نتركك الآن لتنام ..

واجابها والشراب فى راسـه وفى عينيه وقد اخذ يدها الممدوده بين راحتيه :

ـ انام! وكيف استطيع النوم وانا افكر فيك دائما ؟

وانفجرت الغانية الفرنسية ضاحكة والتفتت تقول لمن حولها وكانوا يبتسمون :

ـ اسمعوا .. انه يفكر فى دائما ولا ينام !.. شيئا من التجديد يا مسيو ابراهيم !

**قال** : وانت شيئا من الرحمة !

**قالت** : لو وزعت رحمتى على كل من يلقـانى ويريد ان يغوينى برخيص الكلام لما اصابك منها اصبع واحدة.. وانت كما ترى قابض على خمس منها بيديك !

وارخى يدها وهو يقول : لماذا لا تصدقيننى ؟

**قالت** : لاننى ذكية !

**قال** : اننى اعـرض عليك صداقتى ..

**قالت** : صداقة الذئب للحمل ..

واستفزته سـخريتها امام اصدقائه **فقال** :

ـ الحمل البرىء ؟ !

**اجابت** : قد لا اكون دائما حملا بريئا ولكنى ارفض دائما ان اكون كبش الضحية

**قال** : انت تعرفين انى جئت من مصر لاجلك

**قالت** : هذا ممكن

**قال** : اذن ماذا ؟

**قالت** : اكمل ...

**قال** : اكمل ماذا ؟

**قالت** : جئت من مصر لاجلى .. ولكن لكى تبقينى فى فراشك اسبوعا اواسبوعين ثم تشيعنى الى الباب بعبارة رقيقة وهدية لطيفة !

وضحك الحاضرون .. **وقال ابراهيم** : كم يطول عندك عمر الحب .. شهرا .. شهرين ؟ !

**قالت** : ليس للحب من اجل ... ان الذى يقاس عمره بالايام والشهور هو لهيب الرغبة .. لا الحب !

**قال** : وهذا اللهيب ؟

**قالت** : يلذلى ان ابقيه مشتعلا فى صدرك حتى ارى رايى فيك !

**قال** : اذا تركتنى الليلة .. فلن ترى وجهى بعد اليوم ..

وضحكت جاكلين وقالت وهى تجمع حقيبة يدها ومنديل السهرة : بل سأراه قبل غروب شمس هذا اليوم !

**قال** وهو يريد ان يجرحها ويسيل دم كبريائها : ما من فضيلة تنقصك حتى ولا فضيلة التواضع !

ولم تغضب بل ابتسمت **و قالت** :

ـ خير فضائلى اننى ادرس الماضى واخرج منه بعظات . ولقد درست ماضيك فى القاهرة ..

* * *

هكذا انتهت السهرة .. اول ليلة له فى بيروت . ولقد ودع جاكلين وودع اصدقاءه وهم يقولون له انهم سيمرون به بعد ظهر اليوم . ولم يقل هو شيئا لانه كان ينوى امرا آخر

لقد صعد الى غرفته وحزم حقائبه وقرر ان يغادر بيروت الى احد مصايف الجبل .

وسوف تعرف جاكلين انه قد حفظ كلمته .. وسوف تندم على قسوتها معه وسخريتها منه ... ولربما ذهبت تبحث عنه فى مصايف الجبل !

وها هو ذا فى طريقه الى الجبل . ولكن ... الى اين ؟

الى بقعة هادئة يسترخى فيها ويريح أعصابه الثائرة .. لم تعامله امراة من قبل كما عاملته هذه الفرنسية .. ولكن لماذا تتابى عليه وتضن بما قد منحته ولاشك كثيرين من قبله؟!

لقد خيل اليه اول يوم عرفها، وكانت تغنى فى ملهى الاوبرج، انها ... انها ماذا ! ؟

نظرة منها الهبت حواسه وايقظته ...

لقد قيل ان لبعض الرجال نظرة فاجرة تعرى المراة من ثيابها .. ولكن احدا لم يقل عن امراة أن لها مثل هذه النظرة !

ولكنه احس ـ وهم يقدمونه لجاكلين ـ انها تنظر اليه بعينيها الساخنتين كانما تريد أن تعريه من ثيابه ؟

ولاول مرة فى حياته على ما يذكر.. خانه لسانه امام امراة فوقف امام جاكلين مرتبكا لا يعرف ماذا يقول!!.. لقد احس ساعتئذ أن هذه المراة تريده .. وانها تشتهيه ..

وهذا ما سره منها وارضى رجولته !

وفى الايام والليالى التالية حاول أن يزيد قربه منها ... ولكنه كان يحس انها تبتعد عنه خطوة كلما اقترب منها خطوة . كانما راجعت نفسها فى امره ..

ولكن نظرتها اليه بقيت كما هى ! نظرة التى تشتهى وتغالب نفسها .. حتى لاتضعف ! وهذا ما حيره فى امرها . لعل لها علاقة برجل آخر . كلا لم يجد لها علاقة باى رجل .. ولم يقل احد ـ وما اكثر الذين تحرى منهم عن امرها ـ ان

جاكلين دوسى المغنية الفرنسية الحسناء قد أعطت نفسها فى مصر لرجل ما ..

وهذا ما زاده تعلقا بها والهب حواسه وحماسته فى الجرى وراءها . فقد كان يلذ له دائما الصيد الصعب المنال .. وان يحظى دائما بما يشتهيه

بل لو كانت لها علاقة برجل ـ صديق له أو غير صديق ـ لما تردد ابراهيم فى أن يحاول انتزاعها منه. ذلك لان الحياة علمته ـ وهو لا يزال بعد فى السابعة والعشرين من عمره ـ ان لا شريعة فى عصرنا الحاضر ـ فى الريف أو فى الحضر . فى الصالون او فى الصحراء ـ سوى شريعة الغاب !

القوى يأخذ ما يشتهيه ! ولكل أن يدافع عن نفسه بالمخلب والناب !

ولرجال اليوم ـ بل ولنساء اليوم ـ مخالب وانياب !

وان الذين يتحدثون عن الناموس والفضيلة هم الضعاف . وقد يتسع لهم المجتمع ولكن مقامهم منه دائما فى الذيل . ونصيبهم منه دائما الفتات او ما هو دون الفتات !

هذا هو الدرس الذى علمته اياه الحياة بعد ان حاول فى مستهل ربيع عمره أن يسير فى الحياة على طبيعته وسجيته كما خلقه الله . رحيما صادقا أمينا يغالب الشر ما استطاع ويعمل الخير ما استطاع .. ولكنه ما ان بلغ العشرين من عمره حتى كانت اللطمات تهوى على صدغيه ... وكانت أقساها واعمقها جرحا لكبريائه تلك التى تلقاها من الفتاة التى كان قد أحبها واختارها لتكون شريكة حياته .. ثم اذا بها تهرب مع صديق له قبل حفلة الزفاف بيومين اثنين !

ويومئذ افاق وفتح عينيه .. وراح ينظر الى المجتمع بعين

العصر الذى يعيش فيه، وآمن بشريعة الغاب ..
هكذا علمته الحياة على قصر عهده بالحياة .

* * *

وأفاق ابراهيم من أحلامه على صوت السائق يقول :
ـ هانحن فى عاليه .. هل نواصل السير .. والى اليمين أو الى اليسار ؟

وسكت ابراهيم يفكر .. أين يذهب ! أمامه خيار واسع .. سوق الغرب .. دير القمر . صوفر .. حمانا .. شتورة .. أوبكفيا . فالوغا .. ولكن هذه كلها مصايف معروفة يقصدها دائما مئات المصيفين . وهو فى حالته النفسية هذه يطلب الوحدة والراحة .. وأن يضع بينه وبين جاكلين وبيروت أطول شقة مستطاعة ... فانه هو أيضا له كبرياء وله كرامة .

**واخيرا قال** : الاتعرف بقعة أبعد ماتكون عن بيروت . .
وأقل ماتكون نصيبا من اقبال المصيفين ؟ بقعة هادئة .. فيها ماء كثير وشجر كثير .

**واجاب السائق** على الفور : نبع الصفا .. وأبعد منه قليلا نبع الباروك ..

**وقال ابراهيم** : اذن .. نبع الباروك .
وانطلقت السيارة الى اليسار . .

وقد بدأ نور النهار يتمشى فى ضوء الفجر وزرقته الداكنة .. وبدت صفحة البحر الابيض من هذا الارتفاع كأنها صفحة واحدة . سمراء اللون متماسكة لاحركة فيها ولاموج .

ومن حوله قمم وراءها قمم عليها وعلى جوانبها دور صغيرة أنيقة تحيط بها أشجار الصنوبر . . وأشجار التين والزيتون

وتنهد ابراهيم .. وهو ينفث دخان سيجارته ! كم تكون الحياة

هانئة وديعة في احدى هـــذه الدور الشمـــاء مـــع رفيقة مخلصة ٠

ثم هز كتفيه ٠٠ هذا حلم داعب خياله منذ ســـنوات ٠ ولكنه أفاق منه على جرح أسال دم قلبه وكبريائه ٠

ولم يلبث أن غفت عيناه ونام ٠٠٠

ثم أفاق واشعة شمس الصباح تمسح عينيـــه باصابعهـــا الدافئة ٠ ٠

وكانت السيارة تهتز وهي تأخذ طريقها في منحدر شـــديد الانحدار ٠ ٠

**واجابه السائق** ردا على سؤاله :

ـ لقد تركنا صوفر وراءنا ونحن الآن في طريقنا الى نبع الصفا

واستوت السيارة ثم عادت تصعد مراقي الجبل

وأغفى ابراهيم مرة أخرى ٠٠ ونام ٠٠

ولم يعرف كم طال نومه ٠٠ ولكنه أفاق على هزة أو صدمة عنيفة وصرخة تشق السكون ! لقد انفجرت أنبوبة احـــدى العجلات بينمـــا كانت السيارة تنحدر في طريق لم يعبد بعـــد بالمكدام ٠ ٠

وانحرفت السيارة في سرعتها الى اليسار ولولا أن وجدت في طريقها شجرة ضـــخمة أوقفتها لـكانت قد تردت هاوية فوق الصخور الى بطن الوادى ٠٠

كل هذا أدركه ابراهيم في لحظة واحدة ٠ ٠

ونزل ابراهيم من السيارة ٠ ٠ وقد وقف السائق يندب حظه ويسب السيارة وصانع السيارة ويستنزل اللعنات على رأس الحـكومة والحاكمـــين الذين لا يعبدون ســـوى الطرق التي

تجتازها سياراتهم الى عاليه وصوفر والشام .

وعرف ابراهيم ان السائق ليست معه عجلة اضافية

ـ اذن ماالعمل ؟

وهز السائق كتفيه **وقال** :

ـ لاحيلة الا أن أنتظر حتى تمر بى سيارة ذاهبة الى بيروت وترضى ان تجرنى وراءها .

ـ وأنا .. ماذا أعمل ؟

**وقال السائق** وهويشير بيده الى بطن الوادى والى مايشبه غابة كثيفة من الاشجار ..

ـ هذه نبع الصفا .. بينك وبينها نحو كيلو مترين

وأخرج ابراهيم سيجارة ليشعلها .. وهنا تنبه الى وجود شخص ثالث كان واقفا وراءهما على منحدر الجبل الى اليمين .. ترى هل هو صبى او هو فتاة؟ !

وانحدر الشخص يتخير طريقه بين الصخور بقدم أكيدة حتى أقبل عليهما .. وكان يرتدى بنطلونا ينتهى عند منتصف الساقين .. وقد تناسلت أطرافه .. ومن تحته حذاء ممزق من القماش برزت منه بعض أصابع القدمين .. ومن فوق البنطلون قميص واسع أزرق اللون مفتوح عند الرقبة . وقد حمل فى ذراعة سلة مملوءة بالخضراوات

ولم يتأكد ابراهيم من انها فتاة الا بعد أن سمع صوتها وهى تحييهما **وتقول** :

ـ شكرا لله على سلامتكما .. لقد صرخت رعبا اذ ظننت ان السيارة هاوية لامحالة فى بطن الوادى .

ونظر اليها ابراهيم وهو ينفث دخان سيجارته. نظر اليها نظرة خبير .. خبير بالجمال وبالوان الصبا والشباب

وبادلته الفتاة نظرة بنظرة ٠وكانت نظرتها مستقيمة صريحة .. لاخوف فيها ولا ريب .. ولافيها غنج انثى ولا دلال ..

وأرخى ابراهيم عينيه ! ان هذهالفتاةونظرتها شيءلم يألفه!. شيء جديد عليه !

**وقال السائق** : هل يذهب سيدى الى نبع الصفا .. انها ليست بعيدة .. وقد يجدسيدى اليومأو غدا سيارة عابرة تقله الى نبع الباروك

والتفت ابراهيم الى الفتاة **وقال :**

ـ هلتعرفين أحدا هنا يساعدنى فى حمل حقائبى الى نبع الصفا ؟

**وقالت الفتاة :**

ـ أنا من نبع الصفا ٠ ٠ ٠واذا شاءسيدىعدوتأناوأرسلت اليه منيحمل له حقائبه٠٠ولكنفى اى فندق يريد سيدى ان يقيم ؟

**وابتسم ابراهيم وقال :**

ـ لم تسبقلى زيارة نبعالصفا٠٠ هل تشيرين علـى بفندق معين ؟

**وقالت الفتـاة** بابتسامة صريحة : ٠

ـ هناكفندق فارس وأنا أعملفيه ٠٠ وهناك فندق آخر ..

ولم يتركها ابراهيم تتم كـلامها **وقال :**

ـ اذن ٠٠ فندق فارس

ونقد السائق أجره مضاعفاوتركه ينتظر مع السيارة حتى يرسـل له خدم الفندق ليحملواحقائبه ومشىمعالفتاة فىالطريق الى نبع الصفا

وهكذا أحكم القدر الحلقة الثانية من حلقاتقضائه المحتوم

أما الحلقة الاولى فكانت سخرية جاكلين فى ختام سهرة الليلة الماضية .. أو فجر هـــذا الصباح !

* * *

وألقى ابراهيم عـلى صاحبته ، وهو يمشى ، نظرات من طرف عينيه .. يداها خشنتان حمراء اللون .. شأن من تعمل بيديها وتكدح .. وجهها وعنقها لفحتهما الشمس واحالت لونهما الى سمرة مستحبة ..وشعر رأسها اسود بهيم كثيف وقد جمعتـه حـول راسها تحت « بيريه » مما يلبســـه الجنـود ... ووجه صغير مستدير .وشفتان ممتلئتان من فوقهما أنف مستقيم .. واذا ابتسمت بدت أسنانها الصغيرة الناصـــعة البيـــاض وحاجبان مقوسان . . واهداب طويلة الرموش .. وعينـــان سمراوان نديتان كأنما بللهمـا قطر الصباح . .

**وقال ابراهيم** : ما اسمك ؟

**اجابت** : سلمى ..

**قال** : وانا اسمى ابراهيم.. مصرى . وانت طبعا لبنانية ؟

**وقالت سلمى** : نعم ولكنى ولدت فى المهجر . . فى ســان باولو ..

ـ ثم عاد والداك الى وطنهما لبنان ؟ .

ـ كلا . لم يعودا .. لقـد توفيا هناك ...

وتوقف ابراهيم لحظة فى سيره **وقال** :

ـ آسف ان كنت ..

**وقالت الفتاة** : كلا . انا لا اذكرهما فقد توفيا وانا طفلة.. وأنا الآن اعيش فى كنف عمى فارس صاحب الفندق

**وقال ابراهيم** وهو يشير الى السلة التى فى ذراعها :

ـ وانت التى تبتاعين اللحم والخضر ؟

**واجابت الفتاة :**

ـ نعم . اشتريها من اصحاب الحقول المجاورة . . غير انه ليس فى السلة اليوم سوى بعض الخضراوات . . . ولكننا سوف نجد لك شيئا من اللحم أو الدجاج

**وعاد ابراهيم يسالها :**

ـ وهذا كل عملك فى الفندق ؟

ـ أوه . كلا . فأنا أساعد فى طهى الطعام وتنظيف الغرف واعداد طعام الافطار وغسل الصحاف والاوانى .

والقى عليها ابراهيم نظرة طويلة **ثم سالها :**

ـ وكم سنك ؟

ـ سبعة عشر الا قليلا . .

وتردد السؤال قليلا فى فم ابراهيم .. واخيرا **قال :**

ـ وهل انت سعيدة فى حياتك ؟

ـ ولم لا .. ؟

ولكنه ادرك انه اخطأ فى سؤالها فقد أحس فى لهجتها تحفظا ولم يوجه اليها بعد ذلك أى سؤال ..

* * *

وقال فارس صاحب الفندق وهو يأخذ ابراهيم بنظرة فاحصة ليعرف أى نوع من « الزبائن » قد يكون !

ـ نعم عندنا غرفة لها حمام خاص وهى أحسن غرفة فى الفندق .

ـ وهل فى الفندق نزلاء كثيرون ؟

ـ كلا . ليس فى الفندق الآن سواك ..

ولكنه أسرع ليستدرك ويقول :

ـ ولكننا ننتظر ضيوفا كثيرين بعد أيام قلائل

وكأنما أشفق أن يظن ابراهيم السوء في هذا الفندق المهجور . .

ـ هل تتفضل معي لاريك حجرتك

ومشى أمام ابراهيم . وكانت الحجرة في الطابق الاول . أثاثها بسيط ولكنه نظيف . .

وكانت لها نافذة تطل على النبع ـ نبع الصفا ـ الذي سميت هذه البقعة باسمه . وكانت مياه النبع تنحدر ـ من حيث لايعرف أحد ـ وتتسرب خلال قنوات خفية في بطون الجبال القريبة الشاهقة ثم تتجمع وتنحدر بين الصخور الى ان تجد لها مخرجا . . وهنا تتدفق من عل في هدير قوي متواصل

وفوق هذا المصب أو هذا الشلال الصغير شيدوا مقهى تظلله الكروم ومن حوله أشجار التين والخوخ

أما مياه النبع فانها تنساب من هذا المقهى في قنوات ذات اليمين وذات اليسار . . لتكون في طريقها ـ هنا وهناك ـ بحيرة صغيرة صافية او غديرا تتدلى فوقه فروع الشجيرات القائمة على ضفتيه

**وقال عم فارس** قبل ان يغلق الباب وراءه :

ـ هل تطلب شيئا الآن ؟

**واجابه ابراهيم** : لاشيء سوى ان انام . ولكن متى تصل حقائبي ؟

ـ لقد ارسلت سلمى ومعها رجلان ولاانتظر عودتهم بالحقائب قبل ساعة

وتثاءب ابراهيم **وهو يقول** :

ـ اذن سانام . .

واغلق فارس وراءه الباب

وخلع ابراهيم سترته ونفض عنه حذاءه ثم ارتمى على الفراش

كما هو.. فان التعب كان قدنال منه كل منال . وتراخت اعصابه وثقلت اجفانه .. ودوى هدير الماء فى اذنيه .. وفى عينيه خيال فتاة ترتدى بنطلونا ممزق الاطراف .. يداها خشنتان حمراوان .. وعيناها سمراوان ندیتان كانما بللهما قطر الصباح .

الى ان راح فى سبات عميق

واستيقظ عند العصر . . .وفتح عينيه وظل لحظة اولحظتين قبل ان يفيق تماما ويدرك اين هو .. وجلس فى الفراش فراى حقائبه على ارض الحجرة ثم نهض ومشى الى الحقائب فاذا بها خالية ..

وفتح الدولاب القائم فى احد الاركان فوجد ثيابه وحاجاته مرتبة منظمة

كل هذا جرى وهو نائم . ترى من الذى اخرج حاجاته من حقائبها وعنى بتنظيمها ووضعها فى الدولاب والادراج ؟

هل هى سلمى ؟ ان يد الانثى ظاهرة فى تنظيمها وترتيبها . .

واغتسل وارتدى ملابسه ونزل الى صحن الفندق . .

وكان الطابق الارضى مكونا من حجرتين اثنتين . حجرة للمائدة . وحجرة للجلوس . . وجناح منفصل يحجبه باب . ولعل وراءه المطبخ وحجرات الخدم .. ولكن اين هم الخدم ؟

انه فندق صغير . فان الطابق الاول الذى توجد فيه غرفته ليس فيه سوى اربع حجرات

ودخل حجرة الجلوس . ودق الجرس واقبل عليه بعد قليل رجل وجهه كثير التجاعيد . .اشيب الشعر ولكن فمه الواسع المفتوح فى ابتسامة مرحة، قربه فى الحال الى قلب ابراهيم

**وقال الرجل** : مرحبا بالسيد المصرى . هل من حاجة اقضيها لسيدى ؟

**وقال ابراهيم** : نعم. انا جائع لم اذق طعاما منذ مساء الامس ( وضحك واستدرك ) او على الاصح منذ فجر اليوم ..

واسرع الرجل بالخروج وهو يقول : سآتيك حالا بقدح من الحليب وخبز وزبدة

وعاد الرجل يحمل صينية وضعها امام ابراهيم

**وساله هذا** : ما اسمك ؟

**اجاب** : سليمان .. واحيانا ينادونني سليمان الحكيم ..

واشترك في الضحك مع ابراهيم . . .

ـ ومتى تبدو حكمتك ؟

ـ حينما ينفد صبر الآخرين او يرزحون تحت ثقل الهموم

* * *

ولما تناول ابراهيم طعامه الخفيف . . وقف امام نافذة الحجرة ينظر الى الماء الجارى فى قناة صغيرة على قيد خطوات .. ماء صاف رقراق تقطع سريانه صخور صغيرة فى قاع القناة .. فيدور حولها فى فورة ثم يتجمع لينساب فى خرير يمتزج بأصوات المساء . .

وللمساء اصوات ! هذه صلصلة الاجراس المدلاة من اعناق البقر وهى عائدة من مراعيها . .

وهذه اصوات الطيور فوق الاغصان تودع الشمس وتهمس للظلام الذى بدا يبسط جناحيه . . .

وهذا صوت فأس تقطع بعض شجيرات الغاب .. ليصطلى بنار اخشابها فى المساء ..

وهذا صوت ناى احد الرعاة وهو يسير خلف قطيع من الماعز والاغنام . .

ما اجمل المساء ! بين الجبل والوادى . . واشجار الغابة الغامضة

المبهمة كقلب عذراء !

والفى ابراهيم نفسه يفكر فى عينين سمراوين نديتين كأنما بللهما قطر الصباح وخرج من الفندق يتمشى على ضفة القناة. الى أن وجد نفسه أمام صخرة كبيرة تحيط بها بضع أشجار ضخمة، فروعها تجمعت فى شبه مظلة واسعة فوق غدير

ودار حول الصخرة واذا به يجد سلمى جالسة على العشب الاخضر وقد دلت قدميها العاريتين فى ماء الغدير وخلعت عن راسها «البريه» وتهدل شعرها الاسود الفاحم على كتفيها ..

ووثبت الفتاة واقفة حين راته . وخيل اليه ان حمرة كست خديها ، ولكن هل هى حمرة الحياء والدهشة ؟ . او حمرة الشمس الآفلة تقطر من خلال الاغصان

**وقال ابراهيم** ـ وهو يكذب ـ :

ـ آسف جدا . لقد ازعجتك فى خلوتك ؟

وتظاهر بالانسحاب . . ولكنه كان يكذب للمرة الثانية ؛ فهو قد سر فى الحقيقة للقياها ثم هو لم يكن ينوى الانسحاب

**وقالت سلمى** وهى تضع قدميها المبللتين فى حذائها المزق المصنوع من القماش وتجمع جدائل شعرها تحت البريه :

ـ كلا يا سيدى .. لم تزعجنى وعلى كل حال فقد حان موعد عودتى الى الفندق ..

**وصاح ابراهيم** : كلا . والا اعتقدت اننى ازعجتك حقيقة. وتطفلت عليك فى خلوتك . هلا تجلسين قليلا معى ..

وجلست الفتاة ...

**وقال ابراهيم** وقد جلس وظهره الى الصخرة الكبير :

ـ وهل تمضين اوقات فراغك هنا دائما ؟

**وقالت الفتاة :**

ـ ليس لدى فراغ كبير ، اللهم الاساعة واحدة قبيل اعداد طعام العشاء .. ثم طبعا بعد العشاء وتنظيف المطبخ وما فيه

ـ وهنا مكانك المختار ؟

ـ نعم فانا احب الماء البارد الجارى ويلذلى ان ادلى فيه قدمى .. انه منعش جدا .. انظر ..

وانحنت بسرعة واغترفت بيديها حفنة ماء قدمتها اليه **وهى تقول :**

ـ انظر .. كم هو بارد ومنعش ...

وامسك ابراهيم براحتيها فتساقطت قطرات الماء على ثيابه وثيابها **وقال :**

ـ حقيقة انه بارد كالثلج ...

ـ انهم يقولون انه من ذوبان ثلوج جبل صنين ..

ولو ان ابراهيم اطاع هواه لكان ابقى راحتيها فى يده .. او كان قبلهما .. او ضغط عليهما قليلا. ولكنه غالب نفسه وامسك لانه ـ كما احس فى الصباح ـ كان يشعر ان هذه الفتاة ونظراتها الصريحة شىء لم يالفه . شىء جديد عليه !

احس ان امامه عذراء .. عذراء ... لا كبعض عذارى القاهرة ممن يعرف . ولكن عذراء فى كل معنى وكل عاطفة. عذراء فى نظرتها .. عذراء القلب والعاطفة . زهرة تتفتح مع فجر الربيع .. طاهرة مثل ندى الليل. بل زهرة عذراء لم تغبرها ريح الشمال ولا ريح الجنوب ..

وكأنما اوحى اليه وهو ينظر الى شفتيها ان فمها لم تلمسه شفتان .. وان قبلتها كذلك لا تزال عذراء ..

**وسألها** وهو يريد ان يقول شيئا يغالب به نفسه ويقطع هذا السكون الذى طال :

ـ ولماذا ترتدين دائما هذا البنطلون والقميص الازرق ؟ هذا زى فتى وانت فتاة

**وقالت** وهى تنهض واقفة :

ـ عندى ثوب او ثوبان ولكنى ابقيهما لايام الاعياد ..

ـ الا يشترى لك عمك فارس ثيابا تليق بك ؟

ولم يكد السؤال يخرج من بين شفتيه حتى ندم وادرك انه اخطأ للمرة الثانية فى يوم واحد ..

ولم تجب سلمى على سؤاله **وقالت :**

ـ سعدت مساء ياسيدى ..

واختفت بين الاشجار ..

* * *

وظل ابراهيم بعد ذهابها صامتا . . او لعله ظل مذهولا الى حين . كانما امر غريب طالعه على غير انتظار .. !

ثم استوى قاعدا وقد مد قدميه يدير طرف حذائه فى الحشائش والحصى وصغار الصخور

هل هو يحب هذه الفتاة التى لم يرها الا اليوم ؟ ومرتين فقط .. مرة فى الصباح .. ومرة منذ لحظات ؟

وضحك من نفسه ومن هذا الخاطر الذى طاف برأسه ولكن ضحكته رنت فى أذنيه اشبه شىء برنين المعدن الزائف او القدح المكسور . !

لقد قرأ أخيرا، لكازانوفا، أستاذ الحب بل وفيلسوفه عن غير قصد، ان الحب نظرة . . وتكفيه نظرة ! وان العين هى رسول الشوق والحنين من روح الى روح ! وان لا حب الا عن طريق العين . اللهم الا فى حالات نادرة عندما يقوم الصوت مقام العين . . وانه من المستحيل ان نحب امراة عرت جسدها ولكنها اخفت عينيها

ووجهها .. ولكننا نحب امرأة تكشف عن وجهها وعينيها وتخفى جسدها . ذلك لان الحب دائما من العين للعين !

وهز ابراهيم كتفيه.. وابتسم ! ترى ماذا يقول اصدقاؤه فى صالونات القاهرة واندية ها . . وماذا يقول اصدقاؤه فى بيروت بل ما ذا تقول جاكلين اذا عرفت وعرفوا انه يفكر فى حب فتاة تعمل فى فندق صغير فى قرية صغيرة من قرى لبنان . . فتاة ترتدى بنطلونا تمزقت اطرافه . وفى قدميها حذاء ممزق مصنوع من القماش تطل منه اصابع القدمين ؟

جاكلين ! .. وافاق على هذه الحقيقة العجيبة ! انه لم يعد يفكر فى جاكلين .. يخيل اليه انه قد نسيها تماما ونسى فعلتها معه !

وتمدد ابراهيم واراح راسه على العشب الاخضر . . وقد بدأت تتجمع من حوله ومن فوقه ظلمة المساء .

ظلمة هادئة رحيمة توحى للنفس ان تتكلم وتكشف عن مكنونها .. وتوحى للضمير ان يبوح بخفايا الصدور !

ـ هل انا احب سلمى ؟

الجواب بعد تردد قصير . . لا ادرى !

ـ هبنى سافرت غدا عائدا الى بيروت فهل يعز على فراق سلمى وان لا اراها بعد اليوم ؟

الجواب بعد ترد طويل : نعم ! وقد اعود ادراجى الى نبع الصفا قبل ان اصل الى بيروت . . او قد اعود اليها بعد يوم او يومين !

ـ اذن فانت تحبها ؟

بعد تردد طويل .. « وددت لو عرفت . ولكننى حقيقة لا ادرى » !

ـ وبعد ! احزم امرك ! هل تحبها او لا تحبها ؟ واذا كنت تحبها فماذا تنوى ان تفعل بها ؟ ثم هب انها لم تبادلك حبا بحب ؟

ـ هنيئا لمن تحبه سلمى !

وسمع ابراهيم صوته وهو يقولها . وتلفت حوله . هل سمعه احد ؟ فقد خيل اليه ان جوانب الوادى قد رددت صدى ما قال !

نعم . هنيئا لمن تحبه سلمى وترنو اليه فى ظلمة الليل او فى نور القمر او فى رحمة الفجر بعينيها اللتين بللهما قطر الندى !

ان انوثتها نائمة فهل يحاول ان يوقظها !

وسكت قليلا . . وسرت رعشة فى جسده !

انها تكون يقظة رائعة ! ففى عينيها السمراوين اعماق واغوار لو اثارها الحب لانطلقت منها قوى رهيبة جارفة !

ولكن من الذى يوقظ هذه الانوثة النائمة ! من الذى يستطيع . . .

واخيرا نهض ابراهيم يصلح من شانه وينفض عن ثيابه ماعلق بها ويقول لنفسه :

ـ من الخير ان تتركها نائمة !

* * *

وانقضت ايام ثلاثة دون ان يراها . . .

ذهب الى الصخرة الكبيرة والغدير فلم يجدها . . وانتظر طويلا ولكنها لم تحضر . .

وكذلك فى اليومين التاليين . .

وكان اذا طلب طعام الافطار فى حجرته او طلب قدحا من القهوة او الشاى وهو جالس فى ردهة الفندق او حجرة الجلوس حمله اليه سليمان . .

ولقد هم فى اول يوم ان يسال عنها واين هى . ولكن ما ذا يقول فارس وماذا يظن سليمان ! واخيرا لم يطق صبرا . . لعلها

مريضة . لعلها سافرت الى بلد ما . . .

ونادى سليمان، وساله وهويتظاهر بعدم الاكتراث ويعبث بسلسلة من البلاتين تحيط بمعصمه . . .

ـ لم ار سلمى منذ ايام . . هل هى مريضة ؟

**واجاب الرجل** : كلا . بل هى بخير ..

وخيل لابراهيم ان سليمان الحكيم كان ينظر اليه من طرف عينه . . ويبتسم !

ولم يذهب ابراهيم فى المساء الى الصخرة والغدير .. ولماذا يذهب ؟ وجلس يكتب خطابا الى صديق له فى مصر

ولما انتهى من كتابة الخطاب راى ان الحبر قد علق ببعض اصابع يده فصعد ليغسل يديه فى الحمام الملحق بحجرته ولكى يحضر كتابا يقرا فيه بعدالعشاء

ودخل حجرة الحمام من بابها المفتوح على الردهة .. ولكنه شعر لفوره ان فى حجرته شخصاما .. وان لم تكن الحجرة مضاءة وتسلل على اطراف قدميه الىالباب الموصل بين الحجرتين .

ومن فرجة ضيقة استطاع ان يرى سلمى وقد انكفات على فراشه تبكى فى سكون ثم رآها تقبل ثوبا ما قد ضمته الى صدرها .. تقبله وتشمه !

وفتح الباب وادار زر النور .

ووثبت سلمى واقفة على قدميها وفى يدها قميص نومه وهمت الى الباب تريد الهرب !ولكنه كان اسرع منها ... وامسك بكتفيها واحس ان الكلمات قد جفت او وقفت فى حلقه فهو لا يستطيع الكلام !وان دمه يتدفق فى عروقه .. وان قلبه من شدة ضرباته يكاد ينطلق من بين الضلوع .

وغمرته رهبة وخشوع ..

وأخيرا .. أخيرا قال ـ وما أسخف ما قال ـ قال بصوت انكرته أذناه ! صوت أجش ازدحمت فيه عواطفه :

ـ ماذا تفعلين هنا ؟

**قالت** وقد حنت راسها :

ـ كنت اصلح فراشك واعده لنومك ..

**قال** : ولكنك ..

ثم امسك . . وكأنما ادركت هي ماكان سيقول لانه احس انها ترتجف . . وقد امتقع لون وجهها . .

ورفعت اليه عينيها وقد بدتا كعيني غزال جريح **وهمست** :

ـ ارحمني يرحمك الله . . . دعني . . . دعني . . .

ـ لما ذا انقطعت عن الذهاب الى الغدير ؟

ـ ارحمني ياسيدي ..

ورفع ابراهيم يديه عن كتفيها وخطت هي الى الباب **وهي تقول:**

ـ سعدت مساء ياسيدي .

**وناداها** : سلمى ...

ووقفت ويدها على الباب ..

ـ قابليني الليلة عند الغدير . . .

ورنت اليه بعينيها ! ودار رأسه !

**وقالت** : اذا شئت ..

**قال** : نعم .. ومتى ؟

**قالت** : بعد العشاء ...

وجلس ابراهيم على حافة الفراش ورأسه بين يديه . .

واحس كان به حاجة للبكاء !

* * *

وكانت الساعة نحو العاشرة عندما نهض ابراهيم من مقعده

فى حجرة الجلوس ورمى جانبا بالكتاب الذى كان يتظاهر بالقراءة فيه وغادر الفندق .. وسار على ضفة القناة متجها نحو الغدير ..

وكان قرص القمر الذهبى قد بدأ يرتفع عن الافق مرسلا ضوءه خلال الفجوات بين الجبال . . .

ولا شىء يعكر السكون سوى خوار البقر .. او مواء الماعز فى حظائرها . .

وبين حين وحين يتحسس ابراهيم طريقه بين الشجيرات وتعلق ثيابه بالغصون المتدلية .. وتفزع طيور كانت نائمة وتطير .

والماء الجارى ينساب فى همس متصل متزن . .

ولعشب الارض الطيبة رائحة خاصة يجود بها وينشرها فى ظلمة الليل . .

وقلب ابراهيم يدق .. ودمه يتدافع فى عروقه ..

الى ان وقف عند الصخرة ينتظر وقد خيل اليه ان ملايين الاعين الخفية ترقبه من وراء استار الظلام !

هل تحضر . . . ؟

ثم اذا بهاتف فى نفسه يهمس: ليتها لاتحضر! فلقد كان ابراهيم خائفا .. خائفا من نفسه ومنها !. ومن هذا الشىء الذى لم يألفه!

وفجأة حبس انفاسه فقد احس بخطى خفية . .

واذا بها واقفة امامه ..

وهمس باسمها « سلمى » ومد اليها يديه ..

ولم تقل هى شيئا .. بل ارتمت على صدره، وعندما احس ابراهيم بقلبها يدق فوق ضلوعه، غشيته للمرة الثانية رهبة وغمره خشوع . . وكانما روحه قد تطهرت واقترب من عرشه سبحانه فى علاه ..

ثم طوق خصرها بيده ونظر اليها .. وفى عينيها .. وقد تنبه

الى انه يراها لاول مرة من غير بنطلونها الممزق ، فقد كانت ترتدى ثوبا من الكتان الابيض وقد شدت حزاما حول خصرها الدقيق . وحول عنقها عقد من المرجان . . وفى راسها شبكت وردة حمراء ..

**وقال ابراهيم** وهو يحنو عليها ويشم انفاسها ..

ـ ولكن هذا ثوب الآحاد والاعياد . . .

**وقالت هى:** نعم.. ياحبيبى فهذه ليلة عيدى ..

وضمها الى صدره وقبل شعرها

ووقف الزمن او خيل اليهما ان كل شىء قد سكن ..

ثم تلاقت الشفاه ...

والسكون شامل الا من خرير الماء . . وانفاس الطيهور .

ورائحة الارض الطيبة وهى تجود بها وتنشرها فى ظلام الليل ..

واشعة القمر تدفع طريقها من خلال الاغصان المتشابكة كانما تريد ان تشهد الكون على حب الربيع للربيع . . .

ومن اعماق قلبه ناجى ابراهيم ربه .. « لقد دنست نفسى فلم يارب منحتنى حب هذه العذراء ! »

واخيرا .. تنهد **وقال :**

ـ ليتك لم تحضرى . . .

وبدا الالم فى صوتها **وهى تقول :**

ـ ولكنك طلبت منى ان أقابلك هنا ...

ـ الا ليتك لم تحضرى !

ـ ولكن لماذا .. لماذا .. اغاضب منى ؟

ـ هل تحبيننى يا سلمى ؟

ـ احببتك لحظة ان رايتك .. ولا ابغى من الحياة شيئا سوى ...

وسكتت وراحت شفتاها تبحث عن شفتيه !
ثم تخلصت من بين ذراعيه **وقالت** :
ـ اريد ان اكون دائما معك .. وهذا كل ما ابغيه ..
ـ كل ما تبغينه.. ولا شيء سواه ؟
**قالت ببساطة** : لا شيء .. لاشيء سوى ان أكون دائما معك
واخذ ابراهيم وجهها الصغير بين راحتيه وقال بعد لحظة سكوت : اذن سآخذك معى الى مصر ..
وكم كانت دهشته ـ او خوفه ورهبته ـ عندما رآها تجثو فجاة وتهوى على قدمه تقبلها ...
**وصاح بها غاضبا** : ماذا تفعلين ؟
**ورفعت اليه راسها** : انى احبك !
وكانما بدا لها ان فى هذا الجواب كل شيء !
وجلس ابراهيم الى جانبها يمسح شعر راسها بيده ..
اهذا هو الحب ؟ اهذه هى اليقظة ؟.. لقد ايقظ انوثتها النائمة .. واطلق ما فى اعماق نفسها.. وانها لقوة طاغية جارفة!
وقبل ابراهيم عينيها ...
ثم خلع عن معصم يده سلسلة من البلاتين قد شبكت بين طرفيها لوحة صغيرة من الذهب وناولها اياها **وهو يقول** :
ـ منذ سنوات كنت اخترت فتاة لتكون زوجتى.. وذات يوم وضعت فى اصبعها خاتم الخطبة وحول معصم يدها هذا السوار ، وهو مكتوب عليه « دائما معك » !
وتردد قليلا قبل ان يستانف حديثه ويقول :
ـ ولما فسخت خطبتنا اعادتهما الي .. وانا اعطيك الآن هذا السوار لتحتفظى به دائما معك ذكرى لقائنا الليلة .. اول لقاء ، اما الخاتم فمتى عدنا الى مصر ..

وهنا امسكت بذراعه وصاحت :

ـ كلا .. كلا ..

واحس انها تنتفض وقد احاطها بذراعه وان الالفاظ تلهث فى فمها وهى تقول :

ـ كلا .. كلا .. لست اطمع فى ان اكون زوجتك .. كل ما ابغيه هو ان اكون دائما معك. دائما تحت قدميك..

وحنا عليها يمسح شعرها ويقبل جبينها وعينيها وفمها.. الى ان قال :

ـ واذا شاءت ارادة الله ان نكون زوجين ..

وصاحت مرة ثانية : كلا .. كلا .. هـذا مستحيل .. سوف يسخر منك ومنى اصدقاؤك وقد تندم على فعلتك ..

واطبق بيده على فمها .. ثم ضمها اليه وقبلها طويلا ..

ولما افترقت شفاههما .. همس فى فمها :

ـ هل تفهمينى اذا قلت لك أنا ظمآن اليك وفمى بين شفتيك!.

واحاطته بذراعيها وهمست وفى صوتها نشوة وفى عينيها نداء:

ـ نعم افهم .. وان شئت خذنى فانا لك !

وسرت الرغبة فى دمه .. حارة جياشة متدفقة .. وكان جسمه ينتفض كأنما مسته كهرباء ...

وطواها بين ذراعيه .. واحس بنهديها الصغيرين الى صدره .. ودار رأسه .. وكانت شفتاها تقبلان عنقه وخده ويديه .. وقد تهدل شعرها فوق وجهه وكتفيه ..

وفجأة افاق . . وامسك بكتفيها فى رفق وابعدها قليلا عنه وقال :

ـ اسمعى .. ان فى حياتى يا سلمى قاذورات كثيرة . ولكن قلبى لم يكن قذرا ونفسى ظلت نظيفة طاهرة .. وانا

احبك . نعم أحبك . هل تفهمين ؟

**وقالت** ... نعم ووجهها يتحسس صدره ..

ـ وانت غير من عرفت .. وخير من عرفت. هل تفهمين؟

ولما ابتسمت وقالت «نعم افهم» احس انه قهر الشيطان ..

وبعد لحظات سكون عميق **قال** :

ـ هل تستطيعين اللحاق بى فى بيروت ؟

**قالت** : نعم ..

**وسألها** : كيف ؟

**قالت** : فى كل يوم تمر بالطريق حيث قابلتنى سيارات ذاهبة الى بيروت ويمكننى ان استقل احداها ..

**قال** : اذن اصغى الي جيدا .. ساعود انا الى بيروت .. غدا الاربعاء .. ومن الأفضل أن لا تلحقى بى فى نفس اليوم حتى لايعرفوا انك لحقت بى ..

**قالت** : فهمت ..

**قال** : ولكنى سوف انتظرك يوم الخميس الساعة الرابعة بعد الظهر تحت «الساعة» فى ميدانها.. هل تعرفين هذا الميدان؟

**قالت** : كلا فانا لم اذهب الى بيروت سوى مرة واحدة وكان ذلك منذ سنوات .. ولكنى سوف اسال واجد طريقى.

**قال** : واذا ضللت طريقك فانا اقيم فى فندق نورماندى.. فهل وعيت كل هذه التفصيلات ؟

**قالت** : نعم ..

**قال** : حسنا .. وفى بيروت سوف اعد كل شىء لسفرك.. ولعلنا نستطيع السفر بالطائرة الى مصر فى يوم السبت ..

* * *

ولما عاد الى الفندق وجد سليمان قائما كانما كان ينتظره.!

وحيـاه ابراهيم .. **وقال سليمان :**

ـ هل كنت تتمشى على ضفة القناة ؟

**وقال ابراهيم** .. نعم

**قال سليمان** : ان الطريق مملوء بالزهور .. فهل دست احداها فى الظلام وسحقتها بقدمك ؟ !

**وقال ابراهيم** : كلا ..

**وتنهد سليمان وقال** : شكرا لله ! ؟

* * *

وفى الصباح اعد حقائبه . وودع صاحب الفنـدق ونفح سليمان بعطاء طيب واستقل سيارة الى بيروت

ولما ابتعدت به السيارة عن الفندق وانحرفت الى اليسار واخذت تصعد مدارج الجبل التفت وراءه فرأى يدا تمتد من احـدى نوافذ الطابق الأعلى بالفندق وتلوح له بمنديل !

هذه سلمى ..!

سلمى التى اختارها شريكة لحياته ؟ !

وكأنما هذه الحقيقة طالعته او فاجأته لأول مرة !

وراح يستعيد مواقف الليلة الماضية .. قبلاتها وقبلاته . ووجهها بين راحتيه.. وصدرها الى صدره وجسمها الدافىء ملتصق به ..

ونداء عينيها .. «ان شئت خذنى فانا لك » !

اكان هذا كله حلما أم كان سحر ساحر ؟ القمر والنجوم! والنسيم والغاب والغدير ونداء الطير لأليفه !. والعشب الندى ورائحة الارض الطيبة .. هل اجتمعت كلها وتآمرت عليه ؟

وهز راسه بعنف ! كلا . انه يحبها !. يحبها وهو اعرف بنفسه .

ولكنه عاد يسأل ضميره او لعل ضميره هو الذى كان يسأله .. «يحبها أم يشتهى صباها وقد اغراه منها هذا « الجديد » الذى لم يألفه من قبل ؟ »

ولكنها كانت بين يديه بل وتحت قدميه .. ولقد عف عنها او عفا !

اذن فليس هناك اشتهاء .. وانما هو الحب كما قال لها ؟

ولكن النفس فى نور الشمس وضوضاء النهار غيرها فى سكون الليل وضوء القمر !

وناجته نفسه .. أكان امتناعك عن حب .. ام كان عن يقظة ضمير ؟ لقد ادركت يا ابراهيم ان امامك عذراء ليست كمن عرفت من العذارى .. عذراء لم تغبرها ريح شمال ولا ريح جنوب . لقد اخذتك الرهبة من طهرها فخشعت .. وانت يا ابراهيم نظيف النفس طيب القلب ... ثم اخذك جلال حبها القوى الجارف فملأ نفسك خوفا عليها ورحمة بها .

هذه هى الحقيقة يا ابراهيم . فماذا انت فاعل !

وتململ فى مقعده بالسيارة وقال كأنما هو يخاطب شخصا آخر : ولكنى احبها .. احبها .. احبها واشتهيها !

تحبها وتشتهيها ! حسنا ماذا انت فاعل بحبك وبها ؟ !

* * *

واطرق يفكر ويشعل سيجارة تلو سيجارة ..

لقد وصل مع سلمى الى القاهرة .. ودخل بها على امه وشقيقاته

وامه تحبه .. وهى طيبة القلب ولن تقول شيئا وكذلك شقيقاته ..

وسوف يتظاهرن بالفرح لانه تزوج .. وان كن فى الحقيقة سوف ياسفن لانه لم يختر شريكة لحياته من طبقة تناسب مقامه

وسوف يبذلن جهدا فى ان يخفين عنه وعن سلمى حقيقة شعورهن .. ولكنه سيعرف !

وسوف يبذلن جهدا كذلك فى ان لا يبتسمن او يضحكن من لهجتها .. ولهجة لبنان غير لهجة مصر

وسوف يحاولن جهدهن ان يلقنها اصول الحديث وقواعد المائدة وكيف تلبس وكيف تمشى بين الناس ! ثم هل هى تعرف القراءة والكتابة ؟ . لقد نسى ان يسألها !

ولكن سلمى .. سلمى هل تطيق هذه الحياة وتخضع لها ؟!

وهل فى مقدورها ان تتقن كل ما يفرضه عليها مقامها .. واذا خرج معها ذات يوم فى سهرة عند اسرة صديقة فهل هو واثق ان صدره لن يضيق او ان حاجبيه لن يرتفعا اذا اساءت التصرف او خانتها حركة او عبارة ؟ !

لقد قالت له : «سوف يسخر منك ومنى اصدقاؤك . وقد تندم على فعلتك »

ورمى بسيجارته واشعل غيرها ..

وراح يفكر .. يفكر .. وياخذ نفسه وعواطفه بالفحص والتحليل يتخذ لها مسكنا خاصا .. ويتخذها خليلة ؟ !

وراعه هذا الخاطر ! وخجل من نفسه ..

ولكن سلمى نفسها لم تطلب منه سوى ان يبقيها دائما الى جانبه . ولكن هل يجازيها هكذا على حبها وثقتها به ؟!

خليلة . . خليلة . . ومنذا الذى قال له ــ آه انها جاكلين ــ لقد قالت له ــ وكأنما قد مر على تلك السهرة شهور وشهور لا بضعة ايام ــ قالت ان الحب ليس له أجل وان الذى يقاس بالايام والشهور هو الرغبة ولهيبها . .

وهو يشتهى سلمى ! هذه حقيقة ..

ولكن كم تدوم هذه الرغبة ؟ وكم يدوم لهيبها ؟
أياما وشهورا .. ولكنها سوف تنقضى على كل حال ..
وبعدها .. ماذا هو فاعل بسلمى ! ؟
هل يعيدها الى عمها فى نبع الصفا ؟ !
هل يترك لها مسكنها الخاص ويمنحها قدرا من المال يضمن لها عيشا رغدا ؟ ..
وهل هى ترضى بهذا ! واذا هى رضيت فهل قلبه يطاوعه ان يتركها تعيش وحدها .. فى القاهرة وحولها ذئاب الليل .. وذئاب النهار ؟
وهز رأسه بعنف .. كلا .. لن يفعل ذلك والا كان نذلا تانف منه شياطين سقر !
اذن ماذا ! ؟
ووقفت به السيارة امام فندق نورماندى فى بيروت .. وبينما هو يسجل اسمه فى دفتر الفندق احس بيد على كتفه ..
والتفت فاذا بها جاكلين !
ـ هذا انت ايها الغريب . . متى عدت ؟
ـ الآن ...
ـ واين كنت ؟
ـ فى الجنة !
**ضحكت وقالت :** وقد طردوك منها .. ؟
**قال :** بل طردت نفسى .. فانا وانت من اهل الجحيم !
**قالت وقد شبكت ذراعها بذراعه :**
ـ يعجبنى منك تواضعك ! . اتدرى اننى اشتقت لك ؟
**قال وهو يشعل سيجارة :** اهذه فضيلة جديدة كنت تخفينها ؟
**قالت :** كلا . بل اكتشفتها بعد اختفائك ... هل يسرك ان

اعترف بخطئى وان اقول لك انى نادمة ؟

وسكت ابراهيم ولم يجب !

**وعادت هى تقول** : سالقاك فى القاهرة .. ولعلك تعود اليها قريبا ؟

**وساعتها عيناه فقالت** : لقدجاءنى عقد طيب فى ملهى الاريزونا وانا سأسافر غدا بالطائرة .. هل تدعونى للعشاء معك الليلة ؟

**وهز راسه وقال** : كلا ...

**وضحكت هى وقالت** : لا باس .. لعله الآن دورى .. انا أدعو .. وأنت ترفض .. الى اللقاء فى القاهرة يامسيو ابراهيم !

* * *

وقضى ابراهيم ليلته فى نوم قلق مضطرب .. ولقد راى سلمى فى احلامه وهى واقفة تنتظر تحت « الساعة » ورآها بعد ان طال بها الانتظار وهى تسال المارة عن طريقها الى فندق نورماندى ..

ـ ماذا ! سافر اليوم ؟

وافاق ابراهيم من نومه .. والعرق يبلل جبينه .. واقام بقية الليل ساهرا .. ولما طلع الفجر كان قد انتوى امرا ..

واعد حقائبه .. وغادر الفندق الى مكتب شركة الطيران ليحجز له مقعدا فى طائرة اليوم الى القاهرة !

وهز موظف المكتب راسه وقال انه ياسف فليس هناك مقعد خال واحد .

ـ ولكن نستطيع أن نحجز لك فى طائرة الغد ..

**وقال ابراهيم** : سوف ارى ..

ولكنه كان يعلم انه اذا بقى اليوم فى بيروت فلن يمنعه شىء عن الذهاب للقاء سلمى ! ولن يرضى له حبه وقلبه أن يتركها تنتظر !

وغادر المكتب . ولكن القدر احكم الحلقة الثالثة من حلقات

قضائه المحتوم . فان ابراهيم لم يكد يخطو فى الشارع بضع خطوات حتى سمع موظف المكتب يناديه فعاد . . .

**وقال الموظف :**

ـ من حسن حظك ان احد المسافرين أجل سفره اسبوعا وتخلى عن مقعده المحجوز

هذا وقد اخذ الموظف يعد تذكرة السفر لابراهيم !

وبعد دقائق غادر ابراهيم المكتب وبيده تذكر السفر بالطائرة !

تذكرة واحدة لمقعد واحد . . لا مقعدين كما كان يعتقد . . وظهره الى الصخرة القائمة فوق الغدير وسلمى بين ذراعيه وشفتاها فوق شفتيه !

* * *

وفى الطائرة التقى بجاكلين . وسرها جدا ان تراه فقد اعتقدت انه عجل بعودته الى القاهرة من أجلها !

وقبل ان يفترقا فى مطار الماظه سألته :

ـ هل تدعونى لتناول العشاء الليلة ؟

**وهز راسه وقال :** كلا . . .

وذهب الى داره . واغلق عليه باب حجرته . وارتمى على فراشه وقد اخفى وجهه فى الوسائد وكان جسمه ينتفض كالمحموم .

* * *

الساعة الرابعة . . . وهى الآن واقفة تحت الساعة تنتظره ! تنتظر حبيبها . . حبيبها الذى سافر ولن يعود !

الخامسة . . والسادسة . . وطال بها الانتظار فسارت تسأل طريقها الى فندق نورماندى !

ونهض ابراهيم من الفراش يتمشى فى غرفته . . آه لوطاوعته

الدموع !!

ـ ليتنى ما فعلت .. ليتنى ما جبنت .. ليتنى ما هربت.. بل ليتنى كنت طاوعت الشيطان!

وجلس فى مقعد كبير يدق يدا بيد !

الساعة السابعة . . الثامنة. .

وغادر ابراهيم داره كالمجنون.. يمشى على غير هدى !

اين هى الآن!؟ اين سلمى ؟! وماذا صنعت بعد أن دهمها الظلام وهى وحدها غريبةوحيدة فى بيروت ! .. بيروت التى لم تزرها سوى مرةواحدة ولا تعرف احدا فيها !

وتخيلها تسير على غير هدىفى شوارع المدينة وفى يدها صرة جمعت فيها ثيابها القليلةتتفرس فى وجوه المارة ... تبحث عن وجه ابراهيم لعله لم يسافر ! لعلهم كذبوا عليها فى فندق نورماندى ! ..

وسمعها تسال المارة ..هل منكم من راى حبيبى ! هل فيكم من يدلنى على ابراهيم ..... وأين هو ! . وتخيلها وقد نال منها التعبوكلت قدماها من السير .. وتهدل شعرهاالاسود فوق كتفيها .. وتراخت ذراعها.. وشاع الخوف فى عينيها السمراوين اللتين بللهما قطرالندى ! . عينيها اللتين لم تعرفا الخوف .. قد دب فيهما الآن خوف المجهول . ما ذا تفعل فى بيروت ! . واين تذهب ؟ . . .واين هى من نبع الصفا؟! واين ابراهيم ! ؟..

* * *

ورأى المارة رجلا يضرب صدره بيديه . . وينطلق عدوا فى الشارع .. وكان ابراهيم ! !

ثم وقف .. أين يمضى ليلته؟!انه يرهب الوحدة ويرهب

الظلام ويخاف أن يخلو بضميره وبذكرى الليلة الماضية !

ووقف لحظة أمام آلة التليفون فى أحد المتاجر وادار القرص ورد عليه صوت جاكلين !

* * *

وكان يجب أن تنتهى هنا هذه القصة ولكنها ليست قصة .. بل هى قصة وتاريخ .. وللتاريخ دائما ذيول ..

سافر ابراهيم بعد حوادثنا هذه بنحو عامين مع نفر من أصدقائه على ظهر يخت يملكه أحدهم فى رحلة قصيرة حول شواطىء البحر الابيض .

وذات مساء القى اليخت مراسيه أمام بيروت .

وقررت الجماعة أن تمضى السهرة فى أحد ملاهى المدينة ..

وبينما ابراهيم يشق طريقه بين موائد الملهى ناداه صوت ... « ابراهيم بك » !..

والتفت فاذا بالمنادى .. سليمان ! ومد يده يصافح سليمان بحرارة .. ثم انتحى به جانبا وجلس الاثنان معا الى احدى الموائد .

واحس ابراهيم أن فى صدره اكثر من سؤال . . ولكن كيف السبيل ! ..

**واخيرا قال** : وما الذى جاء بك الى بيروت ؟.

**وقال سليمان** : جئت ابتاع مؤونة الصيف للفندق .. فقد شيدنا جناحا جديدا ونحن اليوم نلقى اقبالا كثيرا .

ـ وكيف حال فارس ؟

ـ انه بخير ..

وبعد تردد قصير :

ـ وسلمى كيف حالها ؟

وقال سليمان بصوت هادىء:

ـ ارجو أن تكون بخير ..

ـ ترجو ؟ كانك لاتعرف ..؟

ـ لقد نذرت سلمى نفسها لله

وامسك ابراهيم بذراعه واقبل عليه يهزه ..

ـ نذرت نفسها .. كيف .. تكلم ..

ـ ترهبت .. ودخلت الدير !

واطرق ابراهيم براسه وساد الصمت الى أن استأنف سليمان حديثه فقال :

ـ لقد عادت من بيروت ـ وانت تعرف متى وكيف ـ محطمة القلب ! .

لقد كنت يا ابراهيم أول حب لها .. وكنت آخر حب .. والله وحده هو القاضى وهو الذى يحكم لك او عليك ، اما انا . . ( وهز سليمان راسه ) فلست والله أعرف هل انت احسنت او اسات ..

وسكت قليلا ثم قال :

ـ ولقد قصت على كل شىء .. ورأسها فوق صدرى وعبراتها تبلل لحيتى .. ولقد غالبت حبها وداءها نحو شهرين .. ولعلها كانت ترجو انك ستعود اليها .. ولكنك لم تعد بل ولم تكتب اليها .. واخيرا قررت ان تنذر نفسها لله . ولقد عارض عمها فى بادىء الامر ولكنه خضع فى النهاية امام اصرارها وانا الذى رافقتها الى باب الدير .. ( وسكت قليلا قبل أن يقول) هل تريد أن تسمع بقية الحديث؟

واوما ابراهيم براسه ان نعم !

وقال سليمان : لقد كان صباحا نديا مشرقا من ايام

الخـــريف . وغادرت سلمى الفندق وقد ارتدت اجمـــل ثيابهـــا .. وعندها ثوبان اثنان ـ وكان الثوب الذى اختارته من الكتان الابيض وقد شدت حزاما حول خصرها . ووضعت حول عنقها عقدا من المرجان وشبكت فى شعر راسها وردة حمراء . .

واخفى ابراهيـــم وجهه بين يديه ! ..

واستمر سليمـــان فى حديثه وقال :

ـ ولا اكتمك اننى دهشت عندما رايت ثوبهـــا وزينتها هـــذه ! لكأنها كانت ذاهبـــة الى حفلة اوعيد ! .. ولم تقل هى شيئا حتى انفتح باب الدير الكبـــير . وقد وقفت الراهبات فى ساحة الدير ليستقبلن اختهن القـــادمة . . هـــذه العذراء التى لم يمســـها سوء . . وقبل ان تخطو سلمى الخطـــوة الاخيرة التى ســـوف تحجبهـــا الى الابد عن مباهج الدنيا والشباب التفت الي وقالت:

« اكتب الى ابراهيم وقل له انى ذهبت الـــى بيت الله بنفس الثوب والزينة اللذين ذهبت بهما اليـــه فى أول لقاء » ثم اخرجت من جيبها شيئـــا .. وقالت :« وارسل هـــذه اليه وقل له ان سلمى تغفر لك وتبارك لك ولن تمنحها هذه ولتكن السعادة من نصيبك ونصيب من تختار» .. هذه كلماتهـــا حرفا بحرف .. فلكم اعدتها على نفسى ولكم بكيت!

ومسح سليمان دمعة انحدرت على خده واخرج من جيبه الداخلى محفظة .. واخرج منها ورقة مطوية .. ناولها لابراهيم وهو يقول :

ـ ولكنك لم تترك عنوانك .. ثم اقول لك الحق اننى اشفقت اذا ما ارســـلتها اليك وعلمت بوصيـــة سلمى وكتبت اليك ان اهيج فى صـــدرك نارا لعل من رحمة الله ان تخبو وان تنطفىء .. ولهـــذا ابقيتها الى حين .. ثم انا كنت دائما اعتقـــد انه لابد

ان يجىء يوم القاك فيه ..

وفتح ابراهيم الورقة المطوية فوجد فيها السوار الذى كتب عليه ... «دائما معك» !..

# قصة.. القصة والمؤلف

## الإهداء

الى رائد القصة المصرية

صديقى توفيق الحكيم

م. ت.

تناول الكاتب القصصى المشهور قلمه وسكت لحظة وهو يقلب سيجارته بين اصابعه ، ثم بدا يكتب قصة قصيرة لمجلة اسبوعية واسعة الانتشار ..

الساعة الآن العاشرة مساء . ومطلوب منه أن يرسل قصته الى ادارة المجلة فى الصباح لكى تنشر فى العدد الذى سيصدر فى اليوم التالى .

امامه اذن ساعتان فقط أو نحو ذلك لكتابة القصة قبل ان يأوى الى فراشه . ولكنه مشهود له بسعة الخيال . ثم هو قديم العهد بفن الكتابة وفن القصة . .

وبدا قلمه يجرى على الورق الابيض بسهولة وثقة ..

* * *

( ـ ) سيداتى وسادتى ! سمعنا الآن قصيدة نهج البردة من شعر امير الشعراء احمد شوقى بك ، وموسيقى رياض السنباطى وغناء درة ! بفن الآنسة أم كلثوم . وبهذا انتهى برنامجنا هذه الليلة ..

والقى المذيع تحية المساء . وعزفت موسيقى محطة الاذاعة النشيد الوطنى ..

واستدارت روحية هانم فى فراشها ومدت يدها واقفلت جهاز «الراديو» . . ثم القت نظرة على الساعة الصغيرة القائمة على مائدة الليل المجاورة لفراشها . . وكانت الساعة الواحدة صباحا

وهزت روحية كتفيها . . وتناولت قصة فرنسية كانت تقرأ فيها قبل ان تبدأ المحطة فى اذاعة قصيدة نهج البردة . . ولكنها لم تلبث ان تركت القصة تقع من يدها . .

لقد حاولت ان تقرأ ولكن افكارها شردت . .

وشاعت عيناها فى اركان غرفة نومها كأنها تبحث عن شىء ما . .

ثم هزت راسها بعنف كانهاتريدان تطرد من راسها خاطرا ما !
واراحت روحية راسها علىالوســـادة ومدت ساقيها . .
وصعدت تنهيدة عميقة .
وقالت لها المرآة الكبيرة التى تواجهالفراش . . انهالاتزال شابة وانها جميلة . .
وهمست انوثتها الناضجة . . ان حرام ان تمضىلياليهـا بدون اليف . . وفى انتظار زوج لايعودالا مع الفجر . .
ودمدم دمهـا الحار المتدفق فى عروقها آلى متى الصبر . . وكيف الخلاص !؟
وصعدت روحيـــة تنهيدةاعمق من الاولى . وضمت اليها احدى ســاقيها ثم نفضتها . . ودفعت بهـــــا غطاء الفرش الحريرى بغضب وضيق صدر .
وتكشفت ساقاها الجميلتانمن تحت قميص النوم الرقيق الوردى اللون . . .
انها الآن فى الثلاثين منعمرهاوالايام تمضى والشبـاب لم يدم لاحد . . ولن يدوم لها !
ونهضت روحية من فراشهاوراحت تمشى فىغرفة نومها .
ووقفت لحظة امام المرآة . . ثم مشت الى النـافذة تطل منها على الحديقـــة النائمة فى ضوءالقمر ! . .
وفى الحديقة نامالزهرواطبقتجفون الورد ونعسالياسمين . . وكان الجـو صيفا ونسيم الليليمشى على مهـــل مثقلا بانفاس حارة من ارج وعطر
وتنـــاولت روحية منديلهاالصغـــيرالمزركش ومسحت به دمعة ساخنـــة كبيرة سالت علىخدها . .
كتبت يارب خيبة الامل منصيبها فلماذا ؟ اسعدت نساء

واشقيتها فلماذا ؟

لقـــــد تزوجت وهى فى الثامنـــة عشرة من عمرها وكان زواجها هذا زواج غرام . وكان ابراهيم زوجها الاول شابا طبيبا كان يحبها وكانت تحبه . . ولكنه اجرى عملية اجهاض لفتاة لينقذ شرفهـــا وشرف صديق له . . وماتت الفتاة بين يديه . . وكانت الفضيحـــة والمحاكمة . . وادانه القضـــاء . . وقضى فى السجن عاما وبعض عـــام . . وشطب اسمه من سجل الاطباء .

وتدخلت اسرتهـــا الـــكبيرة وارغمـــوا الفتى على الطلاق . . وعادت روحية الى دار ابيها التى كانت قد تركتها الى دار العرس منذ عام او اقل !

بضعة شهور فقط كانت كل نصيبها من الحب والهناء . .

ثم زوجتها الاسرة من زوجهـــا الثانى وهو كهل يكبرها فى السن بنحو عشرين عاما . . ولقد قيل لها انه من اصحاب الثروة الطائلة ثم هو طيب القلب هادىء الطبع خبير بالحياة . .

وقبلت روحيـــــة لانها كانت كســـــيرة الخاطر دامية القلب مجروحة الكبـــرياء . ولقد كانت ترجو أن تؤسس مع زوجها الكهل بيت زوجيـــــة هادئا هانئا قد تنقصـــه حرارة الحب . ولكن لن تنقصه الابتسامة الراضية !

ولكن . . اذا كان الزواج الاول قد خيب آمالها . . فقد خيب آمالها كذلك زواجها الثانى . .

لقـــــــ قرأت روحية فى قصـــة فرنسية انه يطيب للمرء أحيانا ان يستعيد معالم المـــاضى واثرهـــا فى نفسه وفى حياته . . وهاهى ذى تعود الآن بذاكرتها الى اول ليلة دخل عليها زوجها هذا . . زوجها الثانى . .

دخل عليها وهو يقدم رجـــلا ويؤخر اخرى . . مترددا فى خطاه

. . . كأنه يحس هول الفرق بين سنه وسنهـــا .. لقد كان في الاربعين من عمره .. وكانت هي لم تبلغ بعـد سن العشرين .. ومع ذلك فان روحيـــة تعرف صديقـــات لها تزوجن فى مثل سنها ومن رجال فى سن الاربعين وما فوقهـا .. وهن سعيدات فى زواجهن . بل تعرف صديقة بالذات كانت فى السادسة عشرة من عمرهـا يوم أحبت رجلا فى الثامنـــة والاربعين ! . . لابد ان يكون سر الامر مع الرجل نفسه أو فى الرجـــل ذاته والا فلماذا ينجح رجال و يفشل آخرون ؟. ولمـاذا يسعد رجـال زوجاتهم .. وزوجات لا يلقين مع أزواجهن سوى المرارة وخيبة الامل ؟ .. هناك رجـــال يبدون فى السن التى يشاءون . ورجال يبدون أكبر سنا مما هـم فى الحقيقة !

وهناك أزواج يحرصون على ان لاتزيد سنهم على السن التى تريد المراة ـ زوجتهم ـ ان تكون لهـــــم .. وان يقفوا عندها لايتزحزحون !..

وهناك أزواج لايتركون فرصة الا انتهزوها ليذكروا نساءهـــم بالفرق الكبير بين سنهم وسنهن! وما أثقل حديث السن والكهولة والشيخوخة على سمع الزوجة الشابة ! . .

حذار ان تحـــدث المراة عن سنـك أو عن الفرق الكبير بين سنها وسنك ! . .

هذه عبارة قراتها روحيـــة فى قصة فرنسية .. او المـانية لاتذكر ! . .

ولكن زوجها محمود ـ محمود بك عبد العال ـ دخل عليها أول ليلة .. لا كزوج يتهيب قدسية المحـراب الذى يدخله لاول مرة .. ولا كعـــاشق اقبل يركع بين يدى حبيبته .. لا هذا ولا ذاك بل دخل عليها وكانه اب او وصى جاء يواسى فتاة فى ليلة حزنها ! .

دخـل ليلتها وجلس الى جانبها . . ثم مديدا مرتجفـة وامسك بيدها . وحـاول ان يتكلم فلم يطاوعه لسانه ! . . نظراته كانت تقول لهـــا : كيف يطمع قر الشتاء فى دفء الربيع ؟! . . مع انه كان لايزال فى الاربعـين من عمره . . وكانت هى يوم قبلت الزواج منه كسـيرة الخاطر . . وكانت مستعـدة . . بل كانت ترضى ان يحاول تضميد جراحها . . جرح قلبها وجرح كبريائها . . وان يكسب حبهـا . . ما كان أحوجهـا ليلتها الى ذراع قوية تسندها الى صدر حنون تريح رأسهـا عليه ! الى فم يهمس فى اذنهـا . . بالحب والامل والرجاء ! . . ولكنه لم يفعـل ولم يحاول ! كل ماتذكره الآن انه قضى معهـا فى تلك الليلة بضع دقائق . . وانهـا كانت تبكى . . وانه حاول مرتين ان يقول شيئا ثم امسـك . . ثم خرج واغلق وراءه الباب . . باب المحراب !! . ومر نحو اسبوع قبـل ان يزورها للمرة الثانيـة فى حجرة نومها . ولقـد شمت رائحة الخمر عندما اقبـل عليها ! . لقد اراد المسكين أن يستمـد من الكأس شيئا من الشجاعة التى لم يكن يحسها ! . . كان يتهيب الموقف ! . . كان خجـلا من ان يقول لها ـ لزوجته ـ احبك ! . . دخل . . وجلس . . وامسك بيدها وقبلها وسكت . . ثم راته يبكى ! . . ولما سالته عن سبب بكائه نهض واقفا وهو لايزال ممسكا بيدها . . ثم ترك يدها تقع من يده . . وغادر الغرفة . . غرفـة نومها . . وادركت روحية فى تلك الساعة ـ كان ذلك منذ عشر سنوات او لعلها احدى عشرة ـ ادركت ان زوجهـا يحبها ولكنه يتهيب ان يصارحهـا بحبه . ويتهيب أن يطالبها بحقوقه ! . . بحقوقه كرجل وكزوج ! آه لو انه عرف . . آه لو انه عرف انها ـ روحية ـ كانت فى تلك الايام اشد ماتكون حاجـة لرجل ! . . رجل ! . . رجل ! . . يعرف كيف يهـزها هزا حتى

يقلب مافى اعماق نفسها . .رجل يؤنسهـــا ويعرف كيف ينسيها ويواسيهـــا ! . . اذن لاستطاع ـ ربما بل واكثر من ربمـــا ـ ان يكسب حبها على مر الزمن . .او على الاقل عطفها . . او على الارجح ماهو اقل من الحب بقليل واكثر من العطف بكثـــير !. . ولكن زوجها محمود بك ـ هكذا تعلمت بعدها كيف تناديه ! وكان هو يناديها روحية هانم ! ـ ولكن زوجهـــا لم يحاول او لعله لم يعرف كيف يحـــاول ! . . لقد عرفت روحيـــة ان محمود بك احس منذ الليلة الاولى انهـــا لاتحبه . . بل وقد يجفل شبابها من كهولته . . وان كبرياءه غلبت حبـــه . . نعم لانه يحبها . . وهـــدایاه التى امطرها بها فى الشهـور الاولى . . شاهد على ذلك . . ثم شعوره بانه يكبرها فى السن . .

وهـذا هو كبرياء المحب ومركب النقص فى الزوج الكهل . . كلاهما اخرس لسانه واقفل فمه وانتهى الامر ! واصبحا (زوجين) بالاسم ثم انقطعت زياراته لها فى غرفة النـوم . . واصبح يقضى سهراته خارج الدار ! . .

وتذكرت روحية كيف دخلت عليه ذات يوم فى حجرة مكتبه ـ وكان قد انقضى عامان على زواجهما لتستـــأذن منه فى الذهاب مع صديقة لها الى حفلة بدار الاوبرا الملكية . . وانه قال لها دون ان يرفع راسه عن الكتاب الذى كان يقرأ فيه : ( تستطيعين دائما ان تذهبى حيث تشاءين دون حاجة الى استئذانى ! )

وكانما خشى ان تفسر روحية هذا بعدم الاكتراث لها لانه رفع راسه ونظر اليها طويلا ثم اضاف:

ـ ارجوك الا تسيئى فهم كلامى اننى اقصـــد ان لى بك ثقة غير محدودة ! . .

وكانت هذه اول مرة استطاع فيها محمود بك ان يقترب حقيقة

من قلبهـــا ! . . ولو كان نهض لحظتها واخذها بين ذراعيه وقبلها على فمها لمـا كانت . .

اوه للثقة !. . الاحترام المتبادل! . . نعم هذا كل شيء بينها وبين زوجها ! ولقد اخذت نفسها على ان تكون أمينـــة على ثقته . . وعلى اسمه وعرضه ! . .

ولكن ! ثم ماذا ؟. . ماذا . . ماذا بعدها ! . .

الثقة والاحترام وطيبة القلب . . وثروته الطائلة !. .

ثروته ؟. . عمـرها ما اقامت لهذه الثروة وزنا أو قيمة . . ثم هى قد ورثت عن ابيها الذى توفى منذ ست سنوات ثروته الطائلة . .

طيبة قلبـه واحترامه وثقته فيها ! وماذا تغنـى طيبة القلب والثقة ؟. . هل تستطيع روحية ان تجـد فيهما عزاء ؟ هل تجد فيهمـــا حرارة الاليف وسلوى الرفيق ؟ هل تجد فيهما مؤنسا لوحدتها فى الليل الطويل ؟

انها حقيقة لاتحبه . . لانه لم يحـاول ان يكسب حبها . .

. . . . . .

. . . . . .

وهنا سمع المؤلف صوتا يناديه . . اســتاذ !. .

كلمة واحدة من فضلك يا استاذ !

وتوقف القلم عن الكتابة ورفـع المـؤلف القصصى المشهور راسه وقال : نعم . . .

**روحيه** : تسمح لى بسؤال ؟

**المؤلف** : تفضلى . .

**روحيـه** : لقد هممت ان اعترض عليـك منـذ السطور الاولى فى قصتك ولكنى آثرت الانتظار حتى اتبين حقيقـة موقفى وعواطفى حيـال زوجى . وانا

ارى الآن انك تضعنى فى موقف خطأ

**المؤلف** : كيف ؟ واين الخطأ ؟

**روحيه** : ان قصة الزوجة المهملة حديث او بحث قديم . واعراضها معروفة . وسواء اسميتها روحيه او اسماها كتاب القصة الفرنسية والانجليزية والالمانية والروسية سوزان ومارى وانجريد وصوفيا . . . فان هذه الاعراض معروفة ومتفق عليها ومن بينها الغيرة والخيانة اى مقابلة الاهمال بالاهمال او ماهو شرمنه.

**المؤلف** : مهلا .. مهلا ..

**روحيه** : مهلا ازاى ! اننى اريد ان تجعلنى منطقية مع نفسى ومع الواقع .. انك تزوجنى من رجل كهل يكبرنى فى السن بنحو عشرين عاما. وتجعلنى لا احبه ويمضى على زواجنا عشر سنوات .. ثم تجعلنى مع ذلك اسهر الليل فى انتظار عودته مع الفجر ؟ ! لماذا انتظره يا استاذ ؟.. كان يقبل هذا منك لو اننا كنا فى الشهر الاول او الشهور الاولى من الزواج وكان ممكنا تفسير هذا بالكبرياء المجروحة !.. بالفضول !. بالرغبة فى مناقشة الزوج الحساب لعله يصلح من امره .. ولكن اما وليس هناك حب ولاشبه حب ! ولا غيرة ولا فضول ولا امل فى الاصلاح بعد مرور عشر سنوات على الزواج .. فلماذا انتظر زوجى ؟. وعلى فكرة ! لم تقل اين يقضى زوجى سهراته كل ليلة ؟.

**المؤلف** : يلعب الميسر فى ناديه ! ولقد نسيت ان اذكر هذا .. ولكنى كنت ولا شك ساتدارك هذا الخطأ عند تصحيح «بروفة» القصة !

**روحيه** : عظيم . زوجى يلعب القمار كل ليلة وانا اعرف ذلك فلماذا انتظره اذن ؟

**المؤلف** : لو لم تقاطعينى لعرفت السبب !.. لان لصا سوف يدخل من نافذة غرفتك. ويجب ان يجدك اللص مستيقظة ..

**روحيه** : يجدنى مستيقظة .. ومع ذلك يدخل ؟.

**المؤلف** : انه لا يعرف انك مستيقظة الا بعد ان يتسلق الجدار ويطل من النافذة ..

**روحيه** : ولكن الغرفة مضاءة يا استاذ .. لانك جعلتنى بعد انتهاء الاذاعة اتناول قصة فرنسية واقرا فيها .. والمرء لا يقرأ فى الظلام .. فكيف يقدم اللص على تسلق جدار لكى يدخل من نافذة غرفة يشع منها النور ؟

وسكت المؤلف لحظة ثم قال ..

**المؤلف** : عندك حق فى حكاية النور . ويحسن بى ان اجعلك تطفئين النور ثم تشعرين بحدوث حركة أو صوت فتمدين يديك و تضغطين على زر المصباح الكهربائى الموجود بجانب الفراش ..

**روحيه** : من غير ان اخاف ؟.. اظن يا استاذ انه ليس فى وسع كل سيدة مصرية ان تكون عندها هذه الشجاعة .. وانا شخصيا كسيدة مصرية تحترم الواقع والتقاليد كنت ألزم الصمت واتظاهر بالنوم العميق واترك اللص ياخذ من غرفتى مايشاء.. وبعد خروجه من النافذة اجرى وارقع بالصوت واصيح : حرامى . حرامى ..

**المؤلف** : بأه اسمعى . اذا كان فى نيتك ان تقيمى اعتراضا على كل تفصيل مهما تفه .. فالافضل ان لا اكتب القصة ..

وقد قال هذه العبارة الاخيرة بشيء من ضيق الصدر والغضب !

**روحيه** : معذرة . ولكنى حريصة على سمعتك كمؤلف قصصي مشهور .. حقيقة ان هناك مؤلفين وقصصيين كثيرين لايقيمون وزناكبيرا لهذهالتفصيلات ولايعنون باحكام بناء القصة ولكن انت ! انت ..

**المؤلف** : متشكر !.. والآن هلأستطيع استئناف الكتابة ؟

**روحية** : ولكنك لم تجبنى فى الحقيقة عن سؤالى.. لماذا انا انتظر زوجى الذى لا احبه والذى تزوجته منذ عشر سنوات !

**المؤلف** : قلت لك ان اللص ...

**روحية** : هذا السببغير مقنع . وهل انا كنتاعرف ان لصا سوف يشرفنى بزيارته حتى اسهرفىانتظاره ؟ وانا اريد ان اعرف لماذا ابقيتنى ساهرة ؟ .. اننى كما قلت حريصة على سمعتك كمؤلف مشهور ...

**المؤلف** : ربما الذكريات الماضية غلبت عليك هذه الليلة فابقتك ساهرة .

**روحية** : اية ذكريات ؟..

**المؤلف** : زوجك الاول مثلا

**روحية** : هل انا مازلت احبه واذكر ايامه السعيدة الماضية ؟ لماذا لم تقل هذا اول الامر ؟

وهنـا نفد صبر المؤلف وضرب مكتبه بقبضـة يده

**المؤلف** : وهل يجب على أن اقول كل شيء فى مستهل قصتى ؟ لم لم تتركى لى وقتا للتفكير ؟ انا نفسى لم اكن أعرف انك لاتزالين تذكرين زوجك الاول وتحبينـه او تحنين الى ايامك معه ! .. وهذه الفكرة خطرت لى الآن فقط ...

**روحية** : والفضل لى !

**المؤلف** : ... وانا شخصيا كثيرا ما اتناول القـلم لاكتب قصة دون ان تكون فى راسى فكرة محددة ولكنى اترك لخيالى العنان ... وللحوادث نفسها ان يسوق بعضها بعضا ...

**روحية** : سؤال آخر .. واعدك بانه آخر سؤال .. لقد جعلتنى اصغى لقصيدة نهج البردة ... وكان فى امكانى ان اعترض على هذا الاختيار لسبب بسيط وهو ان السيدات اللاتى يقرأن قصصا فرنسية فى فراش النوم لسن دائما من المولعات بسماع القصائد الدينية مثل نهج البردة .. ولكنى اعترض لسبب آخر ... وهو أن هذه القصيدة لم تذع لاول مرة الا فى اواخر اكتوبر الماضى بمناسبة عيد الهجرة ... اى راس السـنة الهجرية ...

**المؤلف** : واى باس فى هـذا ؟

**روحيـة** : ولـكننا الآن فى الصيف ! الم تقل اننى وقفت امام النافذة وكان الجو صيفا والنسيم مش عارف ايه يمشى على مهل ! .. فاى صيف تقصد ؟ .. لابد ان يكون صيف ١٩٤٨ ؟ مع ان قصتـك هذه سوف تنشر

هذا الاسبوع .. ونحن مانزال فى عام ١٩٤٧

وهنا رمى المؤلف بقلمه ... ونهض واقفا ...

**المؤلف** : اللهم طولك يا روح ! يعنى اشمعنى التدقيق ده كله معايا أنا .. فى كل يوم نجد قصصا سخيفة تنشرها الصحف والمجلات .. قصصا ضعيفة البناء والتركيب ... مملوءة بالاخطاء الفنية ومضطربة المعنى ... قصصا لا مغزى لها ولا نهاية مفهومة .. ومع ذلك تقرأ باعجاب ويزجى الحمد والثناء لكاتبيها .. واما أنا فيجب أن احاسب الحساب العسير على كل حركة وكل لفظ وكل ...

**روحية** : لانك مشهور ... ومشهود لك بانك استاذ فى فن القصة وحرام أن تقع فى مثل هذه الاخطاء .. ثم لم افهم حتى الآن سبب عبارات : نام الزهر واطبقت جفون الورد .. وانفاس حارة من أريج وعطر ..

**المؤلف** : لان معظم قراء القصص من الطلبة . ولقد أوصانى رئيس التحرير بالاكثار من هذه العبارات الساخنة لان الطلبة يقتبسون منها فى رسائل الغرام التى يكتبونها ـ ثم كأنه تذكر شيئا كاد يفوته ـ ثم لا تنسى انك فى هذه الليلة تهتاجك الذكرى ... ذكرى حبك وزواجك الاول ... وانك اليوم فى الثلاثين من عمرك اى مازلت شابة .. فليس عجبا اذن أن تذكرى زوجك الاول .. الرجل الذى كان اول وآخر حب لك وخصوصا فى مثل هذه الليلة من ليالى الصيف .. وعبيق الزهور يحمله النسيم الى غرفتك ...

**روحية** : اما زلت مصرا برغم اعتراضى على ان تجعل

هذه الليلة من ليالى الصيف .. مع انها يجب ان تكون من ليالى الخريف او الشتاء هـذا اذا كنت متمسكا بقصيدة نهج البردة !

**المؤلف :** سوف اعيد النظر فى هذه النقطة عند تصحيح البروفة ومع ذلك فقد كان لشكسبير نفسه سقطات تاريخية واخطاء جغرافية وكان نقاد الادب وعلماء البيان يسمونها « اناكرونيزم » .. ولم يجدوا فيها ما ينتقص من قيمة قصصه ...

**روحية :** ولكنه شكسبير يا أستاذ !

**المؤلف :** ولم لا اكون مثل شكسبير ؟! ...

**روحية :** طبعا !

**المؤلف :** هل تسخرين ؟

**روحية :** العفو !

**المؤلف :** والآن هل استطيع ان استانف كتابة قصتى بسلام ؟ .. اننى اريد ان انتهى منها هذه الليلة ...

**روحية :** تفضل .

واستانف المؤلف الكتابة بعد ان القى نظرة على السطور الاخيرة من قصته ...

* * *

عشر سنوات انقضت على زواجها الثانى ! .. كانت يومها فى العشرين . . وهى اليوم فى الثلاثين .. هذه السنوات العشر هى خيرما فى العمر ! هى اطيب سنى الشباب وقد ضاعت . . راحت مع الوحدة . مع الذكرى . وفى انتظار ماذا ؟ ..

وانكفأت روحية على فراشها ودفنت وجهها فى الوسادة . . كانها تخشى ان يمزق شهيقها الجاف سكون الليل !

لماذا طلقوها من ابراهيم ؟ ولماذا فرقوا بينهـا وبين الرجـل الوحيـد الذى احبتـه والذى اسـتطاع ان يملأ فراغ قلبهـا ! لماذا ؟ .. لماذا ؟ لماذا ؟ ..

وانضمت اصابع يديهـا على غطاء الوسادة بقسوة وعنف . .

آه لو استطاعت ان تعود بالتاريخ القهقرى .. آه لو استطاعت ان ترد الزمن وان تعود الى يوم ارغموها على طلب الطـلاق . . اذن لعرفت كيف تقول لهم ماكان يجب ان تقوله يومئذ . . انهـا اليوم فى سن الثلاثين وهى تعرف . . نعم تعرف ما ذا تقول ! تقول لهم : وما الذى انبأكم انى اريد الطـلاق ! . . انى اريد فـراق زوجى الذى احبـه ! . . لانه ارتكب عملا يخالف القانون ؟ ومن الذى لم يرتكب فى حياته عمـلا يخالف القـانون . . بل ما هو الشرف ومن هو الشريف ؟ . . الشرف هو كل صفة لا يتناولها القانون بالحظر والتحريم . . وكم فى القانون من ثغرات وثقوب ! . والشريف هو الذى لم يقع بعـد تحت طائلة القانون ! . . وكم من الوف يمشون بيننا احرارا اشرافا . . لان يد القانون لم تنلهم . . نعـم . . كم من شريف مدين بشرفه لعجز القانون !

من الذى انبأكم ان المرأة تنسى حبها واخلاصـها لأن رجلها لم يخلص للقانون ؟ . . ما للحب والقـانون واحترام القانون ؟ . . وما للقلب وصفحة السوابق !. . فليكن مجرما فى نظر الناس وذمة القانون . . ولكنـه يحبنى وانا احبـه . . وهـذا كل ما اطلب وسواء لدى بعدها مايقول فيه الناس والقانون . . نعم ليت الزمن يرتد عشر سنوات او احدى عشرة . . اذن لعرفت كيف تناضل عن حبها وحبيبها . واذن لرضيت بالصبر وانتظـار زوجها ابراهيم حتى يخرج من السجن ! . . ليت . . ليت . .

واقبلت سيارة فى الطريق العام . . هل هذا زوجها يعود من

سهرته ؟ . . انه يبكر على غير عادته . . واسرعت روحية تمسح عبراتها . . انها لا تريد ان يراها زوجها فى هذه الحال . . ثم مدت يدها واطفأت المصباح الكهربائى . . وتناولت غطاء الفراش والقته فوق جسمها وتمددت وارخت اعصابها او حاولت ذلك . . انها تريد ـ ان دخل عليها زوجها ـ ان يحسبها نائمة . هذا وهى ترجو ان لا يدخل . . لانها كانت فى حالة تخشى معها ان يفتضح أمرها . صحيح لم يكن من عادته ان يزورها عند عودته فى غرفتها بل ان يذهب مباشرة الى جناحه الخاص . . ولكن من يدرى !

واحست روحية بحركة . . نعم . حركة او صوت ما . هل هذه الحركة عند باب الغرفة ؟ هل هو زوجها ؟ كلا . مصدر الحركة اومكانها ليس باب الغرفة . . واجالت روحية عينيها فى ارجاء غرفتها التى يسودها الظلام . . وفجأة تبينت عيناها شيئا ما يكبر ويرتفع عند النافذة . . ها هو ذا قد استوى مع النافذة . . .

واطبقت روحية فمها حتى لا تصيح .

ورفع الشبح ساقه ومدها داخل الغرفة . . ثم استوى واقفا ! وادار مصباحا كهربائيا صغيرا بيده ( بطارية ) فى ارجاء الغرفة الى ان استقر نور المصباح فوق الفراش

وهنا افلتت اعصاب روحية . . فصرخت ومدت يدها بسرعة وانارت المصباح الكهربائى واستوت جالسة فى فراشها . .

وخيل لروحية ان الرجل الواقف امامها افلتت منه صيحة . . وانه تقدم نحوها خطوة . ثم ثبت فى موقفه يحدق فيها ولا يقول شيئا ! . .

وكان الرجل ملثما ولا يبين من وجهه سوى العينين . .

ومرت لحظة ولحظتان وكلاهما يحدق فى صاحبه . . واخيرا تكلم

الرجل :

ـ لا مؤاخذة ! اظننى اخطأت فى العنوان ! . . هل انا فى بيت محمود بك لطفى ؟

**روحية : لا**

**اللص** : طبعا لا

**روحية** : هذه دار محمود بك عبد العال . .

**اللص** : ادركت هذا عندما رأيتك ! . . اريد ان اقول اننى عرفت خطئى لان محمود بك لطفى عزب وليس فى داره سيدات . .

وخيل لروحية ان الرجل ابتسم من تحت لثامه . .

**وعاد الرجل او اللص يقول :**

ـ الحقيقة اننى غشيم فى الصنعة ! . بل هذه اول مرة . .

وترددت الالفاظ فى فمه الى ان **قال** :

ـ هذه اول مرة اسرق فيها . . او على الاصح احاول السرقة . . عن اذنك باه !

وارتد نحو النافذة كأنه يريد العودة من حيث اتى . .

وكانت روحية قد تبينت ان الرجل او اللص لا يزال فى مقتبل العمر ـ فى مثل سنها او يزيد قليلا ـ وان نبرات صوته هى نبرات رجل مهذب . . رجل متعلم . . ثم . . ثم ما ذا ؟ فى صوته شىء ما تعرفه روحية او خيل اليها انها تعرفه . ولكنها لم تستطع ان تتاكد تماما بسبب هذا اللثام الذى يكتم وراءه نبرات الصوت ولا يصرفها الا بمقدار ! ولكن . . هذا مستحيل من اين لها ان تعرفه ! . . ان هى الا تخيلات . .

ودق باب الغرفة . ونادت الخادمة من وراء الباب . . واستدار اللص بسرعة . . وخطر لروحية ان تستغيث بالخادمة . ولكنها خافت !. ثم شىء ما اوحى اليها الا تفعل . .

**وقالت الخادمة** من وراء الباب: هل تطلب سيدتى الهانم شيئا ؟

**روحية** : كلا . .

**الخادمة** : معذرة اذن عن ازعاجك ولكن خيل الى انى سمعت سيدتى الهانم تنادى ؟

**روحية** : كلا لم اناد . . ولكن انت ما الذى ايقظك ؟ هل هو صوتى ؟

**الخادمة** : كلا ياسيدتى . . ان سيدى البيك الصغير يسعل باستمرار وقد قست حرارته فوجدتها ثمانى وثلاثين وشرطتين . . ولم اشأ ازعاجك لانى كنت احسبك نائمة ولكنى سمعت صوتا ينادى . .

وكان « اللص » قد توقف عندما سمع دق باب الغرفة . . ووقف يصغى الى هذا الحديث .

وهمت روحية بالنهوض من فراشها ولكنها تنبهت فجأة الى انها بثياب النوم الشفافة . . وان فى الغرفة رجلا غريبا . .

وتقدم الرجل نحوها خطوتين **وقال همسا :**

ـ خليل مريض ؟

وبهتت روحية . . وهمت ان تقول شيئا . . ولكنها استدارت نحو الباب **ونادت . .**

ـ عودى الى خليل وسوف الحق بك حالا . .

**ثم التفت الى اللص وقالت :**

ـ من انت ؟ . . وكيف عرفت ان ابنى اسمه خليل ؟

ولم يجب الرجل بل استدار مرة اخرى نحو النافذة يريد الانصراف من حيث اتى !

ولكن شيئا ما او شعورا ما دفع بروحية ان تثب وهى بثياب نومها الشفافة . . وان تخطو بسرعة حتى لحقت بالرجل وهو

يهم بالخروج من النافذة . . وامسكت بذراعه . . وهى تسائل نفسها : هل جننت ؟ . . هل هذا حلم ! هذا مستحيل . . ولكن . .

**روحية** : قل لى . . قل لى من انت ؟ كيف عرفت . .

وحاول الرجل برفق ان يتخلص من يدها . .

ومدت يدها بسرعة تحاول ان تنزع عن وجهه اللثام . . ولكنه كان اسرع منها فقبض على يديها الاثنتين لحظة ، **ثم قال بهدوء :**

ـ لقد عرفت زوجك . . زوجك السابق فى السجن . . وكنت صديقه وقد قص على كل شىء ! . .

وتراخت يدا روحية . . وجلست فى مقعد كبير بالغرفة . وساد السكون لحظة . . **الى ان قالت :**

ـ وماذا قال لك ؟

وسكت الرجل لحظة **ثم قال :**

ـ كان يلعنك فى صلاته وكان يلعنك فى صباحه وفى مسائه

**روحية** : يلعننى . .

**اللص** : نعم . ولكنه كان يلعنك وهو يبكى . .

وانحدرت دموع روحية على خديها . .

**اللص** : قال لى ان لطمة القضاء او لطمة القدر كانت اخف قسوة من لطمتك . .

**روحية** : لطمتى !

**اللص** : نعم . لقد لطمت كبرياءه يوم تخليت عنه فى محنته

**روحية** : نعم . . صحيح . .

**اللص** : قال لى ولكن جرح كبريائه لم يؤذه بقدر جرح قلبه . . لانك طعنته فى قلبه . .

**روحية** : نعم . .

**اللص** : .. وانه حينما كان فى أشد الحاجة اليــك ، والى وقوفك بجانبه . . تخليت عنه بنذالة .. وبقسوة .. ولما رفض ان يطلقك ارسلت اليه مع ابيك تقولين .. نعم طلقنى . فطلقك !

**روحية** : نعم .. نعم ..

**اللص** : قص على كل هذا واكثر .. ولقد كان يعذبه ان ابنه الذى لم يره .. سوف ينشــأ ويربى بعيدا عنه وفى بيئة كل من فيها يقول له أن اباه شخص غير جدير بالاحترام

**روحية** : كلا .. كلا .. هذا غير صحيح . . لقد نشأ خليل على احترام ابيه .. وكنت اقول له دائمــا ان اباه غائب فى سفر طويل .. الا ليته يعرف .. الا ليت ابراهيم يعرف كم شقيت وكم تعذبت بسببه . . قل لى هل تلقاه ؟

**اللص** : استطيع دائما ان القاه .. ونحن صديقان كما قلت .. ونحن الآن زميلان .. لصان !

**روحية** : .. وما ذا يهمنى !.. الا ليتنى القاه لأقول له كم ندمت عــلى ضعفى وكم شقيت بسببه وكم بكيت ! .. قل له ان روحية لا تزال تحبــه ولا تزال تذكره .. ولا تزال تبكى لانهــا ضعفت امام ابيها ذات يوم ونزلت على ارادته وطلبت الطلاق . . قل له ان روحيــة لم تهنأ يوما واحــدا .. ساعة واحــدة منذ فارقتــه . . قل له . . قل له . ! قل له اننى اريده .. اريده بكل قواى .. اريده بكل خلجــة فى .. بكل عاطفــة فى .. اريده واشتهيه بكل احساس فى وكل شعور فى .. اريده . اريده .

**اللص** : تريدينه . . كيف ؟

**روحية** : كيفما يشاء .. وكما يشــاء .. اتبعه انى يذهب .. واقيم معه حيث يكون ..

**اللص** : تتركين هذا كله . .من اجل لص ؟

**روحية** : نعم ..

**اللص** : قصرك .. زوجك المحترم الثرى . . اسرتك . . اسمك . . تتركين هذا كله من اجل ابراهيم ؟

**روحية** : نعم . . نعم . . والفداء رخيص ! . . قل له . .

**اللص** : ولكنه لن يقبل ..

**روحية** : لماذا ؟ . الا يصدقنى ؟ . الا يؤمن بندمى وعذابى ودموعى ؟ . .

**اللص** : مالهذا سوف يرفض ! .. قد يؤمن بما تقولين . . ولكنه لن يقبل ..

**روحية** : لماذا . . لماذا ؟ . .

**اللص** : لان السجن لم يفقد ابراهيم كبرياءه ! .. لقد ورثت عن ابيك ـ كما قال لى ابراهيم ـ ثروته الطائلة .. انت الآن من ثريات مصر .. الجمعيات الخيرية تتسابق الى بابك .. الحفلات الخيرية تتشرف بوجودك . . المجلات المحترمة تزين صدرها بصورتك .. لقد تزوج منك ابراهيم ـ كما قال لى ـ وهو فقير نعم .. ولكنه كان غنيا بشبابه .. بطموحه .. غنيا بآماله فى المستقبل .. كان يرجو ان يكون شيئا مذكورا فى مهنته .. وان يستطيع فى يوم ما ان يضع بين يديك اسما كبيرا وصيتا عريضا فى عالم الطب .. كان يرجو ان يعادل ثروتك بجاهه ونبوغه .. ولكن .. كل شىء ضاع منه .. اسمه ضاع .. شرفه .. مهنته .. كل شىء ضاع ! تحطمت كل آماله .. فكيف يقبل اليوم وهو .. وهو المعدم . . اللص .. ان يعود اليك او تعودى اليه .. سوف يقول لك ما اقوله الآن : « ان هى الا عاطفة ندم قد غمرتك . . او عاطفة شفقة ورحمة على شخص أحبك واحببته ذات يوم .. ولكنها عاطفة لا تلبث ان تهدأ ثم تموت »

**روحيه** : كلا . . كلا . . واقسم لك !

**اللص** : سوف يقول لك ان ثروتك الضخمة تقف بينك وبينه .

**روحيه** : وما ذنبى انا فى هذه الثروة . . الا نستطيع ان ننساها؟

**اللص** : لن يسمح لكما الناس بأن تنسياها ! . . فى كل خطوة سوف تمتد الايدى تشير « هذه روحيه هانم الثرية الكبيرة » . . « هذه روحيه هانم التى ورثت عن ابيها كذا الف فدان وكذا . . وكذا . . وكيت » . . « هذه روحيه هانم التى تطلقت من محمود بك عبد العال الرجل المحترم لكى تعول بثروتها هذا الشريد نزيل السجون » . . كلا ياهانم . . لن يسمح لكما المجتمع بأن تنسيا هذه الثروة !

**روحية** : كنت أنزل عنها راضية لو كانت لى وحدى . . لو كان هذا من حقى وحدى . . ولكن ابنى . . ابننا خليل . . انها له .

ثم تستطرد وهى لا تزال تبكى . . .

**روحيه** : ارجوك . . ارجوك ان تجمعنى بابراهيم . . سوف اجثو عند قدميه واقول له : افعل بى وبثروتى ما تشاء . . . فقط خذنى . . خذنى . .

**اللص** : سوف يقول لك : « انك تعطيننى شبابك وجمالك وتقدمين مالك . . وانا ماذا استطيع ان اعطيك ؟ »

**روحيه** : اقول له : « تعطينى الحب . . تعطينى الهناء . . انى اشتريهما بكل ما املك والثمن رخيص »

**اللص** : ولكنك لم تسألينى حتى الآن كيف عاش زوجك هذه السنوات التسع اى منذ خرج من السجن . . .

**روحيه** : لا يهمنى ان اعرف ! انه مثلى شقى وتعذب . .

**اللص** : نعم . . لقد شقى وتعذب . . وكان يكفر ويجدف ويلعن ويذكرك ويذكر ابنه ويبكى فى وقت واحد !

**روحيه** : قل لى بربك ماذا كان يقول عنى .. حدثنى عنه ..

**اللص** : سيحدثك هو بنفسه !

ونزع اللص عن وجهه اللثام.. وشاعت عيناها فى وجهه ثم صرخت .. « ابراهيم » وارتمت على صدره .. مغمى عليها

وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة والغلام خليل

* * *

**اللص** ( معترضا على التأليف ) : لا .. لا .. فين المؤلف ده ؟ كله الا حكاية الاغماء الآن .. لقد اضعنا يا استاذ يامؤلف نحو ساعة فى حوار عن الحب والندم والعذاب .. وانا ـ بصفتى لصا ـ وقتى ضيق .. والساعة الآن نحو الثالثة صباحا .. وكل لص يحترم قواعد المهنة والف بانها ، لابدان يتسلل خارجا قبل طلوع الفجر . وحكاية الاغماء هذه ممكن ان تستغرق نصف ساعة أخرى . . ويبقى علينا بعدها ان نصفى الموقف كله .. وهذا يستغرق وقتا طويلا .. والفجر كما قلت على وشك الظهور . . ولهذا لا ارى داعيا بالمرة لهذا الاغماء.. خصوصا ان روحية ليست بلهاء الى حد انها لم تدرك أثناء الحوار اننى ابراهيم ! .. بل سل قراءك جميعهم .. كل واحد منهم عرف اننى ابراهيم .. فلا معنى اذن لاصطناع الصدمة والاغماء !

**المؤلف** : طيب وماذا تقول روحية اذا لم يغم عليها!! .. قل لى حضرتك عايزها تقول ايه ! .. اننا معشر مؤلفى القصة نعمد دائما الى انزال الستار فى الرواية المسرحية أو الى جعل اشخاص القصة يغمى عليهم تفاديا للحرج وعندما نعجز عن وجود الكلام المناسب

الذى نجـريه على ألسنتهم . . بل هنـــاك بين زملائى الكتاب من يذهب الى حـداطلاق الرصاص على بطل أو بطلة القصة لكى يخرســه عن الكلام . . أى عن الكلام المناسب الذى عجز الزميل عن أن يجـــريه على لسان البطل ! . . وهذا كله تفاديا من الحرج أو طلبا لمتسع من الوقت يفكر فيه المؤلف فى كيف الخروج من هذا الحرج . . والواقع ان هـــذا الاغماء ياحضرة اللص سوف يوفر علينا جميعا وقتا طويلا كان سيضيع فى حـوار آخر عن الحب والصفح واستئناف الحياة من جديد . . وربما كانت روحيـــــة تسالك ــ وراسها على كتفك ــ أن تقص عليها ماذا فعلت أو ماذا فعلت بك الايام طول هذه السنوات حتى انتهى بك المطاف الى أن اصبحت لصا . .

**خليل** : طيب وانا ؟ . . ماذا اعمل هنا ؟ . . مفروض اننى مريض . . أسعـــل بشدة وعندى حرارة ثمان وثلاثين وشرطتـين فكيف اتيت هنا ولأى سبب ؟ . .

**المؤلف** : حتـــى الاولاد الصغـــــار يعترضون على المؤلفـين !! لقـد قالت لك الخادمة ان ماما مستيقظة . . وانهـا سوف تاتى اليـك بنفسهـــا . . ولقد طال انتظارك لها . . ثم حدث ان ماما صرخت قبـل ان يغمى عليها . . واسرعت الخادمة اليها . . وكان طبيعيـا جدا أن تجرى وراء الخـــادمة لكى ترى ماذا أصاب ماما! . . ووجودك هنـا ياسى خليل ضرورى لانك ابن الاثنين . . أى انك من العـــوامل التى تربط بين ابراهيم وروحية . . ولا شـــك ان لدخولك عليهما فى هذه اللحظة العاطفية اثرا كبيرا فى اتمام الصلح .

**خليل** : برضه مازلت اقول ان وجودى هنا ليس ضروريا بالمرة .. ويكفى ان القراء عرفوا من الخادمة وهى وراء الباب ان الروحية ابنا مريضا هو أنا .. ثم عرفوا من اللص اقصد ـ بابا ـ انه يحبنى ويذكرنى .. كما ان الحب المتبادل بين ماما وبابا كاف فى ذاته للصلح .. اضف الى ذلك اننى اذا دخلت الآن فلابد ان يتقدم اللص ـ اقصد بابا ، وهو طبيب كما فهمت ـ ويطلب منى ان افتح فمى واقول آه .. ويكشف على ويجس نبضى . . الى آخره لانى مريض ، وهذا الموقف فيما اعتقد سخيف ومن شأنه أن يضعف من حرارة المشهد الغرامى العاطفى بين ماما وبابا يعنى بين روحية وابراهيم .. ومن قوة الموقف الدرامى ...

**المؤلف** : عندك حق ... تقدر حضرتك تعود الى فراشك ولا ضرورة كما قلت لوجودك ..

**روحية** : لقد سكت حتى الآن مع اننى احق من ابراهيم ومن خليل بالاعتراض .. اولا . لم اقتنع حتى الآن بسبب كاف لبقائى مستيقظة .

**المؤلف** : وهل حضرتك كنت تريدين ان يدخل اللص من النافذة ويسرق من غرفتك ما يشاء ويخرج ... وتنتهى القصة ؟ ... او لعلك تريدين ان يوقظك من النوم ويقول لك ( انا حرامى .. انا زوجك الاول .. قومى نتكلم شويه عن الحب والندم والثروة والصفح والغفران ! .. » دى حاجه تجنن !

**روحية** : لماذا يا استاذ لا تضيق صدرا لاباعتراضاتى؟

**المؤلف** : لانها سخيفة !

**روحيـة** : وحكاية ابنى خليل التى فاجاتنى بها .. لم تقل لى قبلا ان لى ابنا ...

**المؤلف** : سبق ان قلت لك اننى لا اسـتطيع ان اعرف مقدما كيف ستتطور القصة .. ان الخيال والقلم فرسا رهان .. ثم انا لست مطالبا يا ست روحية بأن اقول لك كل شيء

**اللص ( وهو ينظر فى ساعته )** : امامك يا استاذ ربع ساعة فقط يجب ان تنهى فيها هذا الموقف وتصرفنى ! .. لان الفجر على وشـك الظهور ويجب ان انصرف ! انا لص ويجب ان اتحاشى النزول من النافذة فى نور النهـار .

**المؤلف** : حضرتك لن تخرج من النافذة .. انت الآن الدكتور ابراهيم .. وسوف تخرج مع روحية ... زوجتك من الباب .. اللهم اذا خطرت لى فكرة جديدة .

**روحية** : ولكن الا ترى يا استاذ انك حملت المصادفة اكثر مما تطيق ؟! ... انا متبرمة بحيـاتى .. اذكر زوجى الاول الذى احبه .. وابكيه .. وابقى ساهرة فى ذكراه .. ثم اذا به يهبط على من السماء .. اقصد من النافذة . هـذا كثير ! كثير جدا ! اخشى ان قراءك المعجبين بك سوف يرمون بالمجلة جانبا ويضحكون او يسخرون من ضخامة هذه المصادفة ؟

**المؤلف** : ان المصادفة عامل اساسى وجوهرى فى بناء القصة . ولكل ناقد ان يناقش المؤلف الحساب العسير فى فكرة القصة وفى هيكلها وبنائها ومغـزاها وحوارها وزمنها .. يناقش كل شيء الا ما يتعلق بالمصادفة ! . .

المصادفة كما قلت عامل اساسى مسلم به منذ مئات السنين اى منذ خط القلم اول قصة ! والا لكانت قصة ماساة اوديب الملك سسخافة خالدة ... لانها كلها سلسلة من المصادفات جر بعضها بعضا وقام بعضها على بعض .. وقصص شكسبير الخالد ملآى بالمصادفة وعنصر المصادفة ... ان المصادفة هى العامل الرحيم الذى يلجأاليه المؤلف ليحل به العقدة او الاشكال .. بل هى الوسيلة الناجعة فى اختصار الوقت وتوفير المجهود والا فتصورى اى مجهود كنت ابذل فى الكتابة لكى اصف جهودك ومساعيك فى العثور على حبيبك ابراهيم ! او فى الجمع بينك وبين ابراهيم !

**اللص** : وهل يجب ان التقى بروحية وان نستانف معا حياة الزوجية ؟

**المؤلف** : لكى تنتهى القصة ! .. والا فاى ختام تقترحه ؟ ... روحية شابة متزوجة من كهل طيب القلب نعم ولكنها لاتحبه وهى لا تزال شابة .. انها تطلب حقها من متعة الحياة كامراة .. وهذه المتعة لا تلقاها فى الحياة مع زوجها محمود بك ! اذن ماذا ؟ .. تنفجر وتفجر ؟! .. تتخذ خليلا ؟ . تخرج الى الطريق وتطلب المتعة الحرام ! ... لقد وقفت امام النافذة .. والليلة ليلة صيف .. وفى انفها عطر الزهر وفى صدرها حرارة الشباب .. وفى عروقها دم الانوثة يتدفق .. ذكرت شبابها .. ودمعت عينها وذكرت حرمانها ودمعت عينها .. وذكرت حبها الاول وزوجها الاول ودمعت عيناها ! ماذا تفعل امراة فى هذا الموقف ؟ او

ماذا افعل بها انا المؤلف ؟ وكيف انهى القصة . انها كانت امراة ثائرة .. انثى ثائرة . . ثائرة على نصيبها . . على القدر .. على حرمانها . . . كانت فى ثورة نفسية عنيفة تسمح لها بأن تفعل اى شيء !! ولكننى مؤلف نظيف وانا أعتز دائما بأننى أحرص على ان اجعل اشخاص قصصى قوما نظيفين .. ليس بينهم سافل واحد ولا وغد واحد ولا دنيء واحد ولا بغى واحدة ، لاننى لا احب ان استغل قذارة الاخلاق او الغرائز السفلى فى اثارة انفعالات رخيصة فى نفوس القراء .. انا لا انكر ان هناك مدرسة أخرى من كتاب القصص العالمى وهؤلاء ينزعون الى تصوير الغرائز البشرية الحيوانية .. ويخلقون اشخاص او ابطال قصصهم من اقذر طينة .. ولكننى افضل ان اكون من كتاب المدرسة الاولى .. مدرسة النظافة ، ولهذا آثرت ان ارد روحية الى زوجها الاول بدلا من ان ادفعها الى طريق الضلال والمتعة الحرام تروى منها وتشبع انوثتها الظمأى الجائعة !

**روحية** : ولكنك من اجل هذه النظافة تكلفنى شيئا كثيرا ! .. ماذا اقول ! .. لقد فارقت ابراهيم هذا منذ ١١ عاما . ولنسلم بأننى ما زلت احبه . واننى مازلت اذكره ولكن يا استاذ ! . انا سيدة من اسرة كبيرة ومتزوجة من رجل فاضل طيب القلب .. لااحبه .. ولكنى لااكرهه .. هل يكفى ان يدخل على من النافذة لص يتبين فيما بعد انه زوجى السابق ابراهيم لكى ارتمى فى احضانه واقول له خذنى!.. كيف؟ .. وكيف

أستطيع أن اطمئن اليه بعد فراق ١١ عاما ؟ .. أنا اجهل كل شيء عن حياته طول هذه السنوات ... فكيف أضحى باسمي واسم اسرتي .. وبداري هذه وبزوجي المحترم ... من اجل ابراهيم حتى ولو كنت احبه ؟ ان الحب هنا لا يكفي ! هذا غير معقول !

**المؤلف** : غير معقول ؟! تقولين غير معقول ؟ وتقال لي انا .. وانا الحريص على ان اكون معقولا .. وان يكون اشخاص قصصي دائما قوما شرفاء معقولين ؟! اذن ماذا يقال عن لص الاستاذ توفيق الحكيم الذي دخل من النافذة فوجد فتاة عائدة من السينما ، وتحدث اليها طويلا في الاشتراكية واطمأنت هي اليه وحدثته عن زوج أمها الذي يراودها عن نفسها . وكانت نتيجة هذا الحديث أن أحب كلاهما الآخر ـ كده خبط لزق ـ واتفقا على الزواج وان تهجر الفتاة الدار وان تخرج مع اللص في ظلمة الليل الى المستقبل المجهول ! .. هل هذا هو المعقول ؟! لص من عرض الطريق لا يعرف الفتاة ولا الفتاة تعرفه ، وليس بينهما سابق عهد ولا حب ولا معرفة .. ويجوز أن يكون كاذبا في اقواله .. ومع ذلك تصدقه الفتاة ... وترضى به زوجا ... وترضى أن تهجر دارها وتضع مستقبلها بين يديه ! .. وكل هذا في ساعة واحدة ! .. ثم يقال لي انا : « غير معقول » ! على الاقل الحرامي بتاعي انا كان متزوجا من حضرتك يا ست روحية وكان يحبك وكنت تحبينه ولا تزالين تحبينه .. وكنت تذرفين الدمع من اجله لحظة دخل عليك من النافذة .. ثم هناك ولدكما خليل

يربط بينكما . وانت تعتقد بن فوق هذا وذاك انك اسات الى ابراهيم يوم وافقت على طلاقك منه وتودين ان تكفرى عن اساءتك اليه ، فهل يقال بعد هذا كله ان عودتك اليه امر « غير معقول » ؟ . . ولكنه « امر معقول » عندما يدخل حرامى توفيق الحكيم ويلف بنت ذوات لا تعرفه ولا يعرفها ويحملها على الرضا بالزواج منه ! . . هذا هو الامر المعقول ؟! . . دى حاجة تجنن يا ناس . . !

**روحية** : ايه رايك يا ابراهيم ؟

**اللص** : اظن ان الاستاذ المؤلف عنده حق . . وانت وانا وجميع الناس نعرف ان هناك سيدات وفتيات من اسر محترمة هربن مع سائق السيارة او مع الطاهى . . او مع افاق من عرض الطريق . . لشهوة عارضة او نزوة نفسية مع انهن كن سعيدات فى حياتهن الزوجية او فى حياة الاسرة . . فلا بأس اذن اذا انت تركت دارك وزوجك لكى تعودى الى انا زوجك الاول . . واعتقد ان فى نية الاستاذ ان يعقد زواجنا من جديد !

**المؤلف** : طبعا بعد طلاق روحية من محمود بيه

**اللص** : عندى اعتراض وقد ترددت طويلا قبل ان افضى به اليك . . ابراء لذمتى . فهل تسمح ؟

**المؤلف** : وما هو ؟

**اللص** : لم تفسر لنا حتى ولا فى عبارة موجزة سريعة كيف هبطت انا الطبيب المتعلم وطبعا من اسرة طيبة الى ان اكون لصا اتسلق الجدران وادخل الدور من النوافذ بقصد السرقة ؟ طبعا انا اعرف اننى ارتكبت عملا

مخالفا للقانون يوم أجريت عملية اجهاض لفتاة . . . وأعرف انى دخلت السجن وخرجت منه بعد عام . . . ولكن جنحة الاجهاض ليست فى ذاتها عملا مخالفا للشرف .. بل هى عملية يجريها الاطباء قانونا وشرعا فى بعض الظروف .. اى ان ارتكابها لا يقوم فى ذاته دليلا على وجود لوثة فى اخلاق الطبيب او على ميل طبيعى فيه وفى اخلاقه نحو الاجرام . . . فكيف اذن انحدرت الى اللصوصية ؟! .. اننى احمل دبلوم الطب . . . صحيح انه اصبح محظورا على أن أمارس مهنتى كطبيب .. ولكنى اعتقد انه كان فى امكانى بعد خروجى من السجن ان اجد عملا شريفا يقينى شر الحاجة خصوصا ان التهمة التى دخلت من اجلها السجن لم تكن كما قلت من الجرائم التى تخدش الشرف او تحول بينى وبين العمل !! لماذا لم أشتغل مثلا فى وظيفة مساعد فى عيادة أحد الزملاء الاطباء .. او وظيفة كبير الممرضين فى مستشفى ؟

**المؤلف** : عندك حق ! .. واعتراضك هذا قام فى خاطرى منذ البداية ! وانا الآن أشعر بضعف هذه النقطة فى قصتى . . . ولكن ماذا اعمل ؟ روحية هانم هذه كان لها زوج ودخل السجن .. فمن يكون هذا الزوج ؟

هل يكون موظفا كبيرا فى الحكومة اختلس او ارتكب جريمة الرشوة ؟ .. مثل هذا الشخص لا يكون جديرا بعطف القراء لان فعلته من الجرائم التى لا يسهل الدفاع عنها والتى لا يهضمها الذوق السليم ؟.. هل يكون محاميا

بدد رســـوم القضايا ؟.. الحال من بعضه ! لهذا فضلت ان تكون الجريمة التى دخل الزوج من أجلها السجن من الجرائم التى يعدها القانون كذلك .. بينمـا ينظر اليها الجمهور نظرة اخف وارحم من نظرة القـانون واخترت الاجهـاض ومن ثم اخترت الطب مهنة للزوج الشاب .

**اللص** : ولـكن اعتراضى لايزال قائما ! لانك لم تفسر لى كيف انحـــدر الطبيب الى اللصوصية ولماذا عجز عن أن يجد لنفسه عملا شريفـا يغنيه عن تسلق الجدران ؟

**المؤلف** : قل لصـــاحب المجلة او لسـكرتير التحرير ان يضع تحت تصرف القصة بضع عشرة صفحة بدلا من ثلاث او اربع صفحات وانا اقص عليك كيف حدث هذا ! ... انكم لاتعرفـون ضيق النطاق الذى نتحرك فيه نحن كتاب القصة القصيرة ! . . ان صاحب المجلة يحرص على ان تكون مجلته ذات رسالة ـ كما يقول ـ ولهذا يصر وهو ينفث دخان سيجاره، على ان تكون القصة ذات مغزى وذات موضـــوع !ومدير التحرير الحريص على على ارضاء اكبر عدد ممكن من جمهور القراء يطلب ان تكون القصـــة خفيفة ! . . وسكرتير التحرير يلح فى ان لاتزيد القصـــة على كذا صفحة . والا جاءنى بالمسودة يطلب منـى ان اختصر من قصتى !.. ماذا يفعل المؤلف المسكين ؟ . .

**اللص** : ولـكنى اقرا احيـانا فى بعض الصحف قصصا قصيرة محبوكة الاطراف منسجمة اجزاؤها وشخصياتها وحوادثها تمام الانسجام !

**المؤلف** : هذه ياصاحبى قصص مصرية بالاسم ولـكنها

« أفرنجية » لحما ودما ! . . . هـذه قصص منقولة عن قصص أوروبا وأمريكا . . بعد تغيير اسـماء شخصيات القصة ! . . هنريت تصبح عزيزه هانم ! والكونت موريس يصبح محمد بك . . . وهكذا !

**اللص** : ولكن لماذا لا تستطيعون انتم هنـا ان تكتبوا قصصا قصيرة محبوكة مثل قصص كتاب الغرب هؤلاء ؟

**المؤلف** : لان المؤلف هناك يكتب قصـته القصـيرة فى اسبوع . . . او اكثر ! عنده اذن كل الوقت لكى يفصـل على مهل . . . ويقيس على مهل . . . ويصلح على مهل . . . ويحوك ويحبك عـلى مهل ! ويقبض فى قصته اجـرا يكفيـه ان يعيش اكثر من اسـبوع !. . . اما هنا فنحن نكتب القصة فى سهرة واحدة . . لان سعر القصة فى مصر لا يسمح لنا ان نضيع من وقتنـا اكثر من ساعتين او بضع ساعات . . والآن وقد دخلنا فى كل هذه التفصيلات هل استطيع ان اعرف بقيـة اعتراضـاتكم وملاحظاتكم حتى استطيع بعدها ان انهى هذه القصة ؟

**روحيه** : اريد ان أعـرف ماذا سـيكون موقفى بين زوجى رقم واحد ، وزوجى الحالى رقم اثنين هل تنوى ان تجمع بيننا - اى بينى وبين محمود وابراهيم ؟ . . اظن ان الموقف حرج وصعب . .

**المؤلف** : ليست صعوبة الموقف هى التى تخيفنى . . بل لعله من المواقف التى تتجلى فيها براعة الـكاتب ! . . عرض مختلف العواطف . . وصدام مختلف العواطف . . الحب ـ الاثرة ـ الشباب الخائف ـ الكهولة اليائسة ـ الخوف من الفضيحة ـ الغيرة والامل ـ الندم . هذه كلها

عواطف وشهوات يستطيع الكاتب ان يقرع بعضها ببعض . . ولكن خسارة ! هذه كما قلت قصة قصيرة . . وهى قد زادت الآن فعلا على المساحة المخصصة لها . .

**اللص** : اذن ماذا ؟ الا يمكن أن تجعل محمود بك يحضر الآن وننهى الموقف بيننا فى كلمتين وبهدوء ؟

**المؤلف** : هل افهم أن حضرتك تقترح أن يدخل الزوج فتقدمك اليه روحية قائلة « حضرته حرامى دخل على من النافذة ثم ظهر انه زوجى الاول الدكتور ابراهيم وانا احبه . . طلقنى باه » . . فيرسل محمود بك ويستدعى الماذون ويطلقها ثم يدعوكم جميعا لتناول طعام الافطار ؟

**ـ اللص** : والله تبقى فكرة !

**المؤلف** : نعم . . ولكنها فكرة امريكية وارد هوليوود ! . .

**روحية** : اذن فليكن روجى رقم ٢ محمود بك عبدالعال مصابا بضغط الدم المرتفع مثلا . ويدق جرس التليفون الآن وتذهب الخادمة وتعود فتقول ان ادارة النادى الذى يقضى فيه محمود بك سهراته تبلغنا نبأ وفاته بالسكتة القلبية اثر انفعال شديد أثناء لعب القمار . . . ! او بلاش تليفون . . تحضر سيارة الاسعاف الآن وفيها جثته . .

**المؤلف** : طريقة رخيصة وسهلة لحل الاشكال وتصفية الموقف . ثم هى مصادفة ضخمة ! . . ان يموت زوجك الثانى ليلة مقابلتك لزوجك الاول .

**روحية** : ولكنك دافعت عن عامل المصادفة ! . .

**المؤلف** : الجمهور يقبل منى مصادفة واحدة . . لا مصادفتين فى قصة واحدة . . قد يقبل هذا من سوفكليس مؤلف اوديب ولكنه لا يقبله منى !

**الخادمة** : طيب . . . يجعل سيدى محمود بك يدخل علينا فجأة الآن ويرى الدكتور فيضربه بالرصاص ويضرب ست هانم بالرصاص ويضرب نفسه بالرصاص كمان !

**المؤلف** : انا لست يوسف بك وهبى .. ثم سيدك محمود بك رجل طيب القلب هادىء الطبع ومثله لا يضرب بالرصاص .

**الخادمة** : طيب بلاش ده كله ! انا سمعت ست هانم تصرخ فجئت مسرعة ووجدتها مغمى عليها على صدر حضرة الدكتور .. وبعدين عرفت منها انه زوجها الاول وانها تحبه .. واعود فأوقظ سيدى الصغير خليل بيه ونخرج كلنا كده من سكات .. بعد ما ست هانم تكتب جواب لسيدى محمود بك وتتركه له على مكتبه !!

**المؤلف** : هل هناك اقتراحات اخرى ؟

**روحيه** : نفرض ان الليلة هى عيد زواجى الثانى .. كان نكون ـ محمود بك وانا ـ تزوجنا مثلا فى يوم رأس السنة الهجرية خصوصا انك [illegible] تستمع الى قصيدة نهج البردة التى أذيعت بهذه المناسبة .. ولقد تذكر زوجى فجأة اثناء وجودى فى النادى ان هذه ليلة عيد زواجنا فعاد مبكرا الى الدار على غير عادته لعله يدركنى قبل أن انام ويقدم لي هدية ما .. وعليك انت يامؤلف ان تدخله الدار دون ان نشعر ـ ابراهيم وانا ـ بقدومه وأن تمكنه من سماع ما دار بينى وبين ابراهيم ؟

**المؤلف** : وبعدها ؟

**روحية** : لك الخيار ..اما أن تجمع بيننا ونصفى

الموقف . . .

**المؤلف** : سبق ان رفضنا هذه الفكرة .

**اللص** : محمود بك رجل طيب كما قلت انت وخبير بالحياة . ولقد سمع ان روحيه لا تزال تحبنى وتريد العودة الى .. اذن يدخل علينا ويطلقها !

**روحيه** : او بلاش يدخل .. يذهب الى غرفة مكتبه ويكتب خطابا يتركه لى مع الخادمة وينصرف وتحمل الخادمة الى الخطاب واقرأ فيه انه عرف كل شيء . وانه يرد لى حريتى .. وسوف يرسل لى غدا ورقة الطلاق !

**المؤلف** : بين اقتراحاتكم ما يمكن قبوله مع شيء من التعديل ... ولكنى أصارحكم بانه ليس بينها جميعا حل واحد ارتاح اليه حقيقة !

**روحيه** : اذن كيف تريد ان تنهى القصة ؟

**المؤلف** : ربنا يفرجها ! .. انا شخصيا اعرف منكم بنقط الضعف فى هذه القصة .. ولكننى كما قلت مقيد بحدود الوقت والمساحة .

**روحية** : ولكننى اعتقد اننا استعرضنا جميع الحلول الممكنة لنهاية القصة .. وان لا مفر لك من اختيار احدها !

**المؤلف** : ربما كان ما تقولينه صحيحا .. واذا لم اوفق الى حل آخر ارتاح اليه فسوف أختار احد اقتراحاتكم .. ولكننى الآن متعب .

**الموجودون** : اذن سعدت مساء او صباحا ! والى الملتقى فى فرصة أخرى .

**المؤلف** : الى الملتقى ! وسوف انهى هذه القصة فى

الصباح !

**الخادمة** : صـــدقنى أن خير الحلول هو اقتراحى الثانى !

**المؤلف** : وهو يتثاءب ! وما هو ؟

**الخادمة** : أن تـكتب روحيـــة هانم خطابا لسيدى محمود بك وتتركه له . . . وتهرب الليلة هى وابنها مع سيدى الدكتور ؟ . . . بنات الذوات بيعملوا كده .

**المؤلف** : سوف نرى !

* * *

ثم يوسد المؤلف راسه المـكتب ويستغرق فى نوم عميق !!

# المعجزة العلمية الحديثة

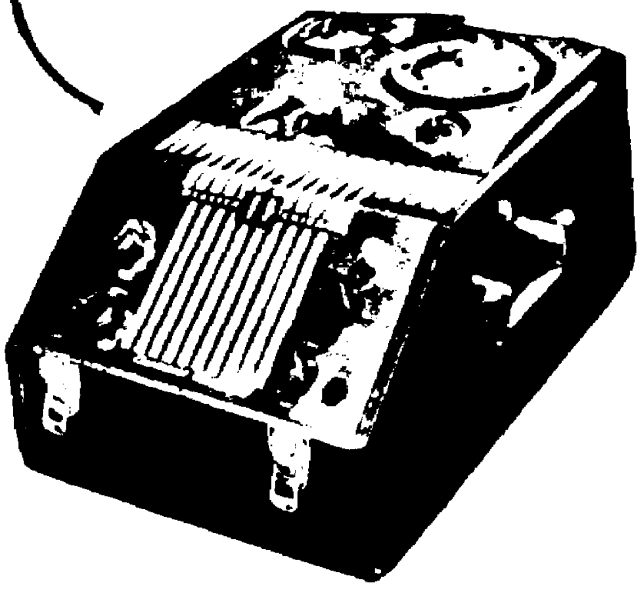

# لتسجيل الصوت

## على سلك أو شريط في الوقت نفسه

آن لشركة Webster Chicago ان تفخر بانها استطاعت ان تحقق نصرا عظيما باخراج هذا الجهاز الانيق الذى يحقق اعظم هدف وهو تسجيل الصوت وسماعه فى الحال بنفقات زهيدة. ولهذا الجهاز ميزات عظيمة اهمها:

- سهولة حمل الجهاز ونقله من مكان الى آخر
- امكان اعادة استعمال السلك فى تسجيلات أخرى حسب الارادة
- وضوح الصوت حتى لكان الجهاز ينبض بالحياة
- امكان تسجيل الاصوات المختلفة مدة ساعة كاملة
- تستطيع باقتنائه ان تسجل اصواتا قد لا تستطيع تسجيلها مرة اخرى

ان جهاز Webster Chicago Wire & Tape Recorder
يعتبر فتحا جديدا فى عالم الاكتشافات العلمية

الوكلاء للشرق الأوسط **شركة أحمد دياب** للاستيراد والتصدير - ٤٥ شارع قصر النيل
عمارة البنك الغربي ت ٧٩٠٧٨
المعرض (ميدان توفيق) عمارة التأمين ت ٤٧١٥٥

مطابع دار

# أخبار اليوم

الدار الوحيدة فى الشرق
المتجمع بين

طباعة الروتوغرافور
وطباعة الروتانيف

مستعدة لطبع جميع الأعمال التجارية
سيناريو . اعلانات
كتب . مجلات . برامج

كتاب الشهر القادم

# إيران على بركان

محمد حسنين هيكل

# كتاب اليوم

صاحباه

**مصطفى أمين وعلى أمين**

رئيس التحرير

**عبد العزيز عبد العليم**

كتاب شهرى

يصدر عن

**دار اخبار اليوم**

الادارة والتحرير

والاعلانات والتوزيع :

شارع الصحافة

المراسلات :

صندوق بريد [illegible]

تليفون ٧٧٧٧٧

نشره خطوبا

## الاشتراكات

فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و ١٢٠ قرشا بريد مستعجل - فى البلاد العربية والبلاد الداخلة فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل او ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٦٫٥ بنس - فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ او ٢٥ دولارا بالبريد المسجل

بطل السباحة عبد المنعم عبده

# الصحة والقوة والنشاط

تهبها لك

# كينا لابيس الهدية الطبية

هي تفيد في حالات الضعف العام والانيميا والنقاهة من الملاريا وأمراض المعدة وفي حالات الولادة.

تفتح الشهية وتقوي الجسم عموما

باسيلي م. كومباروس

احذروا التقليد

مرخص من وزارة الصحة قسم الصيدليات تحت رقم ١٤٣٠